الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 407 - من الثلاثاء 21 إلى الاثنين 27 ماي 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

مذكّرة من وزير الداخلية «تمنع» الولاة من لقاء النواب و«تسحب» منهم دورهم الرقابي

مصرع الرئيس الإيراني في تحطّم طائرته :

قضاء وقدر أم أمر مدبّر؟

«سبرولس» تتكبّد خسائر بالمليارات على مساكن تم الاستحواذ عليها

• مستولون أسسوا جمعية للدفاع عنهم
• مديرة بالشركة : بعض المتحوّزين احتموا بالنهضة

موقف الأسبوع

سُنّيّة والحُرِّيّة...

بقلم:
حمّه الهمّامي

المحاماة والسياسة... أين الخلل؟

بقلم : خالد الكريشي

افتتاحية

غزّة: الطريق المسدود فهل من مخرج؟

بقلم : عمار العربي الزمزمي

غزّة: الطريق المسدود فهل من مخرج؟

بقلم : عمار العربي الزمزمي

قرابة ثمانية أشهر لم تكن كافية لنتنياهو وعصابته من القتلة ليرتووا من الدم الفلسطيني لذلك أفشل مشروع اتفاق وقف إطلاق النار الذي صاغه الوسيطان قطر ومصر برعاية أمريكية في حين قبلته حماس وبقية فصائل المقاومة ونزل أهل غزة الذين أرهقهم التقتيل والتدمير إلى الشوارع احتفاء به لمّا تمّ الإعلان عنه.

وما كان نتنياهو ليتمادى في تعنّته لو واجهه رعاته الأمريكيون وحلفاؤه الأوروبيون والنظام الرسمي العربي بالحزم الكافي. فالرئيس الأمريكي المباشر جو بايدن المقدم على انتخابات في مأزق: جزء من قاعدته الانتخابية يحمّله مسؤولية تواصل الإبادة بأسلحة أمريكية لولاها ما كانت لتحصل وهذا ما يجعل أمريكا شريكا مباشرا في الجريمة .وفي المقابل يتهمه منافسه المرشح الجمهوري رونالد ترامب بالتخلي عن أهم حليف موثوق به في الشرق الأوسط لمجرد حديثه عن تجميد صفقة أسلحة .لذلك اضطر للمناورة. فمن جهة عبّر عن عدم ارتياحه لاجتياح رفح ومن جهة أخرى أكد على أن القضاء على حماس يبقى بالنسبة إليه هدفا مشتركا مع الكيان الصهيوني .فهو لا يختلف عن الصهاينة في الهدف وإنما في الوسائل . ببساطة هو يسعى إلى تحقيق ما لم تحققه الحرب بوسائل أخرى أهمها خنق غزة بجعل الرصيف الذي أقامه الجيش الأمريكي على عجل بأنقاض ما خربت آلة الدمار الصهيوني المنفذ الوحيد والمراقب جيدا لدخول المساعدات بعد سيطرة الصهاينة على معبر رفح. أما الاتحاد الأوروبي الذي تغير خطابه نسبيا وأخرج ورقة حل الدولتين من الثلاجة فإن تذيّل أبرز أعضائه للموقف الأمريكي يجعله لا يُقدم على اتخاذ خطوات عملية تترجم هذا "التغيّر". وأما النظام الرسمي العربي فمشلول: غير المطبعين ليس لهم كلمة مسموعة حتى أن الرئيس السوري بشار الأسد لم يلق كلمة في قمّة البحرين ووزير خارجية تونس اكتفى بتوزيع كلمة مكتوبة على الوفود المشاركة في القمة. والمطبعون بعضهم مثل مصر يؤثر مواصلة الاضطلاع بدور الوسيط في صراع دائر على حدوده يعرض أمنه للخطر ولم يتزحزح عن موقفه حتى لما سيطر الجيش الصهيوني على معبر رفح ضاربا ببنود اتفاقية مخيم داوود عرض الحائط. كل ما فعلته مصر هو التنديد والتعبير عن نيتها في الانضمام إلى الدعوى المرفوعة من قبل جنوب إفريقيا إلى محكمة العدل الدولية. ولعل ذلك لا يعود إلى ما حصل لمعبر فرح بقدر ما يعود إلى إقدام تركيا كدولة منافسة لها على تزعّم المنطقة على اتخاذ هذه الخطوة في حين زاد الاصرار غير المعلن من بعض من تورط من المطبعين في دعم الكيان الصهيوني بتزويده بالبضائع وخصوصا المواد الغذائية على هزم حماس واجتثاث المقاومة .

وقد تحولت المواجهة في غزة إلى معركة كسر عظام: نتنياهو يصرّ على أن أهداف الحرب التي منها القضاء على حماس واستعادة الرهائن لن تتحقق إلا باجتياح رفح رغم أن بعض العسكريين الصهاينة يعتبرون مواصلة الحرب ضربا من العبث. ما يعنيه هو صفقة لتبادل الأسرى وليس إيقاف الحرب الذي يعتبره نصرا للمقاومة. والحقيقة أن الحرب تحولت بالنسبة إليه إلى قضية حزبية وشخصية .فمستقبله السياسي ومصيره الشخصي مرهونان بتواصلها لأن توقفها يعني انفراط عقد ائتلافه الحكومي الفاشي ومواجهة المحاكمة بلا غطاء ولا سند. أما المقاومة فقد استطاعت أن تعيد تنظيم صفوفها في شمال غزة ووسطها وأن تواصل تهديد مستوطنات غلافها بالصواريخ. ووجد جيش الاحتلال نفسه يحاول إخماد النيران في أماكن اعتقد أنه أخضعها . ولم تكن محاولات اجتياح رفح نزهة بالنسبة إليه إذ واجه مقاومة شرسة ربما أقوى من التي وجدها في السابق فكانت الحصيلة ثقيلة: عشرات الدبابات والمدرعات تُدمر وأعداد ما فتئت تتزايد من القتلى والجرحى في صفوفه نتيجة الكمائن المحكمة والمواجهات المباشرة التي تعقبها دون أن يحقق أي هدف سوى إبادة المزيد من المدنيين خصوصا من الأطفال والنساء والعجّز وتدمير ما يمكن تدميره مما بقي من البنى التحتية المدنية.

إنّ صمود المقاومة الأسطوري رغم اختلال موازين القوى لصالح العدو أربك الجميع. فتآكل قوة الردع التي كان يتمتع بها العدو في المنطقة أفسدت مخططات التطبيع التي من أول شروطها دفن القضية الفلسطينية وتهجير الفلسطينيين . وخلافا لما تم التخطيط له تحولت المقاومة من مجرد حركة تحرر وطني إلى قوة معنوية تدفع إلى التحرر في العالم. فقد تصدر ما يحصل في غزة الأحداث العالمية وغطى على الحرب الروسية الأوكرانية التي كانت تقسم دول المعمورة وتغير المزاج على المستوى الدولي سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي إذا استثنينا الفضائيْن العربي والإسلامي اللذين فشلا في ضرب موعد مع التاريخ رغم أن المواجهة في غزة تدور تحت يافطة " طوفان الأقصى" .ومما تحقق للشعب الفلسطيني بتضحيات كبيرة والحق يقال تصويت مائة وثلاثة وأربعون دولة في الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح مشروع قرار يمنح دولة فلسطين صفة عضو كامل الحقوق وقطع عديد الدول خصوصا من أمريكا اللاتينية علاقاتها الدبلوماسية بالكيان الصهيوني أو على الأقل تجميدها وتعبير بعض الدول الأوروبية مثل إسبانيا و إيرلندا عن تفكيرها في الاعتراف بدولة فلسطين. كما شهدت عديد الجامعات في العالم خصوصا في أمريكا وأوروبا موجة من الإضرابات والاعتصامات للتنديد بالإبادة الجماعية والمطالبة بإيقاف الحرب وإنهاء التعامل مع الصهاينة في مجال البحث العلمي وبالخصوص في الميدان العسكري وتأييد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره عل كل أرض فلسطين التاريخية. ولم يفلح القمع في إسكات أصوات الشباب الطلابي الذي انضم إليه جزء من هيئة التدريس. لقد انتهى بالنسبة إليهم العهد الذي كان يُخشى فيه من تجريم انتقاد سياسات الكيان الصهيوني بتعلّة أن ذلك شكل من أشكال معاداة السامية. لقد عرّت غزة الجميع وحطمت خرافة "حق اسرائيل في الدفاع عن نفسها" وتبرير كل جرائمها باسم هذا الحق المزعوم.

لقد فجرت الإبادة الجماعية وملحمة الصمود الفلسطيني وعيا جديدا أصبح الشباب الجامعي يرى بمقتضاه أن الكيان الصهيوني تحوّل إلى عبء على بلدانه فضلا عن اعتبار قضية الشعب الفلسطيني قضية عادلة من واجب كل حر مساندتها. ولأول مرة يجد الكيان الصهيوني نفسه ملاحقا قضائيا أمام هيئات دولية مثل محكمة العدل الدولية ومحكمة الجنايات الدولية ولو أنه لهذه الهيئات معايير ومقاييس مزدوجة. فهي تراوغ جراء الضغوطات التي تتعرض لها وتماطل في اتخاذ قرارات حازمة ملزمة رغم تعدد الأطراف التي تقدمت إليها بقضايا وذلك خلافا لمرات سابقة سارعت فيها إلى إدانة من اعتبرتهم مجرمين مثل بعض قادة صربيا وروسيا الاتحادية ورئيسها بوتين.

ورغم كل هذه المكاسب ليكن واضحا أن مجرم حرب مثل نتنياهو لن تردعه لا العزلة الدبلوماسية في العالم ولا "ضغوط" رعاته وحلفائه الغربيين التي هي من قبيل " ضرب الهجالة في بنتها" ولا بيانات الجامعة العربية الجوفاء الباهتة ولا مناشدات السلطة الفلسطينية التي حشرت في ركن ولا الاحتجاجات الطلابية في العالم ولا المستوى الذي بلغته حاليا الاحتجاجات الداخلية بإسرائيل وخصوصا تحركات عائلات المحتجزين .لا شيء يزيد الجبهة الداخلية تصدعا ويحمل القوى الغربية على مراجعة مواقفها و يجبر الصهاينة على وضع حد للابادة و إراقة الدماء والقبول باتفاق يقضي بإيقاف الحرب سوى مزيد من الصمود والتضحيات .وحتى تنهي المقاومة هذه الجولة من مواجهة تاريخية غير متكافئة بشكل يجعلها قادرة في المستقبل على مواصلة كفاحها التحريري عليها أن تُفشل ما يخطط له أعداؤها من خلال ما يعرف باليوم التالي للحرب : استبعادها من المعادلة وتركيز إدارة ولا نقول سلطة لا صلاحيات حقيقية لها بدعم من المطبعين العرب وبرعاية أمريكية. و إفشال هذا المخطط يستدعي تعزيز الوحدة الوطنية ببث الروح في منظمة التحرير الفلسطينية على أساس برنامج وطني مرحلي وآخر استراتيجي.

وأقل ما يُنتظر من الذين يعتبرون قضية فلسطين قضيتهم ولا يعتبرون أنفسهم مجرد مساعدين لها أن يتخذ عملهم النضالي أشكالا مختلفة منها: مقاطعة بضائع الشركات الصهيونية والمساندة للكيان الصهيوني والتحركات في الشارع لإظهار التأييد لقضية فلسطين والتنديد بداعمي الاحتلال ومناهضة التطبيع والضغط من أجل سن قوانين تجرمه.

مذكرة من وزارة الداخلية «تمنع» الولاة من لقاء النواب و«تسحب» منهم دورهم الرقابي

كوثر زنطور

لم تمر الجلسة المنعقدة يوم امس الاثنين 20 ماي 2024 بمجلس نواب الشعب مع وزير الداخلية كمال الفقي ، دون طرح ملف العلاقة الجدلية التي اصبحت تجمع النواب بالولاة منذ صدور " مذكرة" تحمل توقيع الوزير ، وتقضي بـ"منع" عقد لقاءات وسحبت منهم بشكل ضمني " الدور الرقابي" .

شكلت الجلسة فرصة قدم خلالها النواب ، عدة اشكاليات كان من ابرزها ، ملف المذكرة الموجهة من " الوزارة الى ولاة الجمهورية التونسية" ، ويعود تاريخها الى شهر أفريل من العام المنقضي. . تندرج هذه المذكرة مثلما يقول نصها في اطار " توضيح علاقة اعضاء مجلس نواب الشعب بالمصالح الجهوية والمحلية"، وفي علاقة ايضا بمجلس الجهات والاقاليم.

وحسب كواليس المجلس ، فإن الوزير نفى بداية وجود المذكرة اصلا ، او اصدار الوزارة اي نص تسبب في " التضييق" على العمل الرقابي للنواب ، وانتهى الامر بما يمكن اعتباره مواجهة الفقي ، بالمذكرة ، بما فرض على الاخير التجاوب مع انتقادات وتشكيات النواب وايضا تقديم تعهدات لا احد يجزم بانها ستكون ملزمة لكن الواضح انها كانت ناجعة في احتواء غضب البرلمانيين واصرارهم على انهاء حالة الصد التي يجدونها في جهاتهم.

نص المذكرة

تهدف المذكرة مثلما ذكرنا الى تنظيم العلاقة بين النواب والمصالح الجهوية والمحلية ، في ما يتعلق بـ"وجوبية دعوتهم وتشريكهم في مختلف اللجان والتظاهرات التي تنتظم تحت اشراف الولاة على المستويين الجهوي والمحلي على غرار جلسات لجان المجلس الجهوي ودوراته العادية منها والاستثنائية ومختلف جلسات العمل لاسيما منها المخصصة لضبط المخططات المنجزة على المستوى الجهوي ومراجعتها والمصادق عليها اضافة الى مواكبة الاحتفالات بالاعياد الوطنية والاعياد".

تضبط المذكرة هذه العلاقة بصلاحيات البرلمان والنائب ، وجاء في نصها" لقد نص الفصل 67 من الدستور على ان يمارس مجلس نواب الشعب الوظيفة التشريعية في جميع الاختصاصات المخولة له في الدستور" وان" الفصل 85 منه نص على ان يمارس مجلس الجهات واالاقاليم صلاحيات الرقابة والمساءلة في مختلف المسائل المتعلقة بتنفيذ الموازنة ومخططات التنمية ".

استنادا الى هذين الفصلين خلصت المذكرة الى ان مجلس نواب الشعب يختص بمهمة التشريع والى "انه عهد الى المجلس الوطني للجهات والاقاليم بالمهام الرقابية ومتابعة مخططات التنمية" ، وذكرت بان تركيبته تضم وفقا للمرسوم عدد 10 لسنة 2023،والمتعلق بتنظيم انتخابات المجالس المحلية وتركيبة المجالس الجهوية ومجالس الاقاليم اعضاء المجالس الجهوية الراجعة بالنظر ترابيا الى الاقاليم .

وزير الداخلية في جلسة بالبرلمان

تقول الشهادات المقدمة من النواب الى الوزير، بخصوص نشاطهم في جهاتهم ، ان هذه الوثيقة تحولت ال قرار منع يتحجج به الولاة رفضا للقائهم او التنسيق معهم . وشمل هذا "المنع" كل ولايات الجمهورية مع استثناءات لا تكاد تعد على اصابع اليد الواحدة على غرار ولاة نابل والقيروان (المعتمد الاول) ومنوبة .

باستثناء المنع ، يبدو ان تحفظ النواب تعلق ايضا بحصر دورهم البرلماني في " التشريع" لا غير ، وذلك يعني ضمنيا سحب دورهم الرقابي على المستوى الجهوي والرقابي لحساب مجلس الجهات والاقاليم المنصب حديثا دون ان يباشر مهامه في انتظار اتمام القانون المنظم له .

غير معلومة

صدرت المذكرة يوم 13 افريل 2023 ، اي بعد شهر من انعقاد الجلسة الافتتاحية لمجلس نواب الشعب (13 مارس 2023) ، وتندرج في سياق تغييرات جوهرية عرفها موقع البرلمان في منظومة الحكم استنادا الى دستور 2022، وهي مع ذلك تعتبر " تقزيما " لدور المجلس و" تحجيما" لعمل النواب الذين اشتكى عدد منهم من تغييبهم عن النشاط في جهاتهم ، وغلق المنافذ امامهم.

يبدو ان اسباب التحفظات على مذكرة الوزارة عديدة ولها ايضا دلالتها ، فهي تعتبر بمثابة " اهانة" لنائب شعب اصبح عاجزا عن التفاعل بشكل مباشر مع والي الجهة ، وهي قد تعكس موقفا من " الوظيفة التنفيذية" للبرلمان وتدخلا في صلاحيات النائب بحصرها في الدور التشريعي بمفعول مذكرة ، كما انها تقلص من مساحة تحرك النائب الطبيعية والاساسية في جهته ، وقد تجعله عرضة الى عملية سحب الوكالة.

ينضاف الى ذلك ما قد تعكس من ارهاصات معركة تنازع صلاحيات يبدو انها اكثر من ممكنة بين مجلس نواب الشعب ومجلس الجهات والاقاليم ، وما قد يفهم من المذكرة من انه تعزيز لدور هذا المجلس على حساب البرلمان من قبل كمال الفقي " الوزير السياسي" الذي يعتبر من منظري " مشروع البناء القاعدي " ضمن ما يسمى بـ" مجموعة اصحاب المشروع" .

اللافت ان النواب لم يتحركوا ردا على هذه المذكرة ابان صدورها ، وهم اليوم في انتظار تقيد وزير الداخلية بالالتزام بتفعيل التعهدات التي قدمها خلال حضوره يوم امس الاثنين في لجنة العلاقات الخارجية والتعاون الدولي وشؤون التونسيين بالخارج والهجرة بالبرلمان التي خصصت لمناقشة ازمة المهاجرين من دول جنوب الصحراء .

من وزير الداخلية
إلى
السادة ولاة الجمهورية
الموضوع: حول حضور ممثلي الجهة من أعضاء مجلس نواب الشعب في مختلف الأنشطة الجهوية

صمت تونسي رسمي عن أنباء حول دور روسي في أزمة المهاجرين :

الأبعاد الخافية إقليميا ودوليا ودخول «فاغنر» على الخط

صالح مصباح

Aerei militari russi in Tunisia, allarme Usa: "Mosca si espande". Effetto migranti, timori per il governo Meloni

dal nostro corrispondente Paolo Mastrolilli

Nei giorni scorsi sono avvenuti avvistam... confine con la Libia. La natura dell'attività non è ancora chiara

صحيفة «لاروبيبليكا» الإيطالية : طائرات عسكرية روسية في تونس وانذار أمريكي : «موسكو تتوسع»، تأثير المهاجرين، مخاوف على حكومة ميلوني

تطرقت مؤخرا جريدة La Repubblica الإيطالية إلى تقرير إعلامي أمريكي يتحدث عن دور روسي في موضوع المهاجرين بتونس. فوفق هذا الخبر تناوئ روسيا دولة إيطاليا بتسهيل وصول المهاجرين إلى تونس حتى يتدفقوا على إيطاليا فأوروبا. وتقوم بهذا التسهيل مجموعة "فاغنر" الروسية التي صار اسمها "الفيلق الإفريقي" والتي هي اليوم في دول الساحل الإفريقي كانسة هناك النفوذ الفرنسي والأمريكي لصالح النفوذ الروسي. و"فاغنر" هي أيضا في ليبيا. وهي في صف حكومة خليفة حفتر بالشرق الليبي. ويقول التقرير إن بعض القوات العسكرية الروسية متواجدة في مطار جربة بتونس، وربما ضمنها "فاغنر"، وأن ذلك أثار حفيظة الأمريكان و"قلقهم".

يتسلّل المهاجرون "بالمئات" يوميا من جهتي غرب ليبيا والجزائر. وبيّن سلطة تونس وسلطتي البلدين علاقات تنسيق واتفاق. لكن حدودنا في الجهتين مستباحة، وسلطتا البلدين تحرصان على إبعاد هؤلاء المهاجرين عنهما. لكنهما لا تعيدانهم إلى مصادر قدومهم وإنما تدفعانهم إلى تونس دفعا مقصودا أو غير مقصود . ولا نعلم ما الذي يَثوي وراء ذلك؟ ولماذا ترضخ السلطة التونسية لما يجري؟ ذلك أنه من الصعب أن نسلّم بأن هذه" الجحافل" قد مرّت إلينا من غرب ليبيا ومن الجزائر دون أن يكون لسلطات البلدين علم بذلك. فصور قدومهم متداولة وكذا صور دَفعِهم إلينا. وقد يكون كل ذلك متصلا بالاتفاقيات التي بيننا وبين إيطاليا والتي لا تمنح سلطتنا حق السماح لهم بالعبور إلى الضفة الأخرى. وقد يكون متصلا بالعروة الوثقى التي بين الجزائر وإيطاليا وبين هذه وغرب ليبيا. وهو اتصال جعل البلدين في خدمة إيطاليا بالضغط على تونس لتتحمل الأعباء عوض أيطاليا فتحميَ حدودَ إيطاليا بمنع العابرين إليها. وقد لا ينفصل هذا التدفق عن الصراع الداخلي في ليبيا. ذلك أن قسما من هؤلاء الوافدين إنما يعبر من شرق ليبيا الذي يديره خليفة حفتر، والذي لا وِدَّ على الإطلاق بينه وبين غرب ليبيا وبينه وبين الجزائر وبينه وبين تونس، فضلا عن أنه مدعوم من روسيا التي انزرعت هناك في الشرق بمجموعة "فاغنر" المسلحة والتي يدور حديث عن أدوار لها في هذه اللعبة مثلما سنبيّن لاحقا.

وإذا كانت علاقة الجزائر بغرب ليبيا قد اعتراها خلاف عارض يتعلق بحرص الجزائر على استبعاد المغرب من " التنسيق المغاربي"، وهو حرص لا يشاركها فيه غرب ليبيا، فإن نفوذ تركيا في الغرب الليبي تكفل على الأرجح بتسوية الخلاف نظرا للتعاون المتين بين أنقرة والجزائر، والذي من حصيلته أن تونس في شأن الهجرة هي بين جارين منسجمين من ناحية، ولهما من ناحية أخرى نفوذ على تونس المحتاجة لدعمهما المالي. فهل هذه الحاجة هي الداعي إلى إذعان تونس، في موضوع المهاجرين، للبلدين الجارين ولإيطاليا والإتحاد الأوروبي؟. فقد صرنا مزارا لرئيسة حكومة إيطاليا "الرفيقة ميلوني" كلّما ألمّ بها في بلدها ضغطُ معارضيها المتعلق بالهجرة.

التشابك الدولي

ها هنا تتشابك الخيوط الدولية تشابكا معقدا لا نلحظ وعيا لبلادنا به. فروسيا، من خلال "فاغنر" تُمسك بمالي والنيجر وإلى حد ما بإفريقيا الوسطى وغير ذلك من دول المنطقة وإن بدرجات متفاوتة.. وروسيا، حليف تقليدي متين للجزائر، تتحرك في الساحل الإفريقي تحركا لا يرضي الجزائر. ذلك أن الجزائر ترفض وجود قوات " فاغنر" على حدودها المباشرة وغير المباشرة في دول الساحل الإفريقي، ولا تنسجم الجزائر مع الحكام الجدد في مالي على وجه الخصوص. لا بل يتهم حكام مالي الجزائر بدعم "الارهابيين"، قاصدين بذلك تنظيم " أزواد" المعارض لهم. وفي الآن نفسه، لا تنظر الجزائر بعين القبول لوجود "فاغنر" في صف حفتر الذي لا يخفي عداءه للجزائر وتهديده لها، لا سيما من جهة اصطفاف الجزائر مع تركيا في دعم حكومة الغرب الليبي، مثلما لا يخفي خفتر عدم انسجامه مع سلطة تونس. ولا ينفصل الخلاف المعلن بين موسكو والجزائر في شأني "فاغنر" والمواقف من دول الساحل الإفريقي ، عن الخلاف غير المعلن المتعلق بأنبوب الغاز الذي سيمر من الجزائر إلى أوروبا قادما من نيجيريا والنيجر. وهذا المشروع سيفقد، ولو استراتيجيا، وزن روسيا الغازي في أوروبا. كما لا ننسى أن إيطاليا بصدد توثيق صلتها في موضوع الغاز بالجزائر بإنشاء أنبوب ثان لا يمر عبر تونس، لتكون روما مجمعا لغاز الجزائر وموزعا له في أوروبا.

وظهر الخلاف الروسي الجزائري في هذه المواضيع خلال لقاء وزيري خارجية البلدين "سرغي لافروف" و " أحمد عطاف". ومن علامات هذا الخلاف وعلامات الحرص على ألا تُفسد عريقَ التماسك بين البلدين هو الإتفاقُ على لجنة متابعة مشتركة يقودها روسيّا نائب وزير الخارجية "ميخائيل بوغدانوف" وجزائريا أمين عام وزارة الخارجية "لوناس مقرمان".

وتبدو الجزائر متفقة في ليبيا مع تركيا، مختلفة مع روسيا، ومختلفة مع روسيا في موضوع " فاغنر" والموقف من دول الساحل. وتبدو أمريكا غاضبة من روسيا في شرق ليبيا ودول الساحل الإفريقي، متلائمة مع تركيا والجزائر في غرب ليبيا ، وغاضبة من وجود روسيا في تونس إذا صحّ ما جاء في التقرير الصحفي.

وفي خضم كل ذلك يندرج موضوع المهاجرين الأفارقة وغير الأفارقة في تونس. فوفق ذلك تسهر مجموعة "فاغنر" على تدفّقهم على بلادنا. ولما كانت دولتا الجوار تدفعان بهم إلينا، فلا يعني ذلك أنهما تساعدان" فاغنر" وإنما تتخلصان من أعبائها بدفعها إلى تونس، لأن دولتي ليبيا والجزائر يمكن أن تكونا مَعبرَين إلى أوروبا على نحوما تريد روسيا العاملة على إغراق أوروبا بهم. فلا ننسى أن ليبيا كانت إلى أجل قريب المنطلق الأول للهجرة إلى إيطاليا من سواحل المتوسط الجنوبية. وفي هذه الحال، ماذا يفعل عساكر روسيا أو "فغنرها" في تونس وفق قول الأمريكان؟. فإذا كان الهدف هو تسهيل تدفق الهجرة منها على ايطاليا فإن هذا لا يصح اليوم بالذات لأن تونس صارت تمنع عبورهم. وعلى ذلك، فإما أن تونس تحاول التوفيق بين روسيا وإيطاليا بأن تقبل تدفقهم إليها وأن تمنع عبورهم، وإما أن للوجود العسكري الروسي في تونس، لو صحّ ذلك، أهدافا أخرى أثارت "قلق الأمريكان".

وفي هذه الحال المفترضة، قد لا تستوي علاقة تونس بالجزائر لو تضمّن الوجود العسكري الروسي المفترض في تونس عناصر من " فاغنر" التي ترفض الجزائر وجودها في جوارها رفضا اكيدا لمّح إليه الرئيس تبون نفسه في آخر زيارة له لموسكو.

في كل الأحوال، يتعدى ملف المهاجرين حلول تدويرهم في الجهات تدويرا قد يصبح بالتناوب. لذلك يكون مجديا فك الألغاز، والتفكير الجماعي المسموع في الموضوع الذي قد تكون له مستقبلا تبعات أمنية تعجز بلادنا عن مواجهتها. فلا معنى لاستمرار هذا الصمت وهذا التذبذب الرسميين.

سُنْيَة والحُرِّية...

بقلم: حمّه الهمّامي

وأنا أكتب عن سنية أجد نفسي مشغول البال برفيقي محمّد وليد الزّايدي المعتقل منذ 11 يوما بالقيروان بمقتضى المرسوم 54 سيّئ الصّيت. والسبب لا يعدو أن يكون إعادة نشر تدوينة صادرة بموقع كشف تعود إلى عام 2022 فيها يصف حزب العمال الانتخابات البرلمانيّة المزمع إجراؤها وقتها بالمهزلة ويدعو إلى مقاطعتها والنضال من أجل بديل ديمقراطي شعبي. يبدو أنّ محمّد وليد كان مطالبا، كي يكون من "الوطنيّين الصادقين"، بأن يعتبر تلك الانتخابات "قمة الديمقراطيّة" ويدعو إلى المشاركة فيها. ولنا عودة إلى الموضوع...واعذرني رفيقي إن لم أبدأ بك فأنا أعرف أنّك تؤثر الآخرين على نفسك ولو كنت رهن الاعتقال.

- 1 -

لم أصدّق لمّا علمت أنّ الأستاذة، المحامية/الإعلاميّة، سُنْيَة الدّهماني، مطلوبة للقضاء بسبب جملة قالتها يوم 7 ماي 2024 في أحد البرامج التلفزيّة تعليقا على كلام "كرونيكور" حاضر معها. كان هذا الأخير بصدد التّشهير بـ"مؤامرة توطين" الجنوب صحراويّين بتونس لمّا قاطعته سُنية قائلة بأسلوب ساخر ما مفاده "أنّ تونس بلد لا يطيب فيه العيش حتّى يستقرّ فيه الأفارقة جنوب صحراويين". لقد اعتقدت أنّ الأمر لا يعدو أن يكون "إشاعة" يقف وراءها "المناوئون" و"الخونة" و"الحاقدون" للتّشهير بسلطة الانقلاب وإظهار الحدّ الذي بلغه جورُها. لكن جاء تقرير المساعد الأوّل لوكيل الجمهوريّة لدى المحكمة الابتدائيّة بالعاصمة بتاريخ 9 ماي 2024 ليؤكّد صحّة ما راج. وتلا ذلك اقتحام دار المحامي يوم 11 ماي 2024 وانتزاع سنية من بين زملائها. ثم جاء تصريح قيس سعيّد عند استقبال وزيرة العدل ظهيرة يوم الأربعاء 15 ماي 2024 ليحسم الأمر نهائيّا ويبرّر الاقتحام ويدين سنية الدهماني قبل حتّى أن يدينها القضاء.

ما من شكّ في أنّ سنية الدّهماني، مثلها مثل العديد من اللّواتي/الذين سبقنها/سبقوها إلى السّجن تدفع، بشكل عام، ثمن مواقفها الشّجاعة، الجريئة المدافعة عن الحريّات والمنتقدة سلطة الانقلاب. ولكن أن يعتمد تصريحها المذكور سببا مباشرا لاعتقالها ومن ثمّة إسكات صوتها لمدّة من الزمن، فهو يمثّل قمّة القهر. فلو نسجنا على هذا المنوال لوجب اعتقال المئات حتى لا نقول الآلاف يوميّا من التونسيّين/التونسيّات الذين يتبرّمون من العيش في وطنهم بعبارات أقسى ألف مرّة من العبارة التي استعملتها سنية بأسلوب ساخر. بل إنّنا رأينا في أكثر من مناسبة جموعا من التونسيّين وفي بعض الأحيان عائلات بأكملها تشدّ رحالها نحو القطر الجزائري الشقيق أو تمتطي قوارب الموت هربا نحو إيطاليا لأنّها لم تعد تطيق العيش في تونس سواء بسبب القهر والظلم أو بسبب الفقر والبؤس أو للسببين معا بل أكثر من كلّ هذا سمعنا شبابا يصرّحون أنّهم لم يعد يربطهم بتونس غير "بطاقة التعريف"'. ولا يمكن لأحد أن يتّهم هؤلاء بأنهم "يرذّلون" وطنهم فهم في حقيقة الأمر يشكون الظروف المادية والمعنوية البائسة التي أصبحوا يعيشونها في بلدهم. وما من شكّ في أن المدان في ذلك ليس الوطن في حدّ ذاته وإنّما حكّامه المسؤولون عن الخيارات الطبقية/الاجتماعيّة التي أدّت إلى تلك الظروف.

لقد أرادت سنية الدهماني أن تقول لـ"زميلها" بكل بساطة إذا كان شباب تونس نفسه "يحرق" بأعداد كبيرة نحو الخارج هربا من البطالة والفقر والاضطهاد، فكيف تريد أن تقنعني أن المهاجرين جنوب صحراويين جاؤوا ليوطّنوا هنا وليس للعبور نحو نفس الوجهة التي يتجه نحوها أبناء تونس وبناتها "الحارقون" وهو أمر معلوم من الجميع. ولكن من الواضح أنّ سلطة الانقلاب تروم، من خلال اعتقال سنية الدّهماني بسبب تلك العبارة بعينها التي لا تشكّل بأيّ صورة من الصّور "مخالفة" أو "جريمة" مهما كان المعنى الذي تحمله، توجيه تحذير إلى كلّ من تحدّثه نفسه بأن ينتقد سلطة الانقلاب والقائمين عليها، مؤسسات وأشخاصا، بأيّ شكل من الأشكال التعبيرية (تدوينة، تصريح، كاريكاتور، أغنية الخ...). ففي جميع أنظمة الاستبداد/الدكتاتورية يتماهى الحاكم مع الوطن/الدولة/الشعب/الدين فكل نقد يوجه إليه يعدّ مساسا بهم جميعا. وقد عشنا في بلادنا وما نزال هذا الوضع. كان بورقيبة يعتبر نفسه "النظام/الدولة" (LE SYSTÈME, C'EST MOI). وجاء بعده بن علي ليصبح هو "الوطن" ثم جاءت حركة النهضة ليُتّهم معارضوها بمناوأة الإسلام، وأخيرا جاء قيس سعيّد ليصبح من يعارضه "غير وطني" و"مناوئا للشعب".

- 2 -

ولا أخفي أنّ الذاكرة عادت بي، وأنا أتابع قضيّة الأستاذة سنية الدهماني، إلى الماضي وتحديدا إلى شاعرنا الكبير "أبو القاسم الشابّي". تصوّرت ماذا سيحصل له لو كان بيننا اليوم وهو ينشر قصائده التي قسا فيها على الشعب التونسي أيّما قسوة. تصورته وهو بين يدي النيابة العمومية وهي تسأله عمّا يقصد بقوله كذا أو كذا وهو "يتغصور" باحثا عن مخرج للنجاة بنفسه من السجن، بحث ابن قارح أبي العلاء المعري في رسالة غفرانه عن كلمة أو عبارة تنجيه من نار جهنّم. ولكن النيابة العمومية تعود لتسْرد عليه البعض ممّا "يثبتُ" أنه "يهين الشعب" و"يعاديه" و"يسخر منه" وهو ما "يجرّمه" أمام "القانون":

"أيّها الشّعبُ ! ليتني كنتُ حطّا ... بًا فأهْوي على الجذُوعِ بفَأْسِي
ليْتَنِي كنت كالسُّيول، إذا سَا ... لَتْ تهدّ القبورَ رمْسًا برمْـــسِ
أنت روح غبيّةٌ تكره النّـــو ... رَ، وتقضي الدّهور في ليل لمْسِ"
وأبيات أخرى مشابهة...

"أنت لا ميّتٌ فيُسْلى، ولا حـــ ... يٌّ فيمشِي بلْ كائنٌ ليس يُفهَمْ
فالزَم القبْرَ فهو بيتٌ، شبيهٌ ... بكَ في صمْتِ قلبِهِ، وخرَابهْ
أنت قَفرٌ جَهنّميٌّ، لعينٌ، ... مظْلِمٌ، قاحلٌ، مريعٌ جمُودُهْ
أنت لا شيء في الوجودِ، فغادرْ ... هُ إلى الموت فهو عنك غنيٌّ
وأبيات أخرى مشابهة....

تصوّرت الشابي يضيق صدره من المحقّق بعد أن ملّ سؤاله المتكرّر "وهذه ماذا تقصد بها" ويغضب من جهله أصول الأدب وأشكال التّعبير فيصرخ في وجهه: أنا القائل:

"إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بدّ أن يستجيب القدرْ
ولا بدّ للّيلِ أن ينْجلِي ... ولا بدّ للقيْدِ أن ينْكسرْ"

وأنا القائل أيضا:

"حذارِ فتحْت الرّماد اللهيب ... ومن يزرعِ الشّوك يَجْنِ الجِراحْ"

فإذا بالنّيابة العمومية تسجّل كل ما قاله وتفتح ضدّه محضر بحث ثان وثالث بتهمة "التحريض على التمرّد والعنف..." و"التطاول على الدولة"، وتصدر فيه بطاقة إيداع بالسجن. خرج الشابّي مقهورا وهو يردّد: "ماذا لو تفطّنت النيابة العموميّة إلى ما جاء في قصيدي "الثّعبان المقدّس":

"وكذاكَ تتّخذ المظالمُ منطقًا ... عَذْبًا لتُخْفِي سَوْءةَ الآرابِ"

- 3 -

والآن دعنا نستفيق من غفوتنا ولنعُد إلى واقعنا اليومي للقول إنّ كل الأوطان جميلة ولكنّ أنظمة الحكم هي التي إما أن تحوّلها إلى "بلد يطيب فيه العيش" بما توفّره لمواطناتها ومواطنيها من حرية وكرامة وعدالة اجتماعية أو إلى "بلد لا يطيب فيه العيش" بسبب الظلم والقهر والاستغلال والفقر والبطالة. وفي هذه الحالة فإنّ القمع مهما اشتد ومهما اتخذ من أشكال وذرائع لن يقدر على تخويف الناس وإسكاتهم طويلا خاصة حين يتعلق الأمر ببلد قام شعبه بثورة وذاق طعم الحرّية. إنّ قضية الحريات الفردية والعامة تعود من جديد إلى الواجهة في بلادنا لأنّ أهم مكسب للثورة التونسية وهو تلك الحريات يتعرّض من جديد للتصفية. وها إنّ القمع يشمل تدريجيّا الجميع من أحزاب ونقابات وجمعيات ومنظمات حقوقية وإعلاميين وإعلاميات ومحامين وقضاة ومواطنين/مواطنات عاديين/عاديات أقدموا على كتابة تدوينة أو على ترويج أخرى أو حتى على التعبير عن الإعجاب بتدوينة أو صورة كاريكاتورية وجدوها أمامهم في الشبكة الاجتماعية. وهكذا تتحول بلادنا شيئا فشيئا إلى سجن كبير، فالبعض رهن الاعتقال، والبعض الثاني ملاحق قضائيا وهو في وضعيّة "السراح المؤقت" والبعض الثالث ممنوع من السفر والبعض الرابع لاجئ في الخارج ومن تبقّى ينتظر دوره. لكن الوعي يسري من جديد والصفوف تلتحم من جديد والدعوات إلى المقاومة ترتفع من هنا وهناك فلا أحد يريد أن يؤكل يوم أكل الثور الأبيض. إنّ يوم الغضب الذي نظمه قطاع المحاماة يوم الخميس 16 ماي 2024 تضامنا مع الأستاذ مهدي زقروبة والأستاذة سنية الدهماني وغيرهما من المحامين الذين سبقوهما إلى السجن يمثّل لحظة مهمّة بكل المقاييس. إنّ وعي الخطر الاستبدادي/الدكتاتوري الزاحف أمر واضح عكسته درجة التعبئة الكبيرة من ناحية والشعارات الجذرية المرفوعة من ناحية أخرى. ولا نشكّ لحظة في أنّ هذا الوعي بصدد الانتشار في كافة الواجهات السياسية والنقابية والحقوقية والثقافية والفنية. وهو في طريقة إلى عموم الشعب الذي سيقف تدريجيا على خواء الشعارات الشعبوية وغوغائيّتها وعلى حقيقة أنّ من يحرمه من الحرية هو من يحرمه أيضا من مقومات العيش الكريم وعلى رأسها الحق في مصدر للرزق وهو من يحرم وطنه من النهوض ويغرقه في المديونيّة والتبعيّة والبؤس.

"شغل، حرّية، كرامة وطنية": هذا الشعار لم يَبْلُ ولم يُوَلَّ زمانه. إنه باق في الواجهة وسوف يبقى كذلك حتى يتحقق على أنقاض الاستبداد.

"الحبس كذّاب والحي يروّح" يا سُنْية. "لا كرامة دون ألم" كما قال الكاتب الفرنسي أندري مالرو في روايته الشهيرة: "الحالة الإنسانيّة" «LA CONDITION HUMAINE». وكلّ تضحية هي مراكمة على طريق التحرر والانعتاق الحقيقيّين من كافة أشكال الظلم والقهر والاستغلال. ولا شيء يعوّض الثبات على المبدأ يا سنية. أصحاب/صاحبات المبادئ يخلّدهم/هنّ التّاريخ. لا تجزعي من سبّ جماعة فهم أنذال، يعيشون أنذالا ويموتون أنذالا ويذكرهم التاريخ أنذالا.... ولا فضّ فوك يا طايع الهراغي حين قلت: "انعدام الحياء السياسي وقمّة العهر الفكري أن يتكفّل البعض بأرذل مهمّة، أن يكونوا بوق دعاية رخيصة لما يتحاشى الحاكم الخوض فيه".

"الدّوام ينقب الرخام" والمستقبل للحرية والعدل والكرامة الإنسانيّة.

قراءة في رسالة الغنوشي إلى قاضي التحقيق

أنس الشابي

نشرت حركة النهضة على صفحتها رسالة من رئيسها راشد الغنوشي موجّهة إلى قاضي التحقيق تضمنت أساسا تأكيد رفضه المثول أمامه في واحدة من القضايا المرفوعة عليه، ويبدو أن القضية متعلقة بمسألتين كما جاء في رسالته "العمل السري والعنف" وهما في الحقيقة أمر واحد لخّصه تاريخ الجماعات الإسلامية في وجود التنظيم السري، هذا الجهاز نجده حاضرا في كلّ المنظمات الإسلامية أيا كان مذهبها العقدي أو الفقهي لأنّه من مستلزمات عقيدة تقوم على الاستعلاء بالإيمان وتكفير المخالف بحيث لا يتحقّق الاستعلاء والتكفير إلا بإرهاب الخصوم عبر أجهزة منها ما هو سرّي ومنها ما هو علني. ورغم أن ملف القضية المحال بشأنها الغنوشي ما زال بين أيدي القضاء فإننا من خلال متابعة أدبيات ونصوص هذه الحركة منذ أن كان اسمها "الاتجاه الإسلامي" إلى أن أصبحت نهضة نستطيع الجزم بأنّ الجهاز السري والعنف كانا حاضرين لدى الحركة في مرحلتها السرية وفي مرحلتها العلنية كذلك، وحتى وهي في الحكم نجد مؤشرات كثيرة على أن التنظيم السري كان حاضرا يدل على ذلك:

1) بعد قيام الثورة الخمينية في إيران نشر الغنوشي سنة 1979 مقالا عنوانه "قادة الحركة الإسلامية، البنا – المودودي – الخميني"، أعاد نشره في تونس سنة 1989 بعد نشرة أولى في دار الكروان في باريس ولم يبلغ إلى علمنا أنه تنصّل ممّا جاء فيه أو أنّه تخلى عن بعض مكوّناته. وممّا جاء في هذا المقال قوله: "ويبدو أنّ ما يطلق عليه اليوم بلجنة الخميني وهي القائمة على حراسة النظام والتصدي لأعداء الثورة من اليساريّين... وملاحقة أنصار النظام السابق، هو صورة من صور الجهاز السري للإمام، وكما كان للخميني تنظيمه السري كان للبنا كذلك... وسواء كان هذا التنظيم سريا أو علنيا فهو على كلّ حال إذ يعمل ضمن مبادئ الإسلام وقيمه يتسلّح بضمانة أساسيّة تجنبه التورّط في عمل الأجهزة السرية الإجرامية في العالم من سطو واعتداء وترهيب"(1). حفظ لنا التاريخ أن الحرس الثوري للخميني والنظام الخاص للبنا ارتكبا من الجرائم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. فمذكرات قادة التنظيم الخاص للإخوان في مصر حافلة باعترافاتهم التي نشروها في عهد السادات بعد أن أمِنوا من الملاحقة للجرائم التي ارتكبوها. أمّا عناصر الحرس الثوري الإيراني صحبة آية الله صادق خلخالي فقد أفنوا الطبقة السياسية الإيرانية جميعها ولم يسلم من ذلك حتى آيات الله الذين عارضوا الخميني في ولاية الفقيه إذ وقع التنكيل بهم والذي جرى لآية الله شريعة مداري مؤلم. فقد سجن في آخر عمره وأحرقت مكتبته وصوّر عاري الرأس وسجن في بيته ودفن قرب بالوعة فضلات وكذا الأمر مع آيات الله منتظري والطالقاني وغيرهما. والذي يهمّنا من كلّ ما ذكر أن التنظيمات التي يلهج بذكرها الغنوشي مخصّصة للقضاء على المخالفين وإرهابهم تحت راية الإسلام.

2) كشفت محاكمات 1987 لحركة الاتجاه الإسلامي أن الحركة تمتلك جهازا مهمّته مراقبة المنتسبين حيث يقع تفقّدهم بصورة فجئيّة في بيوتهم للتثبّت من مدى التزامهم حتى تقرّر القيادة المركزية نقل المترشح من الأسرة المفتوحة إلى الأسرة الملتزمة وفق ملف مراقبة يتمّ إعداده مسبقا. يقول لطفي زيتون: "تقع الغربلة على المستوى المركزي وتُختار مجموعة تُطرح عليهم المسألة... وهناك من حصلت لهم صدمات فهم يظنون أنفسهم ملتزمين في الحركة ثم يتبيّن للواحد أنه ليس عضوا... في عام تحضير الباكالوريا أصبحت عضوا في أسرة ملتزمة وقتها يصير لقاء تُشرح فيه مبادئ الحركة فتكتشف أنك وقتها لم تكن عضوا كاملا في الحركة... وتطرح عليك مبادئ الحركة من جديد وتكشف لك جملة من الأسرار ..."(2). وهو ما صاغه راشد الغنوشي في توجيهه المنتسب لحركته بأن: "يرتاد المساجد ليعرف الأتقياء ويمرّ أمام الخمارات ونوادي القمار والمطاعم في رمضان ليلقي نظرة شفقة على الأشقياء المتسترين بالدين"(3). متأسّيا في ذلك بحسن البنا الذي يراقب هو بنفسه المنتسبين لحركته يقول: " أرقت ليلة فخرجت لصلاة الفجر بالمسجد العباسي قبل الوقت بنحو ساعة أو أكثر ومررت في الطريق على بيت أحدهم فإذا هو مضاء ونوافذه مفتوحة وهناك أصوات في نقاش استرعت انتباهي فإذا الشيخ جالس وهم حوله وهو يرسم لهم طرائق الكيد والخصام ومضيت في طريقي وأحضرته الصباح وسألته في لطف..."(4)، إن كان هذا حال شيخهم الذي به يقتدون فتصوّروا الحال الذي عليه الحركة التي أصبحت نتيجة لهذه المراقبة تشكّل غيتو داخل المدينة له عاداته وتقاليده في الزواج والأفراح والأتراح(5) وهو ما نلحظه لديهم حتى بعد وصولهم إلى الحكم سنة 2011 (انظر في ذلك شريط حفل زفاف ابن علي العريض الذي راج على صفحات فايسبوك).

3) إباحة الحركة الإسلامية لكلّ فرد من أفرادها أن يتصرّف وفق فهمه فيما يحقّ القضاء على الخصوم أو إضعافهم وهو ما تسمّيه "تحرير المبادرة"، والغريب في الأمر أنّ الغنوشي يفتح هذا الباب مشرّعا ومحرّضا على اغتيال رئيس الدولة يقول: "ومنهم من أوجب الخروج على الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والذي يجاهر بالمعصية ويعطل الحقوق والحريات الأساسية مثل حقّ النصيحة (حرية التعبير) واستقلال القضاء وتكوين الجمعيّات فإنّ طاعته غير لازمة وعلى كلّ فرد من أفراد الأمة أن يعمل لخلاص منه لأنّ وجوده على رئاسة الدولة يؤدّي في حدّ ذاته إلى الفتنة حتى لو كان ذلك عن طريق الاستعراض أي القتل غيلة"(6). هذا الفكر هو الذي أدّى إلى اغتيال الرئيس أنور السادات وفرج فودة وكاد أن يودي بحياة نجيب محفوظ، وتذكّروا مليا شريط سحل المرحوم لطفي نقّض وجنازة شكري بلعيد والشعارات التي رفعت أيامها حتى تتأكّدوا أننا إزاء حركة لا همّ لها سوى الوصول إلى السلطة.

4) تقوم الحياة السياسية أساسا على الأحزاب التي يتمّ تصعيد قياداتها عن طريق الانتخاب بعد ضبط خط سياسي متفق عليه، أما بالنسبة للحركات الإسلامية فإنّها تعادي الأحزاب وكلّ أشكال التنظيم كالنقابات وغيرهما. يقول الغنوشي: "إن المتتبّع بقلب سليم جملة نصوص الإمام (يقصد حسن البنا) حول موقفه من الأحزاب يدرك بجلاء لا غبش فيه أنّ التعدّد الحزبي على الأقل بالنسبة إلى الأمم الناشئة غير جائز وأنه إذ يدعو إلى اعتماد النظام النيابي لا يرى ضرورة للتعدّد الحزبي فهو لا يدعو إلى حلّ أحزاب فاسدة لإحلال أحزاب وطنية فاعلة محلّها بل يدعو إلى حلّ الأحزاب وإحلال حزب واحد محلّها يجمع قوى الأمة... إنّ حديث الإمام ولئن تنزل في ظروف خاصة بمصر إلا أنّ سياقه العام يتجاوز الظرف ليندرج ضمن قواعد النظام الإسلامي"(7). إن معاداة الأحزاب جميعها يصدر عن الخلط بين الدين والسياسية فبدل أن تكون السياسة مجالا للفعل البشري فيه الخطأ والصواب تصبح لدى دعاة الدولة الدينيّة جزءا من العقيدة يشملها وصف الإيمان والكفر قال الغنوشي: "إن الأحزاب المذمومة يقابلها حزب واحد هو حزب الله (أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)، وكأنّ التقابل في ذلك السياق هو بين الوحدة والشرك بين عقيدة التوحيد وما تقتضيه من وحدة الصفّ على الحق وبين الكفر. وما يتبعه من تفرّق الكلمة وذهاب الريح واعتزاز بالباطل"(8). إنّ شابا في مقتبل العمر ما زال طريّ العود ثقافيا وسياسيا إن تشرّب مثل هذا الكلام واعتقد في صحّته خصوصا لما يلبس صاحبه لبوس الدين لا يمكن إلا أن يتحوّل إلى قنبلة ستنفجر في وجه أوّل مخالف، لأنه يعتقد أنّه على حق لأنه حزب الله أما الآخر فهو على باطل لأنه حزب الشيطان.

جملة ما ذكر أعلاه مما انتقينا من كتابات راشد الغنوشي يؤدي بنا إلى الجزم تقريبا بوجود تنظيم سري له مهام محددة وهو ما تحدّث عنه عبد الفتاح مورو لمّا سُئل عن إمارة الصادق شورو أيام كان هو الأمين العام العلني للحركة فأجاب: "أعرف أنّ رئيس الحركة هو راشد الغنوشي وأنا أتولّى الأمانة العامّة، ولقد اكتشفت في الهياكل التي تمّ كشفها أنّ الأمانة غير موجودة تمامًا، وضعوني بصفة علنيّة ولم أشعر بأيّ خلل بتاتا وكنت أجتمع في هياكل علنيّة ظاهرة من خلال موقعي كأمين عام للحركة وإذا بي أفاجأ بأنّه لا وجود لخطّة أمين عام"(9)، ويذكر لطفي زيتون القيادي المقرّب من الغنوشي وأحد رجاله الثقات في شهادته: "كنّا نعرف نحن أنّ رئيس الحركة ليس راشد الغنوشي ومن يُمسك الحركة لا نعرفه كان اسمه سفيان... عندما خرجت من السجن كنت لا أعرفه (يقصد الصادق شورو) أعرف أنّ اسمه سفيان وفي ما بعد تعرّفنا عليه طبعا"(10).

تلك هي قصة حركة النهضة مع التنظيمات السرية والعنف جمعناها من وثائقهم التي نشرت بموافقتهم بحيث لا يمكنهم التفصي منها أو القول بأنها أخرجت من سياقها وأهملنا التعرض إلى ما جاء في الوثائق التي نشرتها هيئة الدفاع عن الشهيدين شكري بلعيد والحاج البراهمي في انتظار معالجة الملف قضائيا.

الهوامش

1) "مقالات" راشد الغنوشي، الطبعة الثانية مطبعة تونس قرطاج، ص98.
2) "سيرة ابن نقابي عاشوري أصبح نهضويا" لطفي زيتون، دار آفاق برسبكتيف للنشر تونس 2017، ص88 و89.
3) "مقالات" ص116.
4) "مذكرات الدعوة والداعية" حسن البنا، المكتب الإسلامي بيروت 1983، الطبعة 5، ص124.
5) انظر "الزواج على طريقة الإسلاميين" جريدة الصدى بتاريخ 2 سبتمبر 1989 ص7، و"جولة داخل الاتجاه الإسلامي" في مجلة حقائق العدد 19 بتاريخ 9 مارس 1984.
6) "الحريات العامة في الدولة الإسلامية" راشد الغنوشي، دار المجتهد للنشر والطبع، الطبعة التونسية الأولى 2011، ص210.
7) الحريات العامة ص289.
8) الحريات العامة ص290.
9) مجلّة الوطن العربي العدد 222 – 748 بتاريخ 21 جوان 1991.
10) سيرة ابن نقابي عاشوري ص153.

المحاماة والسياسة... أين الخلل؟

خالد الكريشي

«وددت لو أستطيع قطع لسان كل محام يستعمله فى الطعن على الحكومة»
نابليون بونابرت

علاقة المحاماة بالسياسة كعلاقة الروح بالجسد لا فكاك منها ، اذا غادرت السياسة قطاع المحاماة تنتهي المحاماة وصارت نسيا منسيا.

منذ البدء ولدت المحاماة باليونان القديمة على السنة السياسيين وهم يخطبون ود الجماهير لتحقيق مطالبهم ثم تطورت على مر العصور وأصبح المحامي « ADVOCATUS» هو ذلك الشخص / الحامي الذي يستنجد به الناس كصديق يساعد المتهم أثناء محاكمته ..فهي المحاماة الى الحق والعدل والحرية لترتسم بذلك صورة للدفاع عن مبادىء وقيم مشتركة بين المحاماة والسياسة بصفتها مبادىء طبيعية صافية وقيم اخلاقية عليا وكانت بذلك اثنان في واحد يتفاعلان في علاقة جدلية بينهما ، وغالبا ما تجد هذه القيم والمبادىء مجسدة في من يكون محاميا وسياسيا في نفس الوقت (صالح بن يوسف ، الحبيب بورقيبة والهادي نويرة احسن مثال لذلك) فتخاض معركة الدفاع عن استقلالية مهنة المحاماة جنبا الى جنب معركة التحرر الوطني .

تتأثر المحاماة بالأحداث السياسية وتؤثر فيها، كتأثر السياسة - في معناها العام- بما يجري في قطاع المحاماة وتحاول السياسة - في معنى السلطة - التأثير في المحاماة بغاية التدجين وتطويع قراراتها لخدمة اجندتها السياسية والحزبية وهذا أمر طبيعي لا مناص منه.

في إحدى الحملات الانتخابية لعمادة المحامين قبل الثورة طرحت سؤالا على أحد المترشحين المعروف بعدائه الشديد للمحامين المتسيسين والمدعي حينها زورا أنه يتزعم ما يعرف بـ»التيار المهني المستقل « داخل قطاع المحاماة :» سيد الرئيس (بحكم انه كان رئيسا سابقا لفرع المحامين) كيف توصلت لطرح مماثل وتطالب بـ»القاء زملائك في بحر الاقصاء والاستئصال من قطاع المحاماة لا لشيء الا لانهم متسيسون» !؟ وتوظف تسييسهم كورقة انتخابية ضدهم ! وأنت الذي كنت مؤسسا في حزب سياسي نهاية ثمانينات القرن العشرين وعضوا بمكتبه السياسي ؟

اجانبي بكل ثقة في النفس :» صحيح أستاذ ..لقد استقلت من حزبي لما اكتشفت انه كان يحاول لعب دور سياسي» !!!.

والحال ان الحزب الوحيد الذي كان يعمل قبل الثورة على تحزيب قطاع المحاماة هو التجمع الدستوري الديمقراطي المُحلّ وانشأ منذ تسعينات القرن الماضي خلية حزبية داخل قطاع المحاماة سميت في البدء « منتدى المحامين التجمعيين « ليستقر اسمها في ما بعد على «خلية المحامين التجمعيين» تنفذ الاوامر الصادرة لها في كل الملفات (انتخابات قطاعية ، الضغط على الهياكل المهنية لتزكية الرئيس بن علي للانتخابات الرئاسية ، المناشدة ، تنظيم وتوزيع قضايا المؤسسات العمومية على اعضاء الخلية ...) من شارع محمد الخامس وليس من قواعد المحاماة في شارع باب بنات.

وساهمت سياسة التجمع الدستوري الديمقراطي كحزب تجاه قطاع المحاماة في خلق نظرة عدائية ازاء المحامين القاعديين (الاغلبية الصامتة) لكل ما هو حزبي وحشد أغلب المحامين المتسيسين وغير المتسيسين ضد الحزب الحاكم وسياسة تطويع المحاماة لخدمة اجنداته الحزبية وتشكليهم ردا على ذلك التيار المهني المستقل الحقيقي دفاعا عن استقلالية المحاماة يضم محامين قوميين وشيوعيين واسلاميين ومستقلين لا يملكون القدرة ولا الارادة لتأسيس خلايا لأحزابهم في قطاع المحاماة.

واجه المحامون المهنيون المستقلون بمختلف انتماءاتهم الفكرية والسياسية خلية المحامين التجمعيين كخلية حزبية بكل شراسة قانونية وسياسية مطالبين اياهم بأن يكونوا « صوت المحاماة في حزبهم لا صوت حزبهم في المحاماة « ولهم في ذلك العميد فتحي زهير - عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الدستوري نهاية سبعينات القرن الماضي وعميدا في نفس الوقت -أسوة واقتداء ، اذ كان دوما صوت المحاماة في الحزب الاشتراكي الدستوري لا صوت حزبه في المحاماة وكانت مواقفه المبدئية تلك دفاعا عن استقلالية المحاماة في مواجهة الحزب الحاكم سببا في طرده من الحزب وخلافه الشديد مع الرئيس الاسبق الحبيب بورقيبة .

وواجه المحامون المهنيون المستقلون الخلية الحزبية للتجمع انتخابيا رفضا لتحزيب قطاع المحاماة خدمة للاجندات الحزبية التجمعية واسقطوا قبل الثورة بفضل تحالفهم وتكتلهم مع بعضهم مرشحيها للهياكل المهنية في أغلب المحطات الانتخابية داخل قطاع المحاماة رغم الامكانات المالية واللوجستية التي كان يتمتع بها محامو الخلية التجمعية

فكانت المحاماة التونسية متضامنة في ما بينها ، مناضلة من أجل تحقيق مطالبها المهنية ، مستقلة عن الحزب الحاكم وعصية عن التطويع والتدجين . تلك هي المحاماة.. بتاريخها وبروحها وبطبيعتها في علاقة تصادم دوما مع السلطة مهما كان لونها ولون الحزب الذي يحكم تلك السلطة ليجعل مهنة الجبابرة وهي تخوض أم المعارك ، معركة الاستقلالية عن السلطة وحزبها الحاكم فقط، فأستقرت المعركة على قاعدة :»السياسة ضد الحزب» الى ان انتصر التيار المهني المستقل الحقيقي المتماهي مع هياكله في 14 جانفي 2011 واسقط السلطة وحزبها وخليته الحزبية في قطاع المحاماة والكل يتذكر ان أول تحرك عرفته العاصمة ابان احداث الثورة كان بشارع باب بنات يوم 28 ديسمبر 2010 أين رفع لأول مرة شعار « بن علي...نسألك الرحيل « وترجم فيما بعد الى شعار DÉGAGE الشهير ، شعار أعيد رفعه بصيغة أخرى في تجمع 16 ماي 2024 بشارع باب بنات « يا مهدي ، يا زقروبة ..بن علي طاح بالروبة» في إشارة الى زي المحاماة الأسود .

وبعد الانفتاح السياسي الذي عرفته تونس بعد الثورة وطوفان تأسيس الاحزاب وبعد حل حزب التجمع الدستوري الديمقراطي ومختلف هياكله بما فيها خلية المحامين التجمعيين بدأ نجم المحاماة المتضامنة المناضلة والمستقلة في الافول ، وتراجع شيئا فشيئا دورها الريادي بمغادرة أغلب ان لم أقل كل المحامين المتسيسين المنضوين في التيار المهني المستقل الى أحزابهم أو الى شغل مناصب قيادية في أعلى هرم السلطتين التشريعية والتنفيذية وصلت الى حد تخلي عميد مباشر عن العمادة مقابل منصب وزير / «ساعي بريد» بين المجلس الوطني التأسيسي والحكومة وقد سهل له ذلك توسط شارع بنات بين القصبة وباردو .

وتعزز ذلك ان السلط الحاكمة باحزابها بعد الثورة لم تعمل على انشاء خلايا حزبية تابعة لها في قطاع المحاماة حتى انه ليس للسلطة الحالية حزب حاكم أصلا حتى تسعى الى بعث خلية حزبية تابعة لها مثلما فعل حزب التجمع الدستوري الديمقراطي المحلّ ولكم ان تتخيلوا لو طبقنا هذه القاعدة لصار عدد الخلايا الحزبية في قطاع المحاماة يساوي عدد الاحزاب الموجودة في الساحة السياسية!

وبما ان قطاع المحاماة مثله مثل الطبيعة يأبى الفراغ تقدمت جماعة التيار المهني المستقل « المزيف « لملء الفراغ الذي تركه التيار المهني المستقل الحقيقي لكن هذه المرة في ظل غياب خلية المحامين التجمعيين وفي غياب أي خلية حزبية أخرى وتمكنوا من الترشح وانتخابهم على رأس هياكل المهنة ليرفعوا من جديد شعار « لا لتسييس المحاماة» ولم يتمكن « زعيمهم» المهني جدا والمستقل جدا من تحقيق حلمه الأبدي والتربع على كرسي العمادة الا بعد التخلص من المحامين المتسيسين ليتربع حاليا على كرسي رئاسة الوظيفة التشريعية. أليست الوظيفة التشريعية وظيفة سياسية بإمتياز ؟!

واليوم يعود شعار « لا لتسييس المحاماة « ليعلو بقوة في شارع باب بنات عقب الازمة الحالية بين سلطة/ دون حزب ومحاماة متماهية مع روحها السياسية، وكان من الاصح رفع شعار « لا لتحزيب المحاماة « في ظل وجود عدة احزاب في الساحة السياسية...فمن رفع ويرفع اليوم شعار « لا لتسييس المحاماة» كمن يرفع شعار « لا للمحاماة»، أو كأن يرفع الجسد شعار :» لا للروح « أو ترفع الروح شعار :» لا للجسد « ، لأن السياسة هي المحاماة والمحاماة هي السياسة بوصفها فن تفعيل قيم الدفاع عن الحريات العامة والخاصة والعدالة وحقوق الانسان في الواقع ..لا تعارض بينهما وحين تدخل الحزبية في المعادلة يصبح ذلك مدخلا لحديث آخر .

المنطق السليم والعلم- علم الاجتماع السياسي- يعلمنا بأن أي مجتمع هو بالضرورة مجتمعان ؛ مجتمع سياسي تمثله الدولة بسلطتها واحزابها والمؤسسات التابعة لها ، ومجتمع مدني متكون من الجمعيات والمنظمات المهنية والهيئات غير الحكومية وحتى يكون نظام الدولة ديمقراطيا غير شمولي يتوجب على مكونات المجتمع المدني المحافظة على استقلاليتها وفي ذلك قوتها وقوة الدولة ، وكلما كان المجتمع المدني مستقلا وقويا كانت الدولة قوية وبذلك فإن في دفاع الهيئة الوطنية للمحامين عن استقلاليتها - في مواجهة السلطة والاحزاب السياسية - تكريسا لقوتها ولقوة الدولة وتكون هيئة المحامين - بوصفها مكونا من مكونات المجتمع المدني - قوية بالدفاع عن استقلاليتها وتضامنها ونضالها من أجل القيم الكونية لحقوق الانسان والحريات العامة والخاصة وجعل هذه المعركة معركة كل المجتمع المدني. ولذلك أعلن يوم السبت المنقضي عن تقديم هيئة المحامين مبادرة من أجل عقد مؤتمر

وطني للحقوق والحريات بمشاركة اتحاد الشغل ونقابة الصحافيين ورابطة حقوق الانسان والمنتدى الاقتصادي والاجتماعي .

كانت المحاماة قبل الثورة ملجأ ومتنفسا للمحامين المتسيسين في ظل انغلاق الحياة السياسية ورفض السلطة منحهم رخص تأسيس الاحزاب، و قد يكون لتواجد المحامين المتسيسين داخل قطاع المحاماة وعملهم على الدفاع على مبادئ وقيم عليا من اجل الانسان المقموع والجائع والمنتهكة حقوقه لان ذلك من صلب عمل المحامي له ما يبرره في حينه ويمكن ما يبرره وتسويغه . أما الآن وفي ظل حرية تأسيس الاحزاب ووصول بعضها الى السلطة وخروجها منها في ما بعد فلم يعد هناك أي مبرر للتوظيف الحزبي للمحاماة ومحاولة لإضفاء صفة الحزبية على الهيئة الوطنية للمحامين والعمل على جرها لمعارك حول « من يحكم ؟ « عوضاً عن «كيف يحكم ؟» فهي هيئة مهنية اصلاحية وليست حزبا ثوريا مهمته قيادة بقية الاحزاب « الثورية» للوصول الى السلطة أو العودة إليها وجر قطاع كامل لمعركة بين الاحزاب من جهة والسلطة من جهة أخرى لا ناقة له فيها ولا جمل.

سيكون من الاجحاف حقا تحميل قطاع المحاماة وهياكله وزر ضعف هذه الاحزاب وعدم قدرتها على تنظيم حركة الشعب في صيرورته التاريخية وحشده في الشارع لتحقيق مطالبها وكان على هذه الاحزاب مراجعة مواقفها والبحث في اسباب ضعفها وتراجع شعبيتها ودعم الهيئة الوطنية للمحامين – الممثل الشرعي والوحيد للمحامين- في نضالها من اجل الدفاع عن الحريات العامة والخاصة وقيم العدالة وحقوق الانسان وهو سقف ادنى لا نزول دونه .

واول هذه القضايا قضيّتا الاستاذة سنية الدهماني والاستاذ مهدي زقروبة بوصفهما قضيتين سياسيتين بإمتياز ومن ورائهما عشرات المساجين السياسيين وسجناء الرأي على معنى المرسوم 54 وهي قضايا عادلة في عمق قضايا الحق والحريات العامة والخاصة من دور هيئة المحامين وعميدها قيادة الدفاع عنهم جميعا خاصة بعد ما شابه عملية ايقاف الاستاذة الدهماني والاستاذ زقروبة وجرائم التعذيب المسلطة على الاخير – التي لن تسقط بالتقادم- من خرق واضح فاضح للاجراءات وللقانون وللاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب التي صادقت عليها تونس سنة 1988 في تسجيل لسوابق تاريخية كأول محام مباشر يتعرض للتعذيب الشديد ، وكأول مرة في تاريخ المحاماة التونسية الممتد طيلة 137 سنة يتم اقتحام دار المحامي في مناسبتين متتاليتين من قبل قوات الامن وارتكابها عديد الجرائم ..اقتحامات لم تجرُأ اجهزة أمن بن علي على ارتكابها خلال اعتصام المحاميات والمحامين بدار المحامي في مارس/ افريل 2005 للمطالبة باطلاق سراح محمد عبو ، واقصى ما فعلت تلك الاجهزة الأمنية في ذلك الوقت هو منع الاغطية والمؤونة عن المعتصمين أحيانا أو قيام محاميين اثنين فقط من خلية المحامين التجمعيين بالاعتداء لفظيا على زميلاتهم وزملاءهم المعتصمين ونعتهم بالعمالة والخيانة والاستقواء بالاجنبي ...

كان سقف اعتصام المحاميات والمحامين بدار المحامي في مارس/ افريل 2005 هو اطلاق سراح زميلهم الاستاذ محمد عبو وبدار المحامي انذاك نبتت بذرة هيئة 18 اكتوبر للحقوق والحريات بعد نقاشات وحوارات بين المحامين المتسيسين والمستقلين المنتمين للتيار المهني المستقل في مواجهة الحزب الحاكم وخليته الحزبية التجمعية بالمحاماة ..وتطور مطلب المحامين المعتصمين من اطلاق سراح زميلهم السجين السياسي في مارس 2005 الى مطالب ارفع في اكتوبر 2005 ضمن هيئة 18 اكتوبر للحقوق والحريات :

- حرية التنظم الحزبي والجمعياتي.
- حرية التعبير والصحافة .
- اطلاق سراح المساجين السياسيين وسن قانون العفو التشريعي العام .

ومثلما لم يحقق اعتصام دار المحامي في مارس 2005 هدفه باطلاق سراح محمد عبو ، لم تحقق هيئة 18 اكتوبر للحقوق والحريات أهدافها الى ان حدثت ثورة 17 ديسمبر / 14 جانفي .

ومثلما شكل «اليوم الموالي» عقدة مفاوضات انهاء العدوان على غزة بين المقاومة والعدو الصهيوني ، يشكل « اليوم الموالي « عقدة حقيقية في قطاع المحاماة بعد انقشاع الازمة الحالية حتما بين السلطة وهياكل القطاع ...الكل لا يريد ولا يستطيع حتى مجرد التفكير في « اليوم الموالي»...

فعلا التاريخ لن يعيد نفسه حتى في شكل مهزلة ولو بعد عشرين سنة فلا الزمان هو الزمان ولا الدار نفس الدار والطريق الى الجحيم مفروش دوما بالنوايا الطيبة.

مقترح بشأن الكشف عن الحالة الصحية للمترشحين لرئاسة الجمهورية

عفيف البوني

تستوجب رئاسة الدولة أن يكون الرئيس في حالة صحية وجسدية ونفسية وعصبية جيدة، فضلا عن أن يكون إنسانا ديمقراطيا سياسيا، وذا شخصية متزنة وأن يكون معاصرا لعصره ذهنيا وثقافيا... وذلك للحيلولة دون أن يحدث شغور في منصب الرئاسة ويكون ناجما عن الموت فجأة، وأيضا للحيلولة دون أن تتخذ القرارات المصيرية بارتجال أو بتسرع، أو تكون خاطئة في حال كان الرئيس مصابا بأمراض معينة.

وليس من العيب أخلاقيا، ولا من الخطإ سياسيا، بل إنه من الواجب، ومن المفيد، أن نستحدث تقليدا تونسيا جديدا يتم كما يلي:

أولا: يتقدم كل مترشح لرئاسة الجمهورية من تلقاء نفسه وطوعيا شهادة على الشرف إلى هيئة الانتخابات يشهد فيها كتابيا أنه بحالة صحية حسنة جسديا ونفسيا تسمح له بممارسة مهام الرئاسة بشكل نشيط.

ثانيا : تستحدث رسميا لجنة طبية وطنية من أطباء مختصين في الصحة الجسدية والنفسية والعصبية، تشكلها عمادة الأطباء لهذا الغرض، وتقوم هذه اللجنة بإجراء فحص مباشر لكل من تم قبول ترشحاتهم في الدورة الأولى للتأكد من سلامتهم الصحية، ويمكنها أن تستعلم عن الحالة الصحية لكل مترشح من الأطباء المباشرين له سابقا. كما يمكن لهذه اللجنة أن ترفض بتعليل طبي، ترشح أي مترشح لا تسمح له حالته الصحية بممارسة مهام رئاسة الدولة كوجود عائق صحي خطير قد يؤثر سلبا على اتخاذ القرارات أو على تسيير دواليب الدولة بشكل طبيعي.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال» شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

Auto Fest édition #2
Du 15 avril au 15 mai

DES REMISES & DES AVANTAGES CLIENTS
ALLANT JUSQU'A
15 000DT

L'occasion de renouveler
votre véhicule

SSANGYONG | KGM
mahindra Rise
GEELY

EN PARTENARIAT

www.auto-fest.tn 70 130 130

«سبرولس» تتكبّد خسائر بالمليارات على مساكن تم الاستحواذ عليها

• مستولون أسسوا جمعية للدفاع عنهم
• مديرة بالشركة : بعض المتحوّزين احتموا بالنهضة

محمد الجلالي

تواجه شركة النهوض بالمساكن الاجتماعية (سبرولس) صعوبات جمة في حوكمة عقاراتها مع تواصل استيلاء عشرات الاشخاص على مساكن لها بمنوبة والمنستير وتوقف مئات الحرفاء عن دفع ما تخلّد بذمتهم لفائدة المؤسسة العمومية.

في الاثناء يبقى تنفيذ مئات الاحكام القضائية الصادرة لفائدة الشركة مرتبطا بعديد العوامل منها توفر الارادة السياسية والحرص على تطبيق القانون.

في تقرير يعود الى سنة 2017 أشار مراجع حسابات شركة "سبرولس" الى ان المؤسسة لم تتمكن الى حدود نفس السنة من استرجاع 103 مساكن كان قد استولى عليها أشخاص بكل من معتمدية دوار هيشر من ولاية منوبة ومنطقة "الفرينة" من ولاية المنستير.

هاجر جلال مديرة الشؤون القانونية بالشركة اوضحت بدورها في تصريح لـ"الشارع المغاربي" انه تم الاستيلاء اثر ثورة 2011 مباشرة على 49 غرفة تابعة لمبيت جامعي سابق على ذمة المؤسسة وأن القضاء اصدر احكاما في حق المستولين وانه تم تكليف عدول تنفيذ للقيام بعمليات الاخلاء دون ان تتمكن الشركة من ذلك.

واكدت المسؤولة بالشركة انه تم بين 2011 و2024 عقد عديد الجلسات بولاية المنستير بمشاركة ممثلي مختلف السلطات الجهوية للتسريع في عمليات الاخلاء وان ذلك لم يتم.

واتهمت الجهات المشرفة على التنفيذ بالتعلّل بعدة أسباب لتأجيل عمليات الاخلاء وبالمماطلة في التنفيذ تارة بدعوى قدوم احد الاعياد وطورا باقتراب موعد العودة المدرسية وحينا آخر بدخول شهر رمضان المعظم.

إلى ذلك شدّدت المتحدثة على أن الشركة تلقت في الاثناء عدة اتصالات من سكان "الفرينة" يتشكون فيها من سلوكات بعض المستولين مرجحة ان يكون هؤلاء من المارقين عن القانون.

وقالت ان مشروع اعادة تهيئة المبيت تعرض أيضا الى السرقة والتخريب.

"في عقاراتنا مارقون عن القانون"

المديرة أبرزت من جانب آخر ان مساكن اخرى على ملك "سبرولس" بمنطقة دوار هيشر من ولاية منوبة كانت بدورها محل تحوّز من قبل عديد الاشخاص ملاحظة ان الشركة استرجعت 40 مسكنا من مجموع 88 أكدت أنه تم الاستيلاء عليها.

وتابعت: "في احدى المناسبات تم تكليف عدول تنفيذ والتنسيق مع السلطات الامنية وتحديد موعد لتنفيذ عمليات الاخلاء على الساعة الخامسة صباحا ثم تم اعلامنا بأن القوات التي كانت ستشرف على الاخلاء تلقت اتصالا هاتفيا يقضي بتأجيل التنفيذ دون ان يتم تحديد ماهية الجهة المتصلة".

وأوضحت قائلة" الغريب انه حالما فرغ المقاول المتعاقد مع "سبرولس" من تشييد مساكن دوار هيشر وقبل تسليمها نهائيا فوجئت الشركة بوجود أشخاص قاموا باحتلالها".

واكدت ان اغلب من استولوا على مساكن دوار هيشر من المارقين عن القانون وان المحكمة اصدرت احكاما تقضي بالإخلاء ملاحظة ان احد المتحوّزين قضّى عقوبة سجنية ثم عاد الى المسكن الذي استولى عليه دون ان تتمكّن الشركة من استعادته.

وابرزت ان "سبرولس" تواجه صعوبة كبيرة في اخراج عديد الاشخاص من عقاراتها وان الامر يتطلب تدخل القوة العامة وتوفر الارادة السياسية للتنفيذ".

المديرة خلصت الى القول ان محاولات تنفيذ الاحكام القضائية جوبهت بعمليات صد متنوعة منها تهديد اشخاص بحرق انفسهم في صورة اخراجهم من المحل واحتماء آخر بعدد من الكلاب التي تشاركه المسكن.

وأردفت مستغربة "بلغ الامر بعدد من المستولين على مساكن الشركة الى حد تأسيس جمعية للدفاع عنهم".

وقالت " حتى الاربعين مسكنا التي تم استرجاعها اصبحت تشكل عبئا

على المؤسسة العمومية باعتبار انه تم تكليف شركة حراسة لضمان عدم عودة المستولين ونظرا لأنه بات من الصعب بيعها بالنظر لتخوف الحرفاء من السمعة السيئة للاجوار المتحوزين.

وأفادت بأن كلفة عمليات حراسة المساكن المسترجعة بلغت بين 2011 و2024 قرابة مليون دينار.

اخلالات في الحراسة

تقرير مراجع الحسابات حول انظمة الرقابة الداخلية بالشركة لسنة 2011 كشف بدوره عدة إخلالات تتعلق بأعمال الحراسة مسجلا ان كلفة حراسة بعض المشاريع تتجاوز السقف المحدد لإبرام الصفقات العمومية ضاربا مثالا على ذلك مشروعين بجندوبة والعقبة من ولاية منوبة.

التقرير خلص إلى ان وضعيات من هذا القبيل لا تمكّن من متابعة انجاز أعمال الحراسة وتتسبب في تحمل الشركة اعباء اضافية كاشفا ان رئيس مدير عام المؤسسة العمومية كان يصادق على عقود الحراسة بتأخير يصل الى 330 يوما من تاريخ دخول العقد حيّز التنفيذ.

من جانبها فسّرت هاجر جلال عدم استعادة المساكن التي تم الاستيلاء عليها بضعف تطبيق القانون خلال السنوات السابقة لافتة في المقابل الى ان الدولة تمكنت خلال السنة المنقضية من استعادة 24 مسكنا بمعتمدية تالة من ولاية القصرين تم الاستيلاء عليها سنة 2019 دون مشاكل تذكر عندما توفرت الارادة.

وتطرقت الى حيثيات عمليات الاستيلاء مذكرة بانه مع مغادرة المقاول حضيرة البناء على الساعة السادسة مساء حل ركب من المستحوذين أثثوا المساكن واستقروا بها واحتفلوا بعمليات الاحتلال غير القانونية بطهو الكسكسي.

وشددت على ان عمليات الاسترجاع تمت دون حصول أية ممانعة من المستولين او شغب ملاحظة ان حضور عون أمن واحد كان كافيا لفرض تطبيق القانون وتنفيذ عمليات الإخلاء.

وقالت ان "سبرولس" راسلت مؤخرا وزارة التجهيز في ما يتعلق بالمساكن المستولى عليها مشيرة الى انها باتت اليوم بالنظر لعودة هيبة الدولة متفائلة بامكانية استعادة بقية مساكن دوار هيشر خلال الاشهر المتبقية من السنة الحالية.

عمارات السبرولس بحي الرمانة

وأكدت المسؤولة عن الشؤون القانونية بالشركة ان ادارة المؤسسة بعثت بين 2011 و2023 قرابة 70 مراسلة الى رئاسة الحكومة ووزارة الداخلية وغيرهما من الادارات المتدخلة لحثها على تنفيذ احكام اخلاء المساكن المستولى عليها وانه كان للادارة عدة تدخلات اعلامية للتحسيس بخطورة عمليات التحوز غير القانونية اضافة الى تحرك نقابة اعوانها للمطالبة بفض الاشكال المستمر.

يذكر ان إطارات واعوان الشركة نفذوا خلال شهر أفريل 2016 وقفات احتجاجية يومية فى مقر المؤسسة للمطالبة بتنفيذ أحكام قضائية تقضي باسترجاع مساكن على ملك الشركة كان قد استولى عليها مواطنون بكل من الفرينة بالمنستير ودوار هيشر بمنوبة.

ولاحظت المتحدثة ان ظاهرة الاستيلاء على المساكن لم تكن موجودة قبل الثورة وان الانفلات الامني الذي حصل ابانها وعدم توفر الارادة السياسية اللازمة وضعف الدولة أدت كلها الى تجاسر بعض الاشخاص على الملك العمومي ومن بينه أملاك "سبرولس".

موظف بالمؤسسة افاد بدوره في تصريح لـ "الشارع المغاربي" بأن احد المستولين على مساكن "الفرينة" بالمنستير قال صراحة انه تم توظيف ملفهم في الحملات الانتخابية.

وذكرت المديرة هاجر جلال انه تناهى الى الشركة أن احزابا مثل حركة النهضة او العمال استغلت من جهتها ملف مساكن دوار هيشر خلال الانتخابات لافتة الى انها لاحظت خلال تحولها الى مساكن دوار هيشر خروج أشخاص من المقر الجهوي للنهضة الموجود قبالة المساكن للدفاع عمن استولوا عليها.

ديون في ذمة الحرفاء

هاجر جلال عرّجت على عدد من المشاريع التي تم استثناؤها من التفويت بكل من المرسى والمنزه 8 والرمانة والمنار قائلة ان الشركة حصلت على احكام قضائية تلزم مئات الحرفاء بدفع ما تخلد بذمتهم مشيرة الى ان الملف في طريقه الى الحل.

وتحدثت مصادر بالشركة عن وجود لجنة تضم عديد الاطراف مشيرة الى انها عقدت عديد الجلسات السرية للنظر في الملف خاصة بعد توقف شاغلي مساكن "سبرولس" بالمناطق الاربع عن خلاص معاليم الكراء الشهرية مرجحة ان يؤول الامر الى التفويت في المساكن الى مستغليها مقابل خلاص ما تخلد بذمتهم.

يذكر ان تقارير رقابية متعاقبة على "سبرولس" خلصت الى وجود عدة إخلالات تتعلق بالتصرف في عقاراتها وفي علاقتها بحرفائها من بينها تقرير انظمة الرقابة الداخلية لسنة 2017 الذي أفاد بأن الشركة لم تتمكن بين 2011 و2016 من تنفيذ 231 حكما استعجاليا يقضي بالزام مئات الحرفاء من مغادرة مساكنها في صورة عدم دفع ما تخلد بذمتهم.

وشدد التقرير على ان ديون بيع المساكن وكرائها المتخلدة بذمة حرفاء "سبرولس" بلغت في 2016 أكثر من 2.5 مليون دينار.

وأفاد نفس التقرير بان ديون "سبرولس" وصندوق الضمان الاجتماعي وصندوق 26 – 26 المتخلدة بذمة الحرفاء ممن اقتنوا بين 2011 و2017 مساكن عمومية من تلك المؤسسات او استأجروا منها محلات ومساكن فاقت 25.6 مليون دينار.

اما عما تخلد بذمة حرفاء الشركة في ما يتعلق بخلاص معاليم كراء مساكنها الكائنة بكل من المرسى والمنار والمنزه الثامن والرمانة والتي تم استثناؤها من التفويت فقد بلغت الى حدود سنة 2017 قرابة 10 ملايين دينار وفق تاكيد نفس التقرير.

يذكر ان "سبرولس" راسلت كل متسوغي مساكنها بالمناطق الاربع والبالغ عددهم 824 ساكنا لحثهم على استكمال 774 ملفا قبل اتمام اجراءات التفويت فيها لفائدتهم تطبيقا لقرار مجلس وزاري منعقد بتاريخ 17 نوفمبر 2015.

وتراوحت أسعار بيع المتر المربع بين 630 دينارا بالنسبة لسكان الرمانة و920 دينارا بالنسبة للمنار و1020 دينارا بالنسبة للمرسى و1050 دينارا بالنسبة للمنزه الثامن غير انه لم يتم التفويت في المساكن بعد أن اعتبر أغلب المتسوغين ان الأسعار ليست في متناولهم.

تفشي ظاهرة العنف داخل المدارس.. أسبابه وطرق علاجه

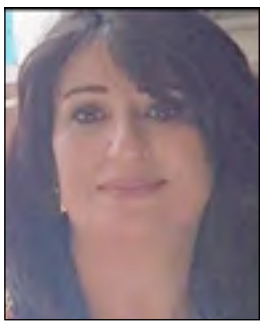

بهيجة بالربيع بنرقية

يستطيع الشخص الذكي والمتوازن نفسيا التعامل بالحوار والحديث والهدوء اكثر من غيره فكلما قل ذكاء الفرد زاد اعتماده على لغة الجسم ،وكلما قل تركيزه تولى الجسد لغة التعامل وضعف العقل على التحكم فيه وتنبيهه الى خطورة ما يقدم عليه .لذلك نجد أن من يعانون من التخلف العقلي لديهم سلوك عدواني شديد والسبب ان «ذهنيتهم» قاصرة عن التعامل مع الاخرين بشكل متكافىء.

فالانسان المحبط وغير القادر على التعامل مع الاخرين بشكل متكافىء يسلك سلوك العنف كنوع من رد الفعل.

ظاهرة العنف المدرسي وتبعاتها على الفرد والمجتمع

أصبح العنف المدرسي وما ينجر عنه من مخاطر تمس الأشخاص في أجسادهم أو ممتلكاتهم أو نفسيتهم ظاهرة اجتماعية خطيرة،يصعب التغاضي عنها وعدم الخوض فيها وفي أسبابها ونتائجها الوخيمة على الفرد والعائلة والمجتمع ككل. العنف المفرط الذي يؤدي الى الأذى أصبح حقيقة مخزية تتنامى يوما بعد يوم في غياب تام للردع والعقاب ،مما جعل الأطفال والمراهقين خاصة يتمادون في انحرافهم وأعمالهم التخريبية المضرة بالأشخاص وممتلكات الأفراد والمجموعة الوطنية .

تسقط الأخلاق وتعم الفوضى والجريمة غالبا عندما تمر المجتمعات بأزمات اقتصادية واجتماعية عصيبة ،فيصبح تجاوز القوانين سهلا والتعدي على الغير بلا ضوابط إنسانية وتنتقل عدوى هذه الفوضى من العائلة والشارع الى داخل المؤسسات التعليمية التي تضم بين جدرانها طبقة هشة من المجتمع يسهل تشكيلها والتلاعب بها وهي الأكثر تأثرا بالفوضى والأكثر تبنيا لأعمال التخريب والهدم لأنها تفتقد الى الحكمة والترشد والنظر الى الأمور نظرة المتبصر ، مما جعلنا اليوم نرى بحزن وعجب تلاميذ يحملون آلات حادة ؛ وممنوعات داخل الحرم المدرسي وما تعنيه كلمة «حرم» من طهر وقداسة الشيء الذي يجعل هذه الفئة الضالة خطرا على زملائهم وعلى أنفسهم؛ لذلك لا بد من تناول معضلة العنف بالمدارس بمختلف مظاهرها وأسبابها،و ان ندرسها دراسه علميه متأنيه؛ لأجل بناء أعمدة مجتمع مستقر وسليم .

مفهوم العنف

يُشير مفهوم العنف حسب معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية إلى تلك الظواهر المتمثلة في الاستخدام المفرط للقوّة بصورة غير مباحة شرعاً أو قانوناً، من قبل فرد أو مجموعة من الأفراد بقصد إجبار الآخرين على الانصياع لرغباتهم أو تبني أفكارهم ورؤيتهم الخاصة للأمور الحياتية المختلفة، أو انتقاما ،أو اسقاطا لبعض العقد النفسية التي يصاب بها هؤلاء مما يحملهم على الاضرار بغيرهم جسديا أو معنويا أو ماديا ،الأمر الذي ينتج عنه تبعات اجتماعية خطيرة، فتعم الفوضى في المجتمع، وتنتشر مشاعر انعدام الأمان ، والبغض والعدائية بين أفراده.

الاتجاهات النظرية المفسّرة للعنف

توجد اتجاهات نظرية مفسرة لظاهرة العنف تقوم كلّ واحدة منها على مبادئ معينة، وهذه الاتجاهات كالآتي:

الاتجاه الأنثروبولوجي

حيث يُبرئ ألبورت على عكس فرويد الفطرة أو الغريزة الإنسانية من تهمة العنف، فيعتقد الأنثروبولوجيون أنّ العنف ما هو إلّا أزمة ثقافية في المنظومة المجتمعية وقع تناقلها من جيل إلى آخر.

الاتجاه السوسيولوجي

تدور النظريات السوسيولوجية بالمجمل حول فكرة أنّ العمل العنيف هو مجرد سلوك تحصيلي لعوامل خارجية تتمثل في المشاكل الاجتماعية، وأنّ السلوك العنيف لا يختلف عن مجموع السلوكات الاجتماعية العامة للأفراد: «العنف مكتسب» نتيجة التنشئة الاجتماعية لذلك من يُضرب يَضرب وعادة الضرب موجود في بلادنا من قبل الكبار على الصغار، والرجال على النساء وهذا يعود لبيئة المجتمع وللارث الحضاري الموروث..

الاتجاه النفسي الاجتماعي

يقوم هذا الاتجاه على أنّ العوامل النفسية الذاتية بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية الخارجية هي التي تُكوّن السلوك العنيف وتُعزّزه، وهذه الرؤية الشمولية هي ما يُعطي لنظريات هذا الاتجاه أهميتها وعمقها التحليلي. كما يرى بعض المحللين من هذا التيار أن العنف غريزة تولد مع الانسان في ثنائية الخير والشر اذ يقول الفيلسوف الإنجليزي «توماس هوبز»: إن العنف فطري في الطبيعة البشرية، واصفًا الوجود بأنه «حرب الجميع ضد الجميع».

والحقيقة العلمية المتفق عليها الآن هي ان هناك دورا واستعدادا وراثيا للعنف والعدوان والسلوك الاجرامي. وهذا اما ان يفرز ويظهر في البيئة والمجتمع والتربية واما ان يمنع ويضبط من خلال الضوابط الاجتماعية والسلوكية والاجتماعية والتربوية.

وللعنف أيضا دوافع نفسية بعضها له علاقة بالوراثة والجزء الاكبر سلوك مكتسب والجزء المتبقي سلوك تُتيحه ظروف العائلة والبيئة.

فالطفل الذي ينشأ في أسرة مفككة يتجه بلا شك للاحباط والقلق الذي يعيشه فيضع نفسه في وضع «الصدام» او «جلد التمساح» ليحمي نفسه بالسلوك العدواني حفاظا على توازنه نفسيا.

كما يرى بعض المحللين ان لكثير من الصفات الشخصية للأب والام علاقة بالوراثة وأنهم بالتالي يعكسون بعض سماتهم وسمات ابائهم وامهاتهم على اطفالهم. فاذا كان لدى الاب او الام اضطرابات شخصية خاصة الشخصية التي تسمى «ضد اجتماعية» والشخصية «العظامية» والشخصية «العصابية» فهذه الانماط تورث للأبناء وجزء كبير منها يسلك سلوك العنف كوسيلة تعامل مع الاخرين.

فاذا اتسمت شخصية الأب بالعنف فان الطفل والمراهق يكتسب هذا السلوك بالتعلم والتقليد.ومن هنا يظهر لنا أن الأسرة هي الأساس الأول لبناء انسان عنيف ومنحرف. إما عن طريق توريث هذا الشعور العدواني أو اكسابهم اياه بالسلوك والتصرف أمامهم.أو وضع الطفل في محيط متشنج قلق وتعريضه الى التهجم والتنمر والاحتقار والعنف المادي واللفظي

كما يرون ان في كثير من الامراض النفسية سلوك تهجميّ كحالات الهوس التي تمتاز بالنشاط الذاتي وكثرة الكلام وقلة النوم وهذا بدوره يؤدي الى سلوك عدواني.

كما أبرزوا أن المصابين بالاكتئاب التهيجي يكونون دائما منفعلين وأن أي سبب بسيط وتافه قد يؤدي بهم الى الهيجان والعنف والتعامل مع الاخرين بهذا السلوك لأنهم لا يستطيعون التكيف مع معطيات الحياة بالحوار والحديث...

فالعنف بالنسبة لهم ابسط واردأ انواع التعامل.،كذلك الحال مع مرضى الانفصام الذي يؤدي ببعضهم الى هلوسات شخصية وشكوك تدفعهم للعنف وايذاء الآخر

العنف المرضي نوعان

العنف الظاهر الذي يمكن لأي شخص ان يمارسه بايذاء الاخرين بشكل واضح وعلى مرأى من الجميع. اما العنف المبطن.. فبعض الاشخاص ممن يقعون تحت القمع والاحباط والتسلط من قبل الاهل فانهم يسلكون سلوكا باطنيا بالعنف مثل تخريب ممتلكات المنزل والمدرسة والاماكن العامة..... انهم يسقطون العنف الذي يشعرون به من قبل الوالد والوالده مثلا على الاخرين بتخريب الممتلكات او اطلاق اشاعات واتهامات كاذبة او يهملون العمل والدراسة وهذه سلوكات العنف المبطن وكثير من الناس غير القادرين على التعبير يسلكون سلوك عنف مبطن ظنا منهم انهم بهذه الطريقة ينتقمون لأنفسهم.

العنف من منظور عقائدي تاريخي

يؤكد الباحثون والمؤرخون أن الإرهاب ظاهرة قديمة قدم العلاقات الإنسانية على وجه الأرض وأنها ترتبط بوجود علاقات اجتماعية بين بني البشر، وبوجود الصراع بين الحق والباطل وأن هذه الظاهرة ليست بالتالي نشاطاً بشرياً طارئاً أو مفاجئاً، بل قديمة قدم الانسان. فلم يخل زمن أو عصر من «شذوذ» في تصرفات بعضهم، ومن ظهور من يتمرد على القوانين والروابط المؤمنة لسلامة المجتمع من الناقمين عليه والشاعرين بالدونية داخله فيخرجون عن نظمه ،نذكر أقدم حادثة تتسم بالعنف والاجرام في تاريخ البشر من المنظور العقائدي الديني قصة ابني آدم قابيل وهابيل. وتسجل كتب التاريخ أن هذه أول حادثة يتمثل فيها أول عمل ينقلب فيها الفرد على قوانين قومه لتحقيق مآرب ذاتية غريزية على وجه الأرض .

ليست قصة قابيل وهابيل الأولى ولا الأخيرة التي يتمثل فيها العنف بايذاء الآخرين اذ يغلب على معظمها صراع ثنائية الشر والخير والشر بين الأفراد والمجتمعات في شكل حروب.. وما من رواية تاريخية الا وكان العنف حاضرا بكل رمزياته ودلالاته ، ومن الغريب أن يقع دراسة هذه آلموآضيع المبنية على العنف منذ سنوات الطفولة الأولى حيث يصبح العنف هو الوسيلة المشرعة الأولى لنشر الحق ،وفرض الرأي . يتبناها الناشئة بطرق مسلمة على أنها الوسيلة المباركة للدفاع عن النفس .وعن الحق داخل مجتمعهم وحتى بين أفراد عائلتهم.

مظاهر العنف في المدارس

يدق خبراء علم النفس والاجتماع ناقوس الخطر محذرين من تفاقم ظاهرة العنف المدرسي في تونس بعد أن تجرأ تلميذ على شق رأس أستاذه بساطور ، وتعمدت تلميذة على «تشليط « وجه أستاذها بشفرة حلاقة وذهاب آخرين الى حد تخريب ممتلكات مربييهم من سيارات واعتداء تلميذ على تلميذ آخر بفقء عينه بمقص وتتوالى الحوادث وتتعدد خاصة بين التلاميذ الصغار والمراهقين منها ما ينشر ومنها ما يبقى طي الكتمان مخافة ردود الفعل غير

المنتظرة والانتقام. ولأن القانون لا يعاقب صغار السن فان بعضهم قد يستغل هذه الثغرة العميقة لدفع بعضهم الى التشفي في أعدائهم وخصومهم عن طريق دفع الأطفال الى أعمال عنف ضدهم مثلما يحدث في بعض بلدان الشرق حين يدفعون بأولادهم الصغار الى اقتراف جرائم الشرف ضد أخواتهم البنات ..

ويجمع المختصون في دراسة هذه الظاهرة على أن التلميذ يمارس العنف ضد الفئات التي تشكو من هشاشة نفسية أو اجتماعية، إما تقليدا لما رآه حوله من عنف، أو محاكاة له وعلى انه يجد في ما تبثّ وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الاعلام المرئية من مسلسلات وأفلام وألعاب فيديو تتسم كلها بطابع العنف والجريمة ما يحفزه على ارتكاب أعمال مشابهة .

تغير مفهوم الشخصية المثال أو الرمز من الشخصية الطيبة العاقلة الحكيمة فاعلة الخير التي تربت عليها الأجيال السابقة الى الشخصية القوية الجسد، العنيفة، التي تقهر كل الموانع باستعمال القوة. ولا أدل على ذلك من انتشار العنف اللفظي بين الأطفال والمراهقين وحتى بين الكبار الى درجة أصبح يتقبلها المجتمع كسلوك عادي وتبناها كطريقة للتعبير حتى عن الحب .

طرق مقاومة ظاهرة العنف في المدارس

يصعُب منع العنف المدرسي من قِبل جهةٍ واحدة؛ لأن ذلك يتطلّب جهداً مجتمعياً على جميع الأصعدة. وعموماً تلعب العائلة والوسط المدرسي دوراً أساسياً في الحد منه، لِذا وجب عليهما التعاون لإيجاد الحلول الجذرية؛ التي من الممكن أن تمنعه وعلى الأقل تحد من انتشاره ،ويكون ذلك بتأطير الطفل داخل أنشطة ونواد تجمع بين الترفيه والتسلية وتهذيب النفس.

ممارسة الرياضة البدنية

يمتلك الأطفال والمراهقون خاصة طاقة جسدية تفوق طاقة التفكير ويميلون الى الحركة أكثر من غيرهم. فاذا لم تصرف هذه الطاقة في الرياضة فانها تنعكس سلبا على سلوكهم ويتم صرفها في أعمال الشغب والتدمير والعنف. لذلك وجب التفكير في تأطير كل الأطفال والشباب في رياضات داخل المدارس أو في نواد أو في قاعات الرياضة العمومية وصقل هذه الطاقة لاستخراج مواهب في كل الفنون الرياضية.

المطالعة والاشتراك داخل المكتبات العمومية

المطالعة عامل هام لتنشيط خيال الطفل ودفعه على التأمل والتفكير. فالكتاب هو الأساس لخلق شخصية متوازنة ذكية اجتماعيا، مهذبة أخلاقيا ، يفتح أمامه عوالم أرحب من تلك التي يعيشها ويجعل له أجنحة في عالم المعرفة والإبداع

الحد من استعمال الهواتف الذكية وألعاب الفيديو الخطيرة

•إلهاؤهم بأنشطة ذهنية داخل المنزل والحد من مشاهدة برامج التلفريك التي تروج للعنف سواء عن طريق الافلام والمسلسلات أو عن طريق البرامج التي يطغى عليها الإنعزال وتبادل التهم والسباب...

موضوع العنف داخل المجتمع موضوع شائك ويصعب الخروج منه اذا لم تتعاضد كل الجهود بين كل المؤسسات المجتمعية بدءا من العائلة الى الشارع الى المدرسة وصولا الى مؤسسات الدولة، ولا بد من اعادة النظر في كل البرامج الموجهة الى الطفل لتفادي تفكك المجتمع والوقوع في مآس أسرية واجتماعية يصعب علاجها.

المدرسة العقلية التونسية

د.محمد اللومي

أعتقد أن طموحنا المشروع للخروج بتونس من الاوضاع المعيشية والحضارية من بؤس وهوان التي تردت فيها والارتقاء بها الى ما هي به جديرة من التقدم والرقي- في جميع المجالات- يجب أن يستند الى حركة الإصلاح التي ظهرت في القرن التاسع عشر، ونادت بالحكم المقيد بالقانون والتي انبثق عنها "عهد الأمان" سنة 1857، وهو أول ميثاق لحقوق الانسان وأول دستور مكتوب في العالم العربي.. فكذلك كان شأن الحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي، انطلاقا من حركة الشباب التونسي لسنة 1907، مرورا بالحزب الحر الدستوري التونسي لسنة 1920، ووصولا الى الحزب الحر الدستوري الجديد لسنة 1934.. وتلك أيضا كانت مرجعية النظام السياسي غداة استقلال البلاد يوم 20 مارس 1956 بقيادة «الزعيم الحبيب بورقيبة»، في بناء الدولة التونسية الحديثة وجعلها مستقرة وقابلة للاستمرار.. كل تلك المحطات كانت سليلة حركة إصلاحية وتحديثية ميزت تاريخ تونس المعاصر والحديث منذ منتصف القرن التاسع عشر.. وكانت البداية برحلة «أحمد باي» الى فرنسا سنة 1846 رفقة وفد من وزرائه ومستشاريه، حيث تفتحت عيون دعاة الإصلاح على النهضة الغربية وازدهارها القائم على التطور الفكري والتقدم العلمي والنظام الديمقراطي والعدل الاجتماعي.. وكان لاتصال النخب التونسية بفرنسا كبير الأثر في بلورة الحركة التحديثية الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث ازداد توهج الشعلة التي حملتها النخبة المستنيرة وبخاصة العلامة التونسي «الشيخ محمود قابادو»(1815-1871) الذي أشرف على احداث «المدرسة الحربية»بباردو(مكتب المهندسين)، وكانت مدرسة للتعليم العصري والقائم على تدريس العلوم الحكمية والرياضية التي هي سر النهضة الأوروبية.. ثم تلاحمت أطراف دعاة الإصلاح العلمي والسياسي والاجتماعي واتحدت صفوفهم حول خير الدين باشا التونسي» (1820-1890) الذي سيتزعم التيار الإصلاحي والتحديثي ويكرسه في الواقع بجملة من الإنجازات العظيمة كتأسيس «المطبعة الرسمية» وجريدة «الرائد التونسي» و»المجالس البلدية».. ويعد احداث «المدرسة الصادقية» سنة 1874، مبادرة تعكس تعلق خير الدين بضرورة الجمع بين العلوم الغربية والدينية وبين تحصيل المعارف العصرية والتقنية واللغات الأجنبية الحديثة.. وحين امتزجت فلسفة «الشيخ محمود قابادو» بسياسة «المصلح خير الدين باشا» على أساس نشر المعارف وجبر نقصها باقتباس العلوم الكونية، فان التيار الإصلاحي التحديثي أفرز حسب اعتقادي مدرسة عقلية تونسية قائمة الذات.. واذ لا ينكر المرء بأن المدرسة العقلية التونسية للقرن التاسع عشر هي تواصل للأنوار الفرنسية خلال القرن الثامن عشر، وبأن كلتاهما تحتكمان في نفس الوقت الى المدرسة العقلية اليونانية لما قبل المسيح، والمدرسة العقلية العربية الإسلامية للعصر الوسيط، الا أن ذلك لا يمكن أن يحجب البتة ما كانت عليه المدرسة العقلية التونسية من قوة.. ولك أن تنظر الى ما قاله المصلح الكبير «خير الدين باشا» في كتابه «أقوم المسالك»..»لقد أصبحت الدنيا بما حدث من الوسائط التي قربت تواصل الأبدان والأذهان ،بلدة متحدة تسكنها أمم متعددة، حاجة بعضهم الى بعض متأكدة، وان الفوائد التي تحققها أمة مطلوبة لسائر بني الجنس البشري».. لتوقن بأن المدرسة العقلية التونسية بشرت «بالعولمة» قبل أكثر من قرن من حدوثها..و في اعتقادي، فان المدرسة العقلية التونسية للنصف الثاني من القرن التاسع عشر، على حصافتها وقوتها، ما كان لها أن تستمر وتؤتي ثمارها في التأسيس لتحرير الوطن وبناء الدولة الحديثة، لو اقتصرت أركانها في الإصلاح والتحديث على الجوانب العلمية والسياسية والاجتماعية فحسب.. فحسبي أنه كان لابد، الى جانب «الشيخ محمود قابادو»، و»الوزير خير الدين»، من ضلع متين ثالث ينادي في الناس، بأن الخروج بالوطن من مستنقع التخلف والاستعمار الى رحاب الحرية والاستقلال والتقدم، لا يمكن تحقيقه البتة، مهما فعلنا، بدون الخروج بالدين وعلومه من حيز الجمود والتقليد الى منارات الإصلاح والتجديد.. وكانت بدايات القرن العشرين سخية في تعضيد المدرسة العقلية التونسية بإسهامات العلامة الكبير وشيخ الإسلام الجليل» محمد الطاهر ابن عاشور» (1879-1973)، الذي نذر حياته وعلمه وعمله، لكسر وتحطيم أطواق الجمود والتقليد التي قيدت العقل المسلم عن التفاعل مع القران الكريم والحياة المعاصرة.. فلا شك حينئذ في أنه كان لـ»الشيخ الطاهر ابن عاشور»، الفضل الكبير في اكساب المدرسة العقلية التونسية القوة والمناعة والديمومة التي كانت في أشد الحاجة اليها، وذلك بتشريعه للنهوض والتقدم وفق منهج عقلي إسلامي.. ففي نظري أكسب «الشيخ الطاهر ابن عاشور» المدرسة العقلية التونسية القوية صبغة إصلاحية تحديثية- شاملة - تنطلق من الدين وتتواصل مع العقل، نحو اصلاح شؤون الوطن والمجتمع.. والأكيد أن ما خطه العلامة «الشيخ الطاهر ابن عاشور» من نفيس الكتب والأسفار يعد خير تدليل على عمق وتجذر اسهاماته- المحددة- في تشكيل المدرسة العقلية التونسية القوية.. فـ»الشيخ الطاهر ابن عاشور» الذي تعلم في صباه القرآن الكريم بالتوازي مع تلقنه اللغة الفرنسية، والذي درس مع بداية شبابه بالزيتونة عنوان الأصالة ، وبالمدرسة الصادقية رمز المعاصرة، كان كتابه «أليس الصبح بقريب؟»، ترجمان انتصاره لرؤية حضارية مستجدة، تتناغم في كنفها الأصالة والحداثة.. ثم جاء كتابه «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»، كدعوة صريحة للإصلاح التربوي والاجتماعي على أساس التناغم بين الأصالة والحداثة.. اصلاح تربوي واجتماعي من خلال الإسلام وليس بعيدا عنه.. اصلاح تربوي واجتماعي بقدر ما يمثل ثورة على التقليد والجمود بقدر ما يكون ثورة على التسيب والضياع الفكري والحضاري.. وفي حيز اخر، يعد «الشيخ الطاهر بن عاشور» من كبار مفسري القران الكريم في العصر الحديث.. حيث احتوى كتابه «التحرير والتنوير» عصارة جهده الاجتهادي، الذي تواصل لمدة خمسين سنة، في تفسير ما جاء في الذكر الحكيم، ولكن حسب منهج مستحدث، يقوم على أن الاقتصار على الحديث المعاد في التفسير هو تعطيل لفيض القران الكريم الذي ما له من نفاد، وأن أحد أسباب تأخر علم التفسير هو الولع بالتوقف عند النقل واتّقاء الرأي ولو كان صوابا حقيقيا، كما أن الاقتصار على جمع الأقوال يجعل من التفسير تسجيلا يقيد به فهم القران ويضيق به معناه.. وحسبي فان كان كتابا «اليس الصبح بقريب؟» و»أصول النظام الاجتماعي في الإسلام» عنوانين بارزين لما في فكر «الشيخ الطاهر ابن عاشور» من مصالحة بين الأصالة والحداثة، فان كتابه «التحرير والتنوير» يمثل بلا شك، مرآة ناصعة لما في سريرته من توافق بين العقل والعقيدة.. ويتواصل توافق العقل والعقيدة في فكر «الشيخ الطاهر ابن عاشور»، من خلال كتابه «مقاصد الشريعة»، والذي يعد أهم كتبه بعد «التحرير والتنوير».. كتاب «مقاصد الشريعة» جاء في اعتقادي، أساسا لحل الإشكالات المتعلقة بما قد يطرأ من التعارض بين قواعد الفقه وفروعه، فاذا بمقاصد الشريعة تنتصب أفقا سمحا لتفسير القران الكريم حسب منهج عقلي، مواكب للزمان والمكان، ومتماه مع ما تستوجبه الظروف الموضوعية المحيطة..

ان التاريخ ما انفك يخبرنا بأن الإنجازات الانسانية العظيمة استندت دائما الى حركات فكرية نابغة..فانجازات «الاسكندر المقدوني»، و»حنبعل»، و»يوليوس قيصر» استندت كلها للمدرسة العقلية اليونانية.. وكانت الأنوار الفرنسية سند «نابليون بونابارت» خلال كل عزمه وحزمه.. كذلك كانت المدرسة العقلية التونسية القوية، تلك الرافعة الفكرية التي أتاحت لزعماء الحركة الوطنية وبناة الدولة التونسية الحديثة، قيادة الشعب التونسي نحو حياة الحرية والعزة والكرامة.. وفي اعتقادي، فانه لا يمكن أن نتصور مخرجا لبلادنا مما يعتريها اليوم من وهن وتكلس وتراخي، خارج أطر مدرستنا العقلية التونسية القوية.. أطر جادت بها فلسفة «الشيخ محمود قابادو»، وإنجازات الوزير «خيرالدين التونسي»، واجتهادات العلامة شيخ الإسلام «محمد الطاهر ابن عاشور».. أطر تقوم على الحكم المقيد بالقانون، والمصالحة بين الأصالة والحداثة، وتوافق العقل والعقيدة.. ولا تظنن أن أمر مدرستنا العقلية التونسية القوية خافيا على كل ذي نظر، بل هي مشهود لها، في خصوص قدرتها على انجاز الإصلاح والتحديث، كلما اقتضت الظروف اصلاحا وتحديثا..

GEELY
SOTUDIS
GX3PRO
DRIVE FOR A BETTER LIFE
GX3PRO
VISITEZ NOTRE SITE WEB
WWW.GEELY-TUNISIE.COM
DISPONIBLE DANS NOS SHOWROOMS
TUNIS | SOUSSE | SFAX | GABES
APPELEZ-NOUS AU
70 131 000
SUIVEZ-NOUS

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

دخلة جمهور الترجي

صور دخلة جمهور الترجي الرياضي خلال اللقاء الذي جمعه يوم السبت الماضي بفريق الاهلي المصري في اطار ذهاب نهائي دوري أبطال افريقيا جابت العالم وهزّت مواقع التواصل الاجتماعي وحازت على إعجاب طيف واسع تعدى حتى عشاق لعبة كرة القدم.

فالجدارية التي خطفت الانظار لم تكن مجرد رسوم وشعارات للتباهي بتاريخ الترجي او لاستفزاز جماهير الفريق الخصم بل تحوّلت الى محاكمة علنية لضمير عالمي مستتر ازاء قضية انسانية عادلة هي قضية فلسطين السليبة باعثة برسائل شتى لم تقف عند ادانة العدوان الاسرائيلي على غزة ولا عند تكريم شهدائها ولا احتفاء بابطال المقاومة ولا اعترافا بفضل من ناصروا حق الفلسطينيين في الانعتاق من نير الاحتلال في ظل صمت الاقربين قبل الغرباء.

"الكرنفال" الجماهيري الذي تواصل على امتداد أكثر من 90 دقيقة من عمر المباراة كان أقرب الى لوحة فنية مشهدية متكاملة تدغدغ النفس علّها تطهّرها مما علق بها من أدران هذا عالم ظالم يكتفي بدور المتفرج على تفاصيل إبادة جماعية تُنقل على شاشات القنوات التلفزية. لوحة تخاطب العقل أيضا فتعيده الى رشده علّها تذكّره بأن طريق الخلاص يكمن في الاصداح بالحق ولو كان مرا ومُكلفا وصعبا.

قالت العرب قديما "بأضدادها تعرف الأشياء" وأنبأتنا الأحداث الرياضية والسياسية الأخيرة بأن ما يتم الاحتفاء به في بلادنا كموقف انساني وكالتزام من دولة وشعب تجاه قضية عادلة تضيق له الانفس في دولة عربية شقيقة وتحرم لأجله زوجة لاعب تونسي من دخول ملعب بتهمة ارتداء الكوفية الفلسطينية.

لكل ما سبق استحقت دخلة جمهور الترجي الرياضي عن جدارة ملاحظة "حسن جدا" لهذا الأسبوع.

رديء

الناطق باسم وزارة الداخلية

خلال خروجه الإعلامي الأخير لطرح رواية وزارة الداخلية بخصوص ملف إيقاف المحاميين سنية الدهماني ومهدي زقروبة اعتمد فاكر بوزغاية الناطق باسم الوزارة على خطاب قائم على نظرية المؤامرة لا بل يقطر تهديدا ووعيدا وتحذيرا من الانسياق وراء من اسماهم بـ "أطراف تعمل على تشويه العمل الأمني بمغالطات ومعلومات خاطئة وادعاءات بلا أدلة".

تصريحات إعلامية زادت الملف غموضا على غموض وحادت عن الهدف الاساسي الذي اوكل للسيد الناطق باسم الوزارة الا وهو توضيح ما التبس ووضع النقاط على الحروف بدل الاكتفاء باشارات مبهمة عن اطراف غير معلومة.

جسامة الدور المناط بعهدة وزارة الداخلية وطبيعة عمل قوات الامن المطالبة بتطبيق القانون وفرض الامن وحماية الاملاك الخاصة والعمومية دون التعدي على الحقوق والحريات تفرضان على الناطق الرسمي باسم الوزارة التعاطي بحذر كبير مع الملفات التي يتطرق اليها وانتقاء المفردات التي يستعملها. هو إذن كمن يمشي على الاشواك.

ومن باب التذكير عله ينفع الجميع، مرت على خطة الناطق باسم وزارة الداخلية منذ ثورة 2011 عديد الاسماء ولكن النسيان لفّ أغلبها عدا ما ارتكبوا من زلات وما تعلقت بهم من أخطاء.

صورة تتحدث

الحمد للّه مازال الخير في البلاد، تخيّلو كان ما صارتش مسيرة السيادة؟ آش يقولو علينا في الخارج؟ بلاد بلاش إمّالي؟ ما يجاوبهم حدّ؟... ما جاوبهم حدّ موش ما جا حدّ للّي ما قراش بالباهي...

قالوا

قيس سعيد

مرحبا بك السيدة وزيرة المالية في هذا اللقاء للحديث عن جملة من المسائل التي تهم المالية العمومية بوجه عام ولكني سأتحدث اليك عن التمويلات الاجنبية التي تحصلت عليها جملة من الجمعيات التونسية من سنة 2011 الى سنة 2023... السيدة وزيرة المالية وانت تحسنين الارقام اقرإي جيدا امام الشعب هذا الرقم (تولت وزيرة المالية تلاوة الرقم التالي: ملياران و316 مليون دينار و306 الاف دينار (2316. 306 مليون دينار).. هذه هي الارقام التي تم تاكيدها منذ قليل من قبل لجنة التحاليل المالية بطلب مني بعدما اطلعت على الارقام يوم امس وكان من المفروض ان تقوم هذه اللجنة بدورها كاملا هذا الى جانب ضرورة التاكيد على ان هذا الرقم لا يتعلق الا بالجمعيات التي تحصلت على مبالغ من الخارج تفوق 500 الف دينار .. هذه هي الاموال التي توزع في تونس فضلا عن الاموال التي دخلت خلسة.... حتى يعلم الشعب اي تدخل في شؤوننا يتم باسم المجتمع المدني.. مرحبا بالمجتمع المدني ولكن لا نريد ان يكون هناك مجتمع مدني يمثل امتدادا لقوى ودول من الخارج ويجب ضبط الامور على هذا المستوى.

حاتم المزيو

...اليوم المحاماة تعيش حياة عصيبة بعد الاعتداء على مقراتها والذي تكرر في ظرف يومين وتعيش اياما عصيبة لعدم احترام دور الدفاع وعدم احترام المحاماة التونسية وهياكل المهنة ولقطع كل علاقات التواصل بين الهيئة الوطنية للمحامين والمسؤولين والسلطة وحتى مع السلطة القضائية للاسف . ورغم هذه المحنة والايام العصيبة التي تمر بها ستظل المحاماة شامخة وستبقى قوية بتكاتف المحامين والمحاميات ووحدة المحاماة (...) لأنه بلا عدالة حقيقية لا وجود لدولة ولا لاستقرار اجتماعي.

بسام الطريفي

بعد مرور 47 سنة على تأسيس الرابطة وبعد 14 سنة على ثورة الشعب على الدكتاتورية تعيش تونس اليوم حالة من الاستبداد وحالة من الحكم الفردي المطلق سمته انتهاك الحقوق والحريات على كل المستويات ..تم تقويض السلطة القضائية وحل المجلس الاعلى للقضاء.. وتم كذلك اليوم توظيف القضاء في ضرب النشاط السياسي وهو يشتغل تحت طائلة الخوف وتحت تهديد العزل والايقاف عن العمل والنُقل التعسفية ....توظف السلطة السياسية اليوم القضاء لملاحقة النشطاء السياسيين من خلال قضايا التآمر وغيرها ومحاكمة الصحفيين على معنى المرسوم 54 والنقابيين والمحامين والمدونين والمئات من المواطنين الذين تتم احالتهم على المحاكم بمقتضى المرسوم 54 وغيره من القوانين الاخرى.

انس الحمادي

معركة استقلال القضاء هي ام المعارك فادركوها قبل ان يفوت وقت التدارك.. اقول قولي هذا واستحضر في ذاكرتي زملائي القضاة المعفيين منذ 1 جوان 2022 الذين نكّل بهم وقامت السلطة بعزلهم بجرة قلم ورفضت ارجاعهم (...) لم يتم الاكتفاء بهذه المجزرة... يتم التنكيل بالقضاة المباشرين من خلال استبعاد المجلس المؤقت الذي وضعه رئيس الجمهورية بنفسه واستئثار وزارة العدل بالمسارات المهنية للقضاة من خلال النُقل التعسفية اليومية للقضاة بمذكرات العمل الجائرة وغير القانونية ...احصينا منذ اكثر من شهر 105 مذكرات عمل وخلال الاسبوعين هناك قرابة 20 مذكرة عمل... ترقيات ...عزل لقضاة.. تنحية من المسؤوليات... استبعاد ...نُقل تعسفية ...

مصرع الرئيس الإيراني في تحطّم طائرته:
قضاء وقدر أم أمر مدبّر؟

الحبيب القيزاني

خبر الساعة الذي يشغل العالم منذ يوم الأحد 19 ماي الجاري هو "حادث" تحطم مروحية الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي وهلاكه مع 8 مرافقين آخرين منهم وزير الخارجية حسين أمير عبد اللهيان والعثور على جثثهم متفحمة وسط أشلاء من حطام الطائرة التي "تحطمت" بعد زيارة أداها الرئيس الإيراني الى أذربيجان أين دشن مع نظيره إلهام عليف سدّا مشتركا بين الدولتين.

ومع أنه من المستبعد أن تحسم التحقيقات الجارية إلى حدّ الآن في حقيقة ما حدث فإن العالم أمام احتمالين : إمّا أن الحادث قضاء وقدر أو أنه مدبّر. وفي الحالة الثانية يكون السؤال : من دبّر هذه الكارثة وما استفادته منها؟

لابدّ من الإشارة الى أن ايران تعوّدت منذ عقود وخاصة قبل وصول إبراهيم رئيسي الى دفة الرئاسة على مهاجمة رئيس أذربيجان إلهام عليف وبلاده باعتبارها دولة موالية لإسرائيل وأنها فتحت المجال لتلّ أبيب وسمحت للموساد بتركيز منصة استخباراتية في العاصمة باكو تعمل على ضرب استقرار ايران واغتيال شخصيات وعلماء فيها.

والعالم يتذكر أنه لما حدثت أزمة ناغورنو كاراباخ التي تطورت الى حرب بين أذربيجان وأرمينيا انحازت ايران لارمينيا المسيحية رغم ان المنطق كان يفترض ان تنحاز لأذربيجان الشيعية والمسلمة مثلها. وهذا يعني أن ايران بقيادة إبراهيم رئيسي ترى أن مصالحها فوق كل الاعتبارات بما فيها الدينية والمذهبية وغيرها. لذلك أثار انطلاق المروحية الرئاسية من الحدود مع أذربيجان علامات استفهام كثيرة جدا وحتى المقربين من دائرة الرئاسة الإيرانية والنشطاء السياسيين والحقوقيين والإعلاميين الإيرانيين رأوا ان في الموضوع "إن". ومن أسباب اصطفاف طهران الى جانب أرمينيا أيضا وجود نداءات ومطالب في أذربيجان، بعد استقلالها عن الاتحاد السوفياتي باستعادة "أذربيجان الكبرى" التي تمتد خريطتها الى بعض أراضي ايران الحالية والتي تضم في ما تضمّ محافظتي أذربيجان الشرقية وأذربيجان الغربية اللتين تتبعان حاليا ايران. والثابت أن هذه المسألة تسمّم أجواء العلاقة بين الدولتين. في المقابل هناك دعوات في ايران الى ضمّ المحافظتين المذكورتين رسميا الى البلاد باعتبارهما كانتا تابعتين اليها الى حدود عام 1828 في اطار وجود الدولة القزرية.

وإذا كان حادث تحطم مروحية الرئيس الإيراني يثير شبهات باعتباره جاء في أعقاب زيارة لطفت الأجواء مع أذربيجان وكرّست دخول البلدين مرحلة تعاون عبر استغلال مشترك لسدّ دشنه الرئيسان فإن هناك أسبابا أخرى كثيرة تدفع نحو الاعتقاد بأن الحادث ربما كان مدبّرا.

أوّلها السياسات الإقليمية والخارجية التي أقرها الرئيس الراحل إبراهيم رئيسي. فقد كان من المقرر أن يتبع رئيسي سياسات متشددة مع دول محيط بلاده الإقليمي مثلما فعل الرئيس الأسبق محمود أحمدي نجاد. لكن الرجل فاجأ الجميع بانفتاحه وأعاد العلاقات الدبلوماسية مع الامارات والكويت ووقّع اتفاقا مع السعودية وحقق تقاربا كبيرا مع مصر وحسّن العلاقات مع تركيا في ملفات عديدة وأدخل بلاده في اتفاقية شنغاي ومجموعة "بريكس" الشيء الذي أزعج أطرافا أخرى لم تعمل حسابا لمثل هذه السياسة.

ثم إن طهران كانت قد أعلنت منذ أيام وبشكل أحادي قبل أن تعلن عن ذلك واشنطن أن الطرفين يجريان مفاوضات سرية غير مباشرة بوساطة سلطنة عمان حول النووي الإيراني وهو ما كان يشير الى احتمال عودة الاتصالات بين أمريكا وايران وبالتالي عودة واشنطن الى الاتفاق النووي. لذلك من غير المستبعد وجود طرف يريد اقصاء الرئيس إبراهيم رئيسي من هذا المشهد الذي أعاد فيه الزخم لدور بلاده الإقليمي وليس خافيا ان هذا الطرف هو إسرائيل التي حاولت

ولا تزال جرّ واشنطن معها الى حرب مع ايران بذريعة منعها من امتلاك السلاح النووي.

أمر آخر يتعلق بعوامل داخلية : فقد حسّن الرئيس الهالك العلاقات مع السنّة في بلاده ومع الأقليات وهدّأ التوتّر الذي كان يسود العلاقات مع باكستان.

لذلك من المستبعد وجود مؤامرة داخلية على الرجل. فكل وسائل الإعلام في ايران تتفق على أن رئيسي محبوب في بلاده وعلى أنه طفل الحرس الثوري والابن المدلّل للمرشد على خامنئي والرجل الذي خدم بلاده وعلى أنه ابن الدولة الإيرانية.

لكن ربّما كان "ذنب" إبراهيم رئيسي هو إرساء سياسات تخدم طموحات بلاده لتكون قوة إقليمية ولكنها سياسات لم تكن متوقعة من طرف دولة في المنطقة هي إسرائيل التي تحقد عليه نتيجة نجاحه في تسليح "حماس" بشكل كبير وتطوير ترسانة "حزب الله" الصاروخية لتحقيق توازن الردع مع إسرائيل ومواصلة دعم سوريا بعد اجهاض مخطط القضاء على النظام القائم بها وتسليح جماعة "أنصار الله" في اليمن بما مكنهم من ضرب ميناء ايلات الإسرائيلي عدة مرات واستهداف البواخر التجارية التابعة لدول غربية تدعم إسرائيل وتهديد ممرات الملاحة الدولية بالبحر الأحمر.

على أن هناك أسئلة ملحة من رحم الحادث تضغط في اتجاه فرضية وجود "مؤامرة داخلية على إبراهيم رئيسي". من هذه الأسئلة : لماذا غاب الصندوق الأسود لمروحية الرئيس؟ ولماذا تركت المروحيتان الأخريان طائرة الرئيس وواصلتا رحلتهما؟ ما معنى تعرض طائرة الرئيس وحدها لـ "عطب" نتيجة الظروف الجوية السيئة؟ هل يُعقل أنه ليس لإيران طائرات مسيّرة للبحث عن طائرة الرئيس بعد فقدان الاتصال بها ليتمّ الاستنجاد بطائرة تركية؟... هناك شيء غلط : طهران قالت إن مركزا لقيادتها تلقى إشارة من طائرة الرئيس بعد اختفائها ثم اكتشف العالم أن كل ركاب المروحية ماتوا. فمن الذي بعث بالإشارة الى مركز القيادة اذن؟

إسرائيل أصدرت بلا أي داع، فور الإعلان عن مصرع إبراهيم رئيسي بيانا نفت فيه مسؤوليتها عن الحادث وكأن لسان حالها يقول : "كاد المريب أن يقول خذوني".

النفي الإسرائيلي الرسمي لم يمنع المستشرق د. تسفي بارئيل من نشر مقال في صحيفة "هآرتس" زعم فيه أن الإرث الأكبر الذي تركه رئيسي هو حصوله على لقب "جزار طهران" مدّعيا أنه كان مسؤولا عن اعدام آلاف الايرانيات والإيرانيين لأسباب دينية. علاوة على ذلك، ذكر بعض المعلقين الإسرائيليين من القراء أنهم سعداء لمقتل رئيسي. ووصلت ذروة تشفّي الإسرائيليين على نحو خاص في مدينة تل أبيب حيث نُشرت عدة فيديوهات لشخصيات توزع الحلوى الشرقية على المارة "احتفالا" بمقتل رئيسي.

هذا عن إسرائيل فماذا عن أمريكا ؟

محمد جواد ظريف، مهندس الوفاق الأمريكي – الإيراني الذي قاد الى توقيع اتفاق النووي قبل أن تخرج منه واشنطن، اتهم الولايات المتحدة بقتل رئيس بلاده بفعل رفضها مدّها بقطع الغيار الضرورية لأسطول المروحيات الامريكية الصنع التي تملكها ايران نتيجة العقوبات المفروضة عليها.

والسؤال هنا هو : لماذا تعمد واشنطن الى "اغتيال" رئيسي رغم العلاقات السرية – العلنية القائمة بين الجانبين؟ وهل هناك سلاح جديد يمكن له اسقاط طائرة دون تفجيرها؟

الجواب قدمه موقع "الصين بالعربية" تحت عنوان "عاجل" وجاء فيه : "غير عادي... تم اليوم (يوم تحطم مروحية الرئيس الإيراني) رصد طائرة من طراز C17 تابعة للقوات الجوية الامريكية في أذربيجان وغادرت الآن نحو أجواء إسرائيل".

وأضاف الموقع : "وهذه هي المرة الأولى التي تتم فيها مثل هذه الرحلة منذ عام وقد تزامن ذلك مع اختفاء مروحية الرئيس الإيراني".

وبقطع النظر عما اذا كان خبر الموقع الصيني صحيحا أو من قبيل حرب الدعاية المحتدمة بين واشنطن وبكين يفرض سؤال نفسه : هل تريد أمريكا حقا الخير لإيران؟ الجواب هو قطعا "لا" والعلاقة القائمة بين الطرفين منذ ما يربو عن الـ 50 عاما أفضل دليل على ذلك خصوصا في ظل محاولات اللوبي الصهيوني بأمريكا الزج بواشنطن في حرب لتدمير ايران حتى يخلو الجوّ لإسرائيل في المنطقة ولا يجب أن ننسى هنا أن الرئيس الإيراني الراحل مصنّف كمجرم من طرف الإدارة الامريكية.

ومهما يكن فإن نتائج التحقيق وحدها جديرة بالكشف عن حقيقة تحطم مروحية الرئاسة الإيرانية. والثابت انه اذا أكدت النتائج وجود بصمات إسرائيلية أو أمريكية وراء الحادث فإن ذلك يضع المنطقة ككل أمام سيناريو مخيف.

صفقة؟

وفقًا لصحيفة "الغارديان" البريطانية، تم الاتفاق على "خارطة طريق للسلام في اليمن" كانت قد اقترحتها الأمم المتحدة، في خطوط عريضة، في أوائل ديسمبر ولكن تم تجميدها بعد تصعيد الحوثيين هجماتهم في البحر الأحمر تضامنا مع فلسطين.

وأضافت الصحيفة : "ويبدو الآن أن المملكة العربية السعودية، بدعم من مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى اليمن هانس غروندبيرغ، تريد المضي قدمًا في خارطة الطريق، على الرغم من أنها قد تؤدي إلى تحويل مبالغ كبيرة من المال إلى الحوثيين، الذين سيحصلون في نهاية المطاف على حصة في حكومة الوحدة الوطنية اليمنية المقترحة".

وتابعت : "يبدو أيضا أن السعوديين، الذين يشعرون بانسداد الأفق العسكري، بين البحرية الأمريكية والحوثيين، يتطلعون إلى إنهاء مشاركتهم في الصراع في اليمن، حتى لو كان ذلك يعني أن تكون حكومة عدن المدعومة من السعودية الطرف الخاسر في العملية.

ويبدو أن الولايات المتحدة أكثر تقبلاً لنفاد صبر السعوديين بشأن صفقة اليمن. تحتاج واشنطن إلى الدعم السعودي لإنهاء الصراع في غزة، وفتح المجال الدبلوماسي للولايات المتحدة لإقناع السعوديين بالدخول في اتفاق دفاعي مع الولايات المتحدة وتطبيع العلاقات مع إسرائيل، الأمر الذي قد يؤدي بدوره إلى إضعاف نفوذ إيران في المنطقة".

تهديد

"نحن على اطلاع على معلومات تفيد بإمضاء إيران والهند اتفاق حول ميناء شبهار... على كل كيان أو شخص ينوي توقيع اتفاقيات تجارية مع ايران أن يعي وجود خطر حقيقي بالتعرض لعقوبات". بهذه الكلمات تعرّض Vedant Padel الناطق باسم الخارجية الأمريكية للاتفاق المبرم مؤخرا بين الهند

وايران ملوحا بفرض بلاده عقوبات على نيودلهي في صورة توقيعها اتفاقيات تجارية مع طهران مضيفا : "العقوبات الامريكية المفروضة على ايران تبقى سارية المفعول ونحن نواصل تطبيقها".

يذكر أنه تم توقيع الاتفاق الثنائي المتعلق باستغلال ميناء شبهار الوحيد الذي تملكه ايران يوم 13 ماي الجاري بين Indian Ports Glabal Limited ومؤسسة الموانئ والأنشطة البحرية بايران.

وقد تعهدت الشركة الهندية باستغلال ميناء شاهد – بهستي في اطار تطوير ميناء شبهار على امتداد 10 سنوات وباستثمار نحو 120 مليون دولار لتأهيل الميناء إضافة الى قيام الهند بمنح طهران قرض بـ 250 مليون دولار لانجاز مشاريع مشتركة تتعلق أساسا بتحسين البنية التحتية التابعة لمدينة شبهار.

ومنذ مدة طويلة، تدرس الهند أهمية تطوير ميناء في آسيا الغربية ورأت في ميناء شبهار بوّابة إلى أفغانستان ومنطقة آسيا الوسطى تغنيها عن المرور بمينائي كراتشي وغوادار بباكستان.

واضافة إلى ذلك يلعب ميناء شبهار دورا أساسيا في مشاريع الربط الواسعة النطاق بين أجزاء الممرّ العالمي للنقل شمال-جنوب بأسيا.

وتمثل هذه المشاريع التي أقامتها كل من روسيا والهند وايران في تركيز شبكة للنقل الدولي هدفها ربط المحيط الهندي والخليج الفارسي ببحر قزوين مرورا بايران وصولا الى شمال أوروبا عبر مدينة سان بيترسبورغ الروسية.

وإلى حدود اليوم، أمدّت الهند ميناء شبهار بـ 6 رافعات عملاقة متحركة وتجهيزات أخرى بقيمة 25 مليون دولار وتمكنت من تصدير 2،5 ملايين طن من الحبوب و200 طن من الخضر الى أفغانستان عبر الميناء المذكور.

رقم قياسي وتاريخي

موقع "الشبكة العالمية" كشف أن حرب العقوبات التي تشنّها واشنطن على بكين تدفع الصين الى سحب ديونها من وزارة الخزانة الأمريكية والوكالات الحكومية الأخرى بوتيرة قياسية.

الموقع نقل عن تقارير إعلامية أن الصين "تخلصت خلال الربع الأول من 2024 من أوراق مالية أمريكية بقيمة 53.3 مليار دولار" مشيرا الى أن سحب مثل هذا الحجم في ظرف ثلاثة أشهر فقط يمثل رقما قياسيا تاريخيا بالنسبة للصين.

وأضاف الموقع : "في ظل الوضع الجغراسياسي الحالي، تفضل بكين استبدال الديون الامريكية بالذهب وبالتالي زيادة مشترياتها من هذا المعدن النفيس. وخلال عام واحد تراجع حجم سندات الدولة الامريكية في البنك الشعبي الصيني من 869 الى 767 مليار دولار. وتحاول واشنطن تعويض الخسائر وتعويم الدولار عبر إجبار حلفائها على شراء سندات ديونها. وقد لاحظ مرقبون زيادة في مشتريات الديون الامريكية من طرف كندا واليابان وبريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي مما يعني أن واشنطن تحاول اجتذاب اقتصادات الدول الحليفة لها مع محاولة التأثير على الصين عبر العقوبات التجارية. وقد انتقدت مجلة Atlantic بشدة الصين متهمة إياها بتطوير اقتصادها. ووفق صحفيي المجلة "تستحق حكومة شي جين بينغ حربا تجارية لأنها تسعى الى تحجيم واردات السلع الغربية مع توسيع نطاق صادرات بلادها".

الـ FBI على الخطّ

المؤرخ الإسرائيلي المشهور Ilan Pappé، مؤلف كتاب "التطهير العرقي في فلسطين" أعلن أنه تعرّض في مطار مدينة ديترويت الامريكية الى استجواب من طرف عميلين تابعين لمكتب التحقيقات الفيدرالي FBI بذريعة "مساندة حماس".

وأوضح الرجل في تدوينة مطوّلة نشرها بصفحته على موقع "فايسبوك" أن العميلين حجزا هاتفه وأنه فوجئ بأسئلة وصفها بـ" تجاوزتها الاحداث" قال انها طرحت عليه مثل "هل أنت من أنصار حماس؟" و"هل ترى أن إسرائيل ارتكبت إبادة جماعية في غزة؟" و"ما هو الحلّ للصراع؟" و"من هم أصدقاؤك من العرب والمسلمين المقيمين بالولايات المتحدة؟" و"منذ متى تعرفهم؟" و"ما نوع العلاقات التي تربطك بهم؟".

وأضاف أن العميلين تخاطبا هاتفيا طويلا خلال استجوابه مع أشخاص رجح أن يكونوا إسرائيليين متابعا : "بعدما نسخوا كل محتوى هاتفي، سمحوا لي بالمغادرة".

وكان Pappé قد صرح أمام اللجنة الإسلامية لحقوق الانسان (المتمركزة بانقلترا) أن الهجومات على قطاع غزة "قد تشكل أحلك فصل في التاريخ الفلسطيني" و"سيحفظ التاريخ أن ما حدث في غزة يمثل بداية نهاية المشروع الصهيوني".

هل تمتد الإبادة الجماعية من غزة إلى الضفة الغربية؟

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

تسير الأمور على نحو سيّء بالنسبة للإدارة الديمقراطية ولبايدن شخصيا.

وحسب استطلاعات الرأي الأخيرة فإن ترامب يتقدم على الرئيس الحالي في الانتخابات المقبلة. كما أن هناك اشاعات بأن ميشيل أوباما ستحل محل بايدن كمرشحة للحزب الديمقراطي، ممّا يؤكد توقعاتي بأن بايدن سيكون آخر رئيس أبيض للولايات المتحدة.

كذلك يواصل بوتين في أوكرانيا طهو بايدن على نار هادئة، ويفضح كل يوم عجز الرئيس الأمريكي عن احتواء روسيا مع تجنب جر أوروبا إلى مواجهة مباشرة مع روسيا، وهو ما يفشل بايدن أيضا في القيام به.

وقد تمت خسارة الحرب التجارية الناشئة مع الصين حتى قبل أن تبدأ – فات الأوان، وما تم القيام به لم يكن كافيا – ومن الضروري، لكنه من المستحيل في نفس الوقت، بدء تصعيد عسكري كامل مع الصين، على خلفية النجاحات المتزايدة لروسيا بأوكرانيا، والوقت ينفد.

في الشرق الأوسط، تمكنت الولايات المتحدة من تجنب الانجرار إلى حرب مع إيران، لكن الإبادة الجماعية في غزة أدت إلى انقسام الحزب الديمقراطي نفسه، الذي يؤيد بعض أنصاره الفلسطينيين.

مع ذلك، لا تقف مشاكل بايدن عند هذا الحد.

فالاحتجاجات الحاشدة المناهضة لإسرائيل في الجامعات الأمريكية تحرم بايدن من قوة لمواجهة اليساريين والشباب الملونين، والتي أنا على يقين من أن "الدولة العميقة" خططت لاستخدامها للإطاحة بترامب في نهاية المطاف، والذي تتزايد احتمالات فوزه.

أظن أن أحدا لا يستطيع أن ينكر الآن أن احتجاجات أعضاء "حياة السود مهمة" BLM في وقت ما كانت منسقة بشكل جيد وأنه تم التحكم فيها في إطار تكنولوجيا "الثورات الملونة" التي أتقنتها وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بشكل نموذجي. ثم لم تقطع الدولة العميقة كل الطريق، إذ كان كافيا للقضاء على ترامب التلاعب بالتصويت عبر البريد والحرس الوطني في الشوارع بعد المحاولة المزعومة للاستيلاء على الكونغرس من قبل حشد من الناس.

لكن يبدو هذه المرة أن بايدن والديمقراطيين لن يفوزوا قانونيا. ولم يتبق سوى سيناريوهات الطوارئ لاحتفاظ الديمقراطيين بالسلطة، ومن بينها سيناريوهات عزل ترامب من خلال المحاكم التي هي أكثر اعتدالا، إلا أنها تنطوي على خطر كبير يتمثل في تصاعد الصراعات على السلطة إلى أعمال عنف.

وهنا يتبين أن بيادق بايدن، الشباب اليساري الملون، يعارضونه، أو بالأحرى هم ضد مسار إدارته في غزة، بل وعلى نحو جذري.

ولم يكن تفريق التظاهرات بالقوة ناجحا، وكلما اقتربنا من الانتخابات، زادت كلفة ذلك على الديمقراطيين، بالتالي أصبحت احتمالاته أقل فأقل. وأصبح بايدن مجبرا على تعديل موقفه العام.

في الوقت نفسه، أصبح نتنياهو هو الآخر محاصرا، ولا يمكنه التراجع عن تحقيق أهدافه المعلنة، ولم يعد أمامه خيار سوى التصعيد في غزة ومواصلة محاولة إشعال حرب أمريكية إيرانية. أي أنه من المنطقي أن نتوقع استمرار الإبادة الجماعية للفلسطينيين وتزايد الاحتجاجات.

لكن لا يجب أن نسمح لكلمات السياسيين أن تربكنا. فقد باتت إسرائيل تواجه صعوبة في إخفاء سعيها إلى القضاء على قطاع غزة في حد ذاته. لكن هذا ليس سوى نصف المهمة، وهو هدف وسيط، فدون طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية أيضا لن تتحقق المهمة، وفي رأيي أن هذه هي الخطة على وجه التحديد. وفي الوقت نفسه، تنفتح الآن نافذة تاريخية مواتية للغاية أمام إسرائيل للقيام بذلك، وهو ما قد لا يتكرر في المستقبل.

بمعنى أنه يجب علينا أن نفهم بوضوح أن إسرائيل لا تفعل أي شيء في الضفة الغربية فقط حتى الانتهاء من تطهير غزة. وحينها يصبح تطهير الضفة الغربية بشكل أكبر أمرا لا مفر منه في حالة نشوب حرب شاملة مع "حزب الله" و/أو مع إيران.

في الوقت نفسه، فإن موقف ترامب الراديكالي المؤيد لإسرائيل معروف للجميع، ومن غير المرجح أن يتخلى عنه. والقدرة على التنبؤ برد فعل السياسي هي نقطة ضعفه، والتي يمكن دائما استخدامها ضده.

فبايدن هو سياسي محنك ذو خبرة رغم أنه يعاني بشكل متزايد من خرف الشيخوخة، إلا أن بين يديه الإمكانية أو الفرصة للاستفادة من انفجار احتجاجي مؤيد للفلسطينيين، ويدرك أن ترامب لا يمكنه إلا أن يدعم إسرائيل حتى لو بدأ تطهير الضفة الغربية. فهل يستغل بايدن هذه الفرصة؟ كيف وبماذا يمكنه حشد بيادقه لمحاربة ترامب المنتصر؟ المشكلة أن السبب لذلك يجب أن يكون قويا جدا، غير إنساني ودموي قدر الإمكان، من أجل إثارة الجماهير قدر الإمكان.

لقد أظهرت إيران و"حزب الله" عدم رغبتهما في القتال بشكل كامل من أجل الفلسطينيين، وأعتقد أن هذا لن يتغير حتى إذا امتدت الإبادة الجماعية إلى الضفة الغربية. أي ان عواقب مثل هذا التصعيد ستقتصر على الأرجح على توسع الاحتجاجات المؤيدة للفلسطينيين في الولايات المتحدة وأوروبا وتعزيز نشاط الحوثيين، والذي من غير المرجح في الوقت نفسه أن يتجاوز ما أنجز الحوثيون بالفعل.

والنتيجة أن القدرة على التنبؤ والمحدودية النسبية والتركيز الضيق على نتائج هذه الاحتجاجات تسمح باستخدامها كسلاح دقيق للغاية مثل المشرط.

وبالتالي فإن الوضع هو أنه طالما بقي بايدن في السلطة، فإنه لن يستفيد من التصعيد في غزة، بل وأكثر من ذلك في الضفة الغربية. وسوف يبذل جهودا لاحتواء إسرائيل إلى حد ما، كما نرى بالفعل في مثال الحد من تصدير الأسلحة إلى إسرائيل. مع ذلك، سيكون ذلك بالأحرى تقييدا للنطاق والسيطرة، لكنه ليس وقفا كاملا، لأنه إذا خسر بايدن الانتخابات، فسيصبح على العكس مهتما بشدة بتصعيد الإبادة الجماعية للفلسطينيين.

لذلك أعتقد أن العملية في رفح ستسير ببطء، وبشكل عام فإن الحرب في غزة لن تنتهي قبل الانتخابات الأمريكية وهذا على الأقل ما ستسعى إليه إدارة بايدن. وإذا خسر الديمقراطيون، فإني أتوقع تصعيدا حادا للوضع في الشرق الأوسط في ديسمبر أو جانفي وقبل تنصيب ترامب وامتداد الإبادة الجماعية إلى الضفة الغربية. سوف تكون إدارة بايدن ساخطة، وستدين ذلك، لكنها بالطبع لن تتخذ خطوات حقيقية لوقفه، وستشجع إسرائيل سرا. فلا توجد جريمة، لا سيما ضد الدول الأخرى، لا يرتكبها السياسيون الأمريكيون من أجل الوصول إلى السلطة في واشنطن.

يبقى فقط أن يسأل المرء نفسه: ترى هل يعض نتنياهو يد ترامب، الذي فعل الكثير من أجل إسرائيل في ولايته الأخيرة؟ الإجابة: بالقطع نعم.

لا دولة فلسطينيّة... لا دولة لبنانيّة ولا دولة سورية على حدود إسرائيل!!

نبيه البرجي (صحيفة "الديار" اللبنانية)

لا فارق هنا بين نجمة داود وجمجمة يهوذا. متى لم تتقيأ نُصوص التوراة التلمودية الدم والكراهية... ؟

ما نقل الينا عن جولات التفاوض حول وقف اطلاق النار في غزة يشي بمقاربة الاسرائيليين للديبلوماسية، باعتبارها فن المستحيل لا فن الممكن. من يمد يده اليهم كمن يضع يده بين أشداق الذئب. كان ينقص ديفيد برنياع أن يقول لوفد "حماس" "سلّمونا الرهائن، نعطيكم 40 يوماً للتفكير بين الموت والترحيل." الفلسطينيون خبروا ذلك على امتداد أربعة عقود، وفي أكثر من مكان. الاسرائيليون يحترفون قتل الوقت مثلما يحترفون قتل العرب.

كنا قد وصفنا اسرائيل بالابنة الكبرى لأمريكا. جاءنا التعليق من القطاع "... بل هي الابنة الكبرى للشيطان". تلك الشراهة المروعة للقتل، وللخراب، تبدو كما لو أنها الثأر من البشرية جمعاء. هذه، أيها السادة، الوصية الحادية عشرة في تابوت العهد: اقتلوا...

آلاف الغارات الجوية، آلاف الأطنان من القنابل والصواريخ لم تستطع، وعلى مدى 7 أشهر، تقويض المقاومة في حيّز جغرافي مقفل من كل الجهات. هل هي اسرائيل التي رأى فيها موشي دايان "القلعة المقدسة التي لن تطأها أي قدم غير أقدامنا" ؟ خلال دقائق لا خلال ساعات، تداعت أسوار القلعة، ليبدو تيودور هرتزل وقد تعرّى حتى من ورقة التوت.

الهاجس الأمريكي بدا واضحاً في محاولة انتشال اسرائيل من بين الأنقاض، وخشية أن يمضي بنيامين نتنياهو في سياساته الهيستيرية الى حدود الانتحار. من هنا كانت المساعدات العسكرية بأرقامها المذهلة، والتعهد بحمل السعودية على التطبيع، بالتداعيات الزلزالية للحدث على المسارات الاستراتيجية للشرق الأوسط (الكبير)، اضافة الى اقامة قاعدة عسكرية هائلة في جنوب اسرائيل، تستضيف 23000 جندي، مع تجهيزاتهم من قاذفات ومنظومات صاروخية تكرس "ابدية" الدولة العبرية.

المثير أن أولئك المجانين لا يثقون حتى بأمريكا. هكذا قال توماس فريدمان. لن تعود اسرائيل مثلما كانت قبل 7 أكتوبر، وحتى قبل صيف 2006، حين وصل الجيش الاسرائيلي الى اليوم الثالث والثلاثين خائر القوى، ليحكى عن بكاء الميركافا في وادي الحجير.

طلبة في جامعة كولمبيا سألوا "هل ترانا ندفع الجزية الى القتلة ؟". نتوقف عند قول أحد زعماء حزب "العظمة اليهودية" مايكل بن آري بأن أياً من أنبياء التوراة لم يقل بدولة للفلسطينيين. خلاف ذلك غالباً ما دعوا الى اجتثاثهم من الوجود. تالياً، الوعد الالهي لا يتحقق فقط بالعودة الى أرض الميعاد، وانما أيضاً بازالة أي أثر لهم.

ما حدث، ويحدث، في القطاع بعيد كلياً عن المعايير الأخلاقية، وحتى المعايير اللاأخلاقية، للحرب. مثلما ألقى هاري ترومان القنبلة الذرية على هيروشيما للتدليل على الجبروت الأمريكي في "كتابة التاريخ الآخر للبشرية"، مثلما قال دين أتشيسون، مثلما اسرائيل القاء القنبلة على غزة، أو على طهران، لكتابة التاريخ الآخر للمنطقة. ألم يهدد بنيامين نتنياهو، يوم "طوفان الأقصى"، بـ"تغيير الشرق الأوسط"، ليزداد اصرار أ حين رأى حاملة الطائرات "جيرالد فورد"، ومعها الغواصات النووية، والبوارج الهائلة، تتجه الى شرق المتوسط؟.

جو بايدن رهينة بين يدي زعيم الليكود الذي يراهن على تمديد أيام الحرب حتى دخول الولايات المتحدة في الغيبوبة الانتخابية. أية ديبلوماسية في هذه الحال ؟ الأمريكيون يعلمون أن الرجل، ومعه غالبية الاسرائيليين يرفضون حتى الكلام عن الدولة الفلسطينية، كـ"قنبلة في النخاع الشوكي، لا في الظهر، ولا في الخاصرة"، مثلما قال بسلئيل سموتريتش. وكان على الادارة، أن تحرك الاليزي (كظل للبيت الأبيض)، للدخول الديبلوماسي من البوابة اللبنانية. بوابة النار حسب غادي آيزنكوت.

القادة الاسرائيليون الذين دأبوا على التهديد اليومي بتحويل لبنان الى جحيم يمارسون الديبلوماسية حيالنا كما يمارسونها حيال الفلسطينيين. فن المستحيل. في نظرهم ما حدث يقتضي اعادة تركيب الخرائط. ليتم ابلاغ الأمريكيين، والفرنسيين، بأن الوقائع التي حصلت على الأرض منذ 8 أكتوبر، تعدّت القرار 1701. لا بد من ترتيبات أمنية أكثر فاعلية.

بوضوح أكثر. وضع جنوب لبنان تحت الوصاية العسكرية الاسرائيلية، بعدما كان اتفاق 17 ماي 1983 لحظ وضع لبنان تحت الوصاية العسكرية الاسرائيلية.

"معادلة يهوه: " لا دولة فلسطينية.. لا دولة لبنانية، ولا دولة سورية، على حدود اسرائيل. ماذا يقول... القضاء والقدر؟!

منهج الحكمة الصينية...

فوزي عمار

الصين كقوة كبرى ليست لديها نية لحكم العالم، فهدف السياسة الخارجية الصينية هو بناء مجتمع المستقبل المشترك للبشرية. فالصين لا تسعى إلى سباق التسلح أو توسيع التواجد العسكري في العالم، لا تنحو الى التحالف مع دولة ما ضد دولة أخرى. كل ذلك يجعلنا نقول ان الحكمة الصينية واضحة في خط سياستها الايجابية تجاه شعوب العالم.

يقول المفكر العربي ابن خلدون ان الحضارات والدول مثل الإنسان تمر بمراحل طفولة وشباب ورجولة وشيخوخة. فكما كانت الامبراطورية البريطانية والعثمانية وحتى الاتحاد السوفيتي تحكم نصف العالم وصلت في

مرحلة من الزمن إلى تراجعها واضمحلال سلطتها ..

وهذا ما يمكن مشاهدته الان في تشكل قوى عالمية جديدة وصعود دول مثل الصين وتراجع دول مثل امريكا.

والمتابع للنهوض الصيني يرى ان النمو الاقتصادي يزداد بوثيرة سريعة ما يجعل الصين اكبر اقتصاد في العالم فهي اليوم تأتي قبل امريكا رغم ان امريكا تقيم اقتصادها بعملتها الدولار (الذي تطبعه دون رصيد من الذهب) ولكن القيمة الشرائية للمواطن لا تطرحها امريكا للنقاش اصلا ..امريكا التى بدأ نجمها في الخفوت ليس فقط اقتصاديا بل وحتى اخلاقيا وانسانيا بدعمها المطلق للكيان الصهيوني وعدائها لكتلة كبيرة من دول العالم تملك الاقتصاد الصلب وليس الاقتصاد الرقمي الذي لا تحتاجه الشعوب في حالات الفقر والحروب مثل التي يعيشها عالمنا اليوم.

الجميل والمدهش ما تقوم به الصين في العالم، فهي حليف إستراتيجي لإيران وجزء من مجموعة BRICS التي تضم روسيا والهند والبرازيل من جهة، إضافة لشراكة إستراتيجية كبرى مع الخصم أمريكا، فبعد سقوط الاتحاد السوفياتي ظهرت الصين كقوة منافسة لأمريكا، وكان عليها الاختيار بين صراع كسر العظم على غرار ما حدث بين أمريكا والاتحاد السوفييتي أو التحول إلى صراع/مشاركة الرابح رابح (Win-Win Situation).

اختارت الصين الخيار الأخير، وكانت الصفقة شراءها ديون الخزانة الأمريكية بقيمة خمسة ترليونات دولار، مقابل أن تطلق أمريكا يد الصين في إفريقيا وتسمح لشركات وول ستريت العالمية العابرة للحدود للتصنيع في الصين.. وهذا ما حدث، شراكة الرابح رابح خولت الصين بيع منتجاتها في أمريكا التي تمر ربع تجارة العالم بها. ولم تخسر هذا السوق الضخم من جهة، وسمحت للشركات الأمريكية للتصنيع في الصين حيث العمالة الماهرة الرخيصة؛ مما حقق نموا اقتصاديا يتفاوت من 5% إلى 10% وهو أعلى نمو اقتصادي في العالم؛ حيث تراجعت دول مثل فرنسا إلى أقل من 2% نموًّا سنويًّا.

شركات عالمية بدأت تصنع في الصين مثل ما تفعل شركة آبل التي تصنع الهاتف المحمول الأشهر في العالم آي فون، وشركة GE للمولدات الكهربائية العملاقة... وغيرهما الكثير.

الشراكة أجازت للشركات العالمية الكبرى التي تقدر بقرابة 3000 شركة عالمية عابرة للقارات والبحار التصنيع في الصين دون الحديث عن النظام السياسي الصيني الذي يتنافى مع الديمقراطية الغربية التي تريد أمريكا نشرها في العراق وليبيا وسوريا.. فالتنين الصيني يملك من المقومات -خاصة الفائض النقدي- أن يقول لا لأمريكا المدانة له بخمسة ترليونات دولار. هنا حققت الصين نموا اقتصاديا وحققت أمريكا بتحالفها مع الصين شراء بعض ديونها التي وصلت إلى عشرين ترليون دولار (وفق تصريح ترامب في حملته الانتخابية.)

الصين التي تريد أن تضمن توازن عالمي والتي تجمع بين حلف اقتصادي مع أمريكا رغم الصراع الدائر على نوايا تنافسية بين الاثنين على غرار ما حدث مع شركة هاواوي العملاقة والجيل الخامس والذي وصل لشبه حلول واتفاق مؤخرا بعد صراع الضرب تحت الحزام لفترة من الوقت.

الصين التي لديها مشروع طريق الحرير الذي أطلق عليه مؤخر اسم «طريق واحد.. حزام واحد»، إضافة لحلف آخر استراتيجي قديم جديد مع روسيا وإيران خصوم أمريكا في مشروع (أوراسيا)، هذا التجمع الذي يضم أكثر من ثلثي سكان العالم 4.5 مليار نسمة.

الصين تستثمر قرابة 500 مليار دولار في أفريقيا وهذا الرقم في تزايد.

والصين تعتبر اكبر مالك للدولار في العالم فهي اشترت ديون الخزانة الاميركية بقيمة 5ترليون دولار وتملك رصيدا نقديا يفوق15ترليون دولار

في كتابه جيوبوليتيك العواطف للكاتب الفرنسي دومنيك موزي، كتاب مهم صدر في 2007

The Geopolitics of Emotion: How Cultures of Fear, Humiliation, and Hope

الكتاب يقرأ العالم قراءة مختلفة وجديدة ..فهو يقسم العالم الى ثلاثة أقسام أو مناطق : منطقة الأمل وهي الشرق الأقصى والصين تحديدا، فهي تسعد العالم من خلال منتجاتها مثل الهاتف والتلفزيون والستلايت والسيارة ولا توجد منها نزعة للحرب .

ثم ثانيا، منطقة الخوف وهي الغرب وأمريكا وهي منطقة توحي بالتوتر والحرب على الإرهاب وتنشر الخوف والحرب في باقي العالم .

والمنطقة الثالثة وهي العربية والأفريقية ويسميها منطقة الإذلال، فهو شعوب لم تستطع فك شفرة المستقبل ويقول الكاتب عن العرب انهم تراجعوا منذ سقوط الأندلس وكل تصرفاتهم هي ردة فعل لافتقارهم للمشروع.

كل هذا يجعلنا نقول إنَّ العالم يتشكل من جديد، وأن العالم يتجه شرقا، والصين ستكون اللاعب الصامد والصاعد الأهم اقتصاديًّا في النظام العالمي الجديد.. وقريبا جدا.

إن الرؤية الصينية للعالم منذ أن طرحها الرئيس شي جين بينغ. والتي تطورت لتأخذ شكل نظام علمي، فمن مبادرة صينية إلى إجماع دولي، ومن رؤية واعدة إلى نتائج عملية، مما يظهر حيوية قوية. لقد انتشرت من الشركاء الثنائيين إلى المؤسسات المتعددة الأطراف، ومن الأطر الإقليمية إلى المبادرات العالمية، ومن الصحة العامة إلى الفضاء السيبراني والمحيطات، تعمل الصين على بناء مجتمعات ذات مستقبل مشترك مع عشرات البلدان والمناطق ـــ في أشكال ومجالات متعددة. مراراً وتكراراً، تمت كتابة هذه الرؤية في قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، فضلاً عن قرارات وإعلانات منظمة شنغهاي للتعاون، ومجموعة البريكس، وغيرها من الآليات المتعددة الأطراف.

لقد اقتنع اغلب مفكري العالم ان الطريق الأكيد لمواجهة التحديات هو المساعدة المتبادلة والتعاون المربح للجانبين. . لقد أدركت المزيد والمزيد من البلدان والشعوب أن مستقبل البشرية يجب أن تقرره جميع البلدان معًا، وينبغي بناء مستقبل العالم من قبل جميع الشعوب معًا. والصين مستعدة للعمل مع جميع البلدان لبناء عالم مفتوح وشامل ونظيف وجميل ينعم بالسلام الدائم والأمن العالمي والرخاء المشترك.

الشارع الثقافي

العدد 407 - من الثلاثاء 21 إلى الاثنين 27 ماي 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

أستاذ الفلسفة السياسية المفكر صالح مصباح لـ«الشارع المغاربي»:

ما يحدث في غزة أكثر من انتفاضة على الحداثة والتنوير..

- التعريب جاء لمواصلة تحكّم الدولة في التعليم
- القصد من تعريب الفلسفة في الثانوي تجذير تحكّم الدولة في توزيع المعرفة

«الجامعة دون شروط» أو «الجامعة وحقّ المقاومة»

جاك داريدا

ترجمة : عبد الوهاب البراهمي

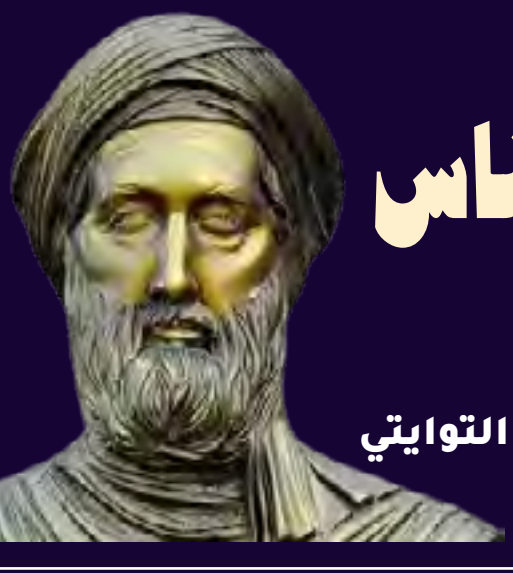

فكر ابن خلدون إرث ملأ الدنيا وشغل الناس

كم نحتاج الى ابن خلدون جديد لفهم الراهن

بقلم : أ . نعيمة الحمامي التوايتي

وقفة

العنف المدرسي سبب تراجع المنظومة التعليميّة أم نتيجة من نتائجها؟

بقلم : صلاح الدّين العامري

متابعات

المعرض الوطني للكتاب التونسي خارج أسوار العاصمة... «ماذا لو طاف المعرض كل ولايات الجمهورية؟»

وقفة

العنف المدرسي سبب تراجع المنظومة التعليميّة أم نتيجة من نتائجها؟

بقلم : صلاح الدّين العامري- أستاذ جامعي

يتلازم التعليم والتربية في ذهن التوّنسيين ويتكاملان ولا ينفصلان، ويترتّب عن هذه المعادلة مجموعة من الثنائيات منها أنّ التعليم هو التربية على القيم والفضائل، والمعلّم هو المربّي على القيم وحارسها، والمدرسة هي الأسرة الثانيّة التي تواصل تربية الأطفال وإعدادهم للانخراط الإيجابي في المجتمع. ولكنّ المعادلة فقدت بريقها، وأخذت في التراجع مع مطلع هذه الألفية وما رافقها من تحوّلات تكنولوجيّة وثقافيّة. ولم تعد الأسرة والمدرسة، بعد هذا التحوّل، مصدر المعارف الاجتماعيّة والثقافيّة للشباب، بل تداخلت مرجعيات ومصادر متعدّدة في بناء الذهنيات والنفسيّات، وفي توجيه السلوكيات الفرديّة والجمعيّة للنشء. وباعتبار أنّ المدرسة هي الحاضنة الكبرى لهذه الفئة العمريّة، فإنّها صارت مجالا لانتشار أنموذج ثالث لبناء السلوك التلمذي نافس الأسرة والمدرسة، بل تفوّق عليهما وهو الفضاء المجتمعي المتنوّع والمتعدّد والمتحرّر من آليات التنشئة التقليديّة بعد أن تغيّرت المعادلات سلبا وإيجابا. وصار التونسيون يعبّرون عن هذه المعادلة الجديدة بعبارة "أنت تربّي والشّارع يربّي"، بمعنى أنّ ما هو خارج الأسرة، بما في ذلك المدرسة، صار ينافس الأبوين في تربية أبنائهم سلوكا وثقافة بأثر يفوق أثرهما التنشئة. وظهرت مجموعة من الأسئلة الحارقة لتواجه المتداخلين في العمليّة التعليميّة جميعهم. واخترنا الاشتغال بظاهرة العنف في المؤسسة التعليميّة من حيث كونها سببا لتراجع التحصيل المعرفي والتربوي أم أنّها نتيجة لذلك، ومن حيث مسؤوليّة الأطراف المتداخلة في العمليّة التعليميّة. وتؤكّد النظرة المتأنيّة لظاهرة العنف في المؤسسات التعليميّة التونسيّة أنّ الحالة مركّبة ومعقّدة وتتقاطع في بروزها مجموعة من العوامل والمؤثّرات، ومن بينها:

1 - الأسرة من شريك في التربية والتعليم إلى فضاء للتوتّر والإهمال

لم تكن الأسرة التونسيّة بمعزل عن التحولات العميقة التي تعصف بمحيطها بالمعنيين السلبي والإيجابي، وتأثّرت خاصّة بالسلبيّ منها، وفقدت توازنها الذي استمرّ قرونا من الزمن مستفيدا من التحوّلات البطيئة في بنية الحياة الاجتماعيّة، وقد قامت التربية والتعليم في الأنموذج القديم على الجانب السلوكي السّلمي والتسليمي للتلميذ في علاقة بمحيطه، وعلى حسن المعاملة بين المعلّم والمتعلّم، وعلى تدعيم سلطة الأب أو من ينوبه ليكونا المرجع الشرعي للسلطة والقرار السليم. واتسعت دائرة التوتّر داخل الأسرة التونسيّة بتطوّر وعي المرأة سواء بإقبالها على التعليم والتميّز على الرجل، أو بخروجها إلى العمل وتحقيق استقلاليتها الماليّة والفكريّة والثقافيّة. وترك خروج الأبوين إلى العمل فراغا عجزت رياض الأطفال والحواضن العامة والخاصّة على سدّه. وخلقت هذه الوضعيّة حالة من الاستقلاليّة بين الآباء والأبناء يمكن أن تصل أحيانا إلى القطيعة. وتدرّجت علاقة الانفصال بين الطّرفين تحت تأثير التحولات التكنولوجيّة والسياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة العميقة، فخلقت معادلة جديدة تعادلت فيها السلطة والمشروعيّة بين الطفل والوليّ، ثم انقلبت في كثير من الحالات لصالح الطفل، ومكّنته من فرض سلطة موازية تتصادم مع السلطة التقليديّة أكثر مما تفاعل وتتفهم وتبحث عن الانسجام معها. وتفاعلت هذه التحوّلات لتنتج واقعا جديدا يتعارض مع الذهنيّة الموروثة ولا يستجيب للمرحلة الجديدة. وتعمّقت القطيعة بارتفاع منسوب الخلافات بين الأبوين إلى حدّ بلغت فيه معدّلات الطلاق حدود 37 ألف حالة سنويا، وتعمّقت الخلافات بين الأبوين والأبناء إلى حدّ القطيعة التامّة بينهما. وانعكست هذه المعطيات وغيرها على نفسيّة التلميذ، وجعلته مرآة عاكسة للعنف النفسي والمادّي الذي يحاصره في البيت والمدرسة والشارع، فصار ضحيّة بدوره رغم انخراطه في حركة عنف مركّبة. وصارت المؤسسات التعليميّة بمثابة المحاضن لدى أغلبيّة الأسر تحتضن أبناءهم بقطع النّظر عن طبيعة التربية والتعليم التي تمكنهم منه.

2 - بعض المدرّسين من الرسالة إلى الاتجار في سوق سوداء

تأثّر المدرّس بدوره بالسياق الجديد باعتباره فردا في المجتمع والأسرة، وباعتباره وليّا للتلميذ، وحاد عدد من المدرّسين عن طبيعة المهمّة الموكولة إليهم في العقد المهني والأخلاقي الذي أمضوه مع الدولة والمجتمع. وانخرط العديد منهم في منطق السوق سواء بالاكتفاء بالحدّ الأدنى من المعارف التي يقدّمونها للمتعلم ثأرا من الدّولة التي لم تقدّر حاجتهم الحقيقيّة للمسائل الماديّة والنفسيّة التي يرون أنّه جديرون بها، أو بتحويل المعرفة إلى سوق موازية للتكسّب من خلال آفة الدّروس الخصوصيّة التي عوّضت دروس الدّعم بالمعنى القديم والنّبيل، وكان يقدّمها المدرّس للتلاميذ الذين يفتقدون المهارات اللازمة لتحصيل الحدّ الأدنى المطلوب من المعدّل، أو لمساعدة بعضهم في تطوير مؤهّلاتهم بحثا عن التميّز. وأسهمت الدروس الخصوصيّة التجاريّة في قتل روح العمل والمثابرة والاجتهاد من أجل النجاح والتميّز، وأخرصت أغلب المحفّزات لدى التلميذ، وجعلته مطمئنّا لما تبذله الأسرة من أرقام ماليّة تصل إلى حدود الألف مليار سنويّا.وارتبطت نسب النّجاح بالحالة المادية للأسر والجهات، وصار التلميذ والوليّ على وعي بهذه الممارسة التجاريّة المتعارضة مع صورة المربيّ رمز الفضيلة وقرين الأب في المتخيَّل الاجتماعي، وخلقت حالة من التوتّر والقطيعة النفسيّة، وصنعت لهما مبرّرات للتهجّم على المدرّس بصفة عامّة دون التمييز بين المتّهم والبريء. وتصبح خطورة السلوك العنيف الذي يمارسه مدرّس الدّروس الخصوصيّة التجاريّة أكثر أثرا حين يبدأ منذ السّنوات الأولى للتعليم الابتدائي ليصيب التلميذ في مقتل، ويجعله مشروعا فاشلا للتربية والتعليم. ولا يتوانى بعض المدرّسين عن ممارسة الميز بين تلامذتهم على قاعدة الدفع للدرس الخصوصي من عدمه، وينعكس ذلك في النتائج، وفي المعاملة، وحتى في أماكن الجلوس في قاعات الدّرس. وليتهم يقدمون الإضافة مقابل ما يحصّلونه من أموال غير مشروعة أخلاقيّا، إلاّ أنّهم ينخرطون في ضرب النشء وتدجينه وتعطيل ملكات الإبداع والتميّز التي كان أسلافهم يصقلونها ويوجهونه الوجهة السليمة. ولم يسلم التعليم العالي من هذه الآفة أيضا، إذا تتشكّلت خلايا من مجموعات صغيرة ومغلقة تختطف طلبة الماجستير والدكتورا وتستميلهم بوعود مثل اختيار اللجنة على المقاس وضمان الدرجات القصوى مثل "حسن جدّا للماجستير" ومشرّف جدّا" للدكتورا، ويتبادل أعضاء الخليّة الأدوار بين مشرف ومقرّر ومناقش. وغالبا ما يستجيب الطّالب لهذه المحفّزات السلبيّة فينخرط في دوّامة التزيف، ويحصل على شهادته مقابل حصول الأستاذ المشرف على المقابل المادّي التي ترصده وزارة التعليم العالي للإشراف.

3 - الإعلام من رافد للتربية والتعليم إلى محفّز للانحراف

يمثّل الإعلام أحد الأسلحة الخطيرة بالمعنيين السلبي والإيجابي في حياة الشّعوب عامّة وحياة الأطفال والشباب خاصّة. ولم يكن الإعلام

وقفة

التونسي بمعزل عن هذه المعادلة، غير أنّ أغلبه انجرّ إلى الدور السّلبي بعد أن غادر موقعه التقليدي المحكومة بالرقابة الإيجابيّة على ما يمكن تقديمة للمشاهد في المجالات الاجتماعيّة والثقافيّة. وقد حصل الانزلاق التام بعد سنة 2011 واستغلّ المنتجون للمحتوى الإعلامي أجواء الحريّة التي أتاحها الحراك المجتمعي للتخلّص من كل تدخّل في محتوياتهم. وبدلا من استغلال أجواء الحريّة للبناء والتطوير، اختار عدد من الإعلاميين والمنتجين مغامرة البرامج الهابطة والأعمال الدراميّة والمسرحية المشحونة ابتذالا (TÉLÉ-POUBELLE). ووجد الشباب التلمذي والطالبي في المحتوى المقدّم ملجأً يعبّر عمّا في نفسه من رغبة في كسر القيود والتمرّد على المقاييس القديمة للتربية والثقافة. وصارت المصطلحات المستعملة في تلك الأعمال المعروضة لغة التواصل بين الفئات الشابّة، ودليل الانخراط في الثقافة الرائدة، وعلامة مواكبة للتحولات، وحازت الأعمال الدراميّة والاجتماعيّة أعلى نسب المشاهدة، ممّا جعلها تحصد الأرقام المالية المساعدة على استمراريتها وعلى مزيد توسيع دائرة فلسفتها الثقافية الهدّامة. ومن الخيارات البرمجيّة الخطيرة التي سلّطت العنف على العمليّة التربويّة المقاطع الممسرحة التي يقدّمها بعض الممثلين لنقد سلوك فئة المدرّسين انخرطوا في العبث بالعمل التعليمي، وتحويله إلى سوق سوداء موازية. وقد وجدت المقاطع الموجّهة بدقّة لضرب صورة المدرسة والمدرّس، لأسباب منها الطعن في المدرسة العموميّة لصالح المدارس الخاصّة، قبولا لدى الأولياء والتلاميذ، ومثّلت فرصة للثأر من انحراف بعض المدرّسين على الرسالة الموكولة إليهم. وأسهمت في تنامي ظاهرة العنف ضدّ الإطار التدريسي دون تمييز بينهم، وارتفعت حوادث الاعتداءات بشكل لافت في مستوى الكمّ والكيف، وصار الاعتداء على المدرّس عملا بطوليّا بين الشبّاب. ولم يعد الولي بدوره يبدي اهتماما بخطورة ما يرتكبه التلميذ، بل يعمل غالبا على تبريره، ولا يصنّفه جرما مثلما جرت العادة سابقا، ولا يتفاعل معه إلاّ لمنع نتائجه على ابنه أو ابنته سواء بالانخراط في ممارسة العنف أو بالالتجاء إلى القضاء والقانون بحثا عن إدانة المدرّس. وقد أسمهت وسائل التواصل الاجتماعي في نشر ثقافة العداء للمدرسة والمدرّس، وسهّلت التطبيع معه وتبريره في كثير من الأحياء استنادا إلى بعض الممارسات التي تحدث بشكل منفرد. وتكامل دورها مع دور وسائل الإعلام في ممارسة العنف على المدرسة واستهدافها.

4 - الدولة من الرهان على المدرسة إلى إهمالها وضرب دورها

جعلنا دور الدولة في تنامي ظاهرة العنف العنصر الأخير في هذا المقال لمحوريّته وأهميته استنادا إلى دور الدولة المُفترض في ضبط العوامل السابقة، وجعلها تتفاعل إيجابيّا مثلما كان الحال سابقا. ولكنّ المسؤولين السياسيين والمختصّين في المجال التعليمي والتربوي سلكوا مسلكا آخر منذ إصلاح 1991، وتبنّوا خيارات غير التي يحتاجها إليها الشعب التونسي بثقافته وذهنيته وإمكانياته الماديّة المحدودة، وهي إمكانات تحتاج بدورها إلى دور الدولة الضامن لمجانيّة التعليم وإجباريته مثلما ضمنت ذلك الدساتير التي توالت. ومن أخطر القرارات التي حدثت في إصلاح 1991 إلغاء المناظرات التي تساعد في التصفية التصنيفيّة للتلاميذ كلّ حسب مؤهّلاته، والتخلّي عن التعليم المهني الذي كان يستوعب أساسا أولئك الذين عجزوا عن تحصيل الحدّ الأدنى من المعارف النظريّة. وأصبح مرور هذه الفئة إلى التعليم الأساسي رغم العجز عن الكتابة والقراءة عائقا ومعرقلا لزملائهم من الفئة العمريّة نفسها بسبب ما يحدثونه من شغب وتعطيل لسير الدروس بشكل من الأشكال. وهذا عنف خاص تجاه من خوّلت لهم مؤهلاتهم تحصيل المعدلات المطلوبة والقدرة على المواصلة ضمن المسارات الطويلة التي تتوّج بالتعليم العالي. وكان يمكن مساعدة هذه الفئة وإنقاذها من الضياع والفشل والسلبية بتمكينها من تكوين حسب المؤهلات يؤهلها للانخراط الإيجابي في المجتمع. وهكذا صار الفشل يلاحق النّجاح ويعرقله باعتبار أنّ التلميذ الذي يستشعر العجز عن النجاح في المرحلة التي أُلحق بها، يلتجئ إلى التعطيل والفوضى والعنف في شكل من أشكال الاحتجاج. وتفاقم الأمر بتقليص حجم ميزانية وزارتيْ التربية والتعليم باستمرار، وازداد الوضع سوء بعد 2011 من خلال مجموعة من الخيارات الخاطئة مثل مزيد تقليص حجم الميزانيات الضعيفة بطبعها، وتجاهل مسألة الاكتظاظ في قاعات الدّرس بعنوان الضغط على عمليّة الانتداب، وعدم تحسين أجور المدرّسين وفق مقاييس موضوعيّة والتغافل عن ظاهرة الدّروس الخصوصيّة التجاريّة التي تبتزّ التلميذ والولي، والالتفات عن السموم التي يروج لها الإعلام. وتدرّج الدور السلبي للدولة في العبث بالمنظومة التعليميّة والصمت على أشكال العنف التي تنخرها بتجاهل مسألة الاصلاح التربوي رغم تنوع الحكومات والوزراء والأنظمة السياسيّة، والعجز عن تحييدها عن مسارات التوظيف السياسي والإيديولوجي، والاكتفاء بخطوات استعراضيّة تفتقر إلى أدنى درجات الحرفيّة والجديّة في معالجة مرض عضال ستكون كلفة كل سنة تأخير في إنجازه عقدين تامين من الآثار السلبيّة، والاستمرار في التجاهل يضاعف الآثار باستمرار.

صورة تتحدّث

فضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الازهر، عضو المجمع اللغوي بالقاهرة، والمجمع العلمي العربي بدمشق. (1958/ 1873)

حكم عليه الاحتلال الفرنسي، حكما بالاعدام، فهاجر إلى دمشق ومنها إلى القاهرة.

قام الشيخ محمد الخضر حسين بعديد الرحلات العلمية إلى الشرق والغرب، فقد زار طرابلس ليبيا سنة 1889 وقام برحلة علمية إلى الجزائر سنة 1903 ثن عاد إلى زيارتها سنة 1904. ركما بدأت رحلته الأولى إلى الشرق سنة 1912.

زارمالطة والاسكندرية والقاهرة وبورسعيد ويافا وحيفا ودمشق وبيروت واسطنبول ثم عاد إلى تونس، ولم يمض شهر حتى عزم على الهجرة الى دمشق، فارتحل إليها متنقلا من مصر إلى الشام والحجاز ثم ألبانيا وبعض بلاد البلقان والأستانة والمانيا.

وفي عام 1920 ارتحل إلى القاهرة واستقرّ فيها حتّى آخر حياته، وقام خلالها برحلات إلى سوريا ولبنان والحجاز..

كان متشوّقا للعودة إلى الوطن الأم تونس بعد أن نالت استقلالها.. وقد طلب منه الرئيس الحبيب بورقيبة العودة وكانت بين الرجلين مودّة وصلة وثيقةمنذ ايام الجهاد والكفاح في مصر.

وما إن قبلها الشيخ الخضر وتهيأ لها، حتّى ادركته المنيّة بعيدا عن الوطن.

عن علي خضيري

أستاذ الفلسفة السياسية المفكر صالح مصباح لـ«الشارع المغاربي»:

ما يحدث في غزة أكثر من انتفاضة على الحداثة والتنوير

• التعريب جاء لمواصلة تحكّم الدولة في التعليم
• القصد من تعريب الفلسفة في الثانوي تجذير تحكّم الدولة في توزيع المعرفة

حاورته : عواطف البلدي

الأكاديمي المختص في الفلسفة السياسية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس الدكتور صالح مصباح مفكّر مخلص لمشروعه الفلسفي الثقافي... يدور فكره حول اعلاء شأن العقل وهو من الأكاديميين القلائل الذين لا يكتبون حرفا الا وفي أذهانهم معنى يتشبثون به. نجح في تقديم أشد الافكار عسرا على الهضم العقلي للقارئ بعبارات فلسفية مشرقة وفكّ أصعب مسائل الفلسفة السياسية وجعلها في متناول طلبته وقرّائه. في هذا الحوار استطاع د. مصباح بمنطقه الرصين وبعقله المنظّم ان يُخرج الفلسفة من بطون الكتب وأروقة الجامعة لتؤدي دورها في الحياة هنا والآن.

«الشارع الثقافي» طرح على المفكر صالح مصباح أسئلة حول الفلسفة وآثامها وواقع التعليم وعن المعطّلات المعرفية والبيداغوجية التي تسكن جامعاتنا فكان هذا الحوار متراوحا بين الفلسفة و»الفكر الديكولونيالي»...

في ظل الأصوات المعلنة لـ»موت الفلسفة» هل نحن في حاجة إلى فعل التفلسف؟

في البدء أقول إن كل ما يتضمن هذا الحوار إنما يصدر عن مقام ديكولونيالي - بمعنى يطلب نزع استعمار العقل جنوبا، كما شمالا، ضمن ما اشترعه فرانتز فانون ذات يوم وهو يملي كتاب «معذبو الأرض» على كاتبته في إحدى ضواحي تونس العاصمة من ضرورة «تحرير أوروبا من أوروبا « ذاتها، تحريرا سياسيا ومعرفيا ونفسانيا لا بمجرد الاحتفال الطقوسي الجمالي بـ»قضية التحرير». وينطبق هذا على قصة «موت الفلسفة أو نهايتها « أطروحة متمركزة أوروغربيا- قيلت بعد هيغل وماركس، وتجددت بعد فيتغنشتاين، وهيدغر، ثم خلال بداية سبعينات القرن الماضي بفرنسا...وإذا كان مرجعنا هو هؤلاء فمن «الطبيعي» أن تكون الفلسفة قولا كولونياليا متأزما على الدوام عندنا... أما إذا اعتبرنا انه من الممكن التفلسف دون الاستظهار الدائم بالتحويل التجاري»، فلا حاجة لإتباع كل «مستجد» (مؤسسات وأقاويل) ومحاكاته، أو «مكابدته» محليا.

«جامعاتنا تدرّس ولا تفكّر» الى أي مدى تشاطر قول زميلك المختص في فلسفة الاقتصاد د. حميّد بن عزيزة؟

الجامعة الراهنة هي كذلك في كل مكان، جامعة تطلب النجاعة والإنتاج وفق المنوال الأطلسي المعمم...وأرجو أن تحسن الجامعات عندنا «التدريس»، تدريس ما ينتج محليا وفي المراكز العالمية. أما الجامعة التي تفكر، فأظن أنها تجربة خاصة بألمانيا في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر نتيجة تجربتها الروحانية بعد الإصلاح الديني التي عوضت فيها الجامعات الكنيسة، وكانت منحصرة في مجال « الفلسفة والإنسانيات» - أي التي تعاني تهميشا في عالمنا.

ما هي المعطّلات المعرفية والبيداغوجية التي تسكن جامعاتنا؟

إنها الكولونيالية بكل معانيها (كولونيالية المعرفة منذ القرن التاسع عشر، كولونيالية السلطان منذ القرن السادس عشر، الشرط الكولونيالي عموما) . تعرفين أن مهنتي هي التدريس، وبالتالي إنا مولع بالتوضيح، ولكن من مقام بيداغوجيا ديكولونيالية تحريرية كالتي اقترحها البرازيلي باولو فريري، والكيني نغوغي وا ثيونغ ... على أرضية فانونية، ولذلك ادعوك إلى رسم خط الاختلاف بين تلك الوضعيات التاريخية... ولا تخرج عن ذلك التصنيف الجامعات المستحدثة- على خلفية إبادة المؤسسات المحلية أو تهميشها- في أمريكا الجنوبية، ثم في أسيا، ثم في إفريقيا، وفي المنطقة العربية منذ الجامعات الأولى في لبنان ثم مصر، ثم بقية البلدان العربية. فهناك جامعات الاستعمار والكولونيالية، ثم جامعات مناهضة الاستعمار والديكولونيالية، والآن جامعات ما -بعد الاستعمار المباشر ومشاريع الجامعات الديكولونيالية.....

بل إن « نجاح» بعض جامعات الجنوب العولمي (=جامعات ما-بعد الاستعمار المباشر)، في أن تكون ضمن قائمة شنغاي ليس لجودتها «إطلاقا» بل لكونها تستجيب لمعايير «الجامعة المهنية الاقتصادية المنتجة والناجعة» - وهي بالضرورة جامعة «علوم دقيقة» و»اقتصاديات» و» تقنيات» أي تستجيب لحاجيات الإمبراطورية الاوروغربية الشمالية الغالبة أو منافستها «الشرقية-الجنوبية» التي تريد «نزع الأحادية القطبية» الجامعية العالمية على نفس الأرضية- المثل البراديغمي هو الصين وروسيا، ويمكن إضافة اندونيسا، وماليزيا، وجنوب أفريقيا... فلا عزاء لمن « قبله» المعيار ولا لمن « لفظه». في حين تقاوم مشاريع الجامعات الديكولونيالية السلطان الابستيمي الإمبراطوري وسط محاصرة شديدة (تتراوح بين الناعمة والخشنة) من جانب المراكز الكولونيالية شمالا، وممثليها المحليين في الجنوب- أشير هنا إلى تجارب في الايكواتور، وبوليفيا، والبرازيل، وكوبا...

هل تخلت الفلسفة عن المهمة التي ألزمها بها هيجل وكأن الفيلسوف لم يعد «ابن عصره» طبقا لمقولة ماركس؟

ليس من الضروري أن يقبل الجميع بهذه الصلة، أي الموقف التاريخاني (هيغل) الذي يعتقد انه قد «ختم التاريخ»، أو الموقف التاريخي(ماركس) الذي يربط الفلسفة بعصرها اضطلاعا مباشرا فيجعل منها « إيديولوجيا سياسية» - ونحن نعرف الخيبات التي آلت إليها عديد التجارب. نعم يمكن للمرء أن يكون هيغليا أو ماركسيا في الفلسفة، ولكن يمكن أن يختار غير ذلك وفق مسوغات محددة. أو تصبح الفلسفة ايديولوجيا (ماركس) .

أي دور للجامعات ولنقابات التعليم في وضع المناهج التعليمية؟

ضرورة مشاركة جميع العارفين صناعيا بمجالات التعليم (الجامعات، ومراكز البحث)،

إلى جانب أصحاب الرأي في الجوانب النفسية والاجتماعية المحيطة بالعملية التعليمية (يمكن للنقابات أن تشارك عبر خبرائها في ذلك).

لو تقيّم لنا الإصلاحات التي حصلت سابقا وخاصة نظام «أمد»؟

سبق أن أعطيت رأيي منذ اكتوبر2005 في محاضرة – النص موجود في الشبكة الافتراضية– ولم يتغير رأيي : إصلاح 1958 كان يريد بناء تصور خاص بتونس بعد الاستقلال، وكان الهدف « التحديث»، إصلاح التسعينات كان هدفه تحيين «التحديث» وترميم ما طاله من «اهتراء» و» شروخ»، ولم تخرج المحاولات التي تلت ذلك عن إطار قانون 1993 من جهة التوجهات الكبرى. وقد كان الجهد على الدوام « مواكبة التقدم»، وبتوطين القيم المعرفية الاوروغربية محليا. والجديد في ما يخص نظام أمد هو القبول بفرض بنية النظام التعليمي لا مضمونه فقط، على نحو يجعله «مقروءا» (أي معترفا به) من جانب السلطان المعرفي العالمي (=الامبراطوري)، وعدم القبول يعني الخروج مما يشبه منظومة « سويفت».

ماذا عن الاستشارة الوطنية المتعلقة بإصلاح نظام التربية والتعليم 2023؟ وما الذي ستغيّره حسب رأيك ؟

لقد راهن المشروع على استئناف ذات مشروع صنع «الذاتية» التونسية المتجددة، على خلفية ثورة 2010، وهو يحاول الاستفادة من محدودية ما سبق– ولا يمكن الحكم عليه إلا بعد تبلور دقائقه – فالشيطان يسكن التفاصيل على الدوام.

مرت 50 سنة على قرار التعريب (1974) كيف تقيم ذلك القرار بعد نصف قرن من الزمن؟

جاء التعريب خطوة لمواصلة تحكم الدولة منذ السنوات الأولى في التعليم عبر توحيد التعليم وما ذكرت منذ قليل بصدد الإصلاح التربوي: السلطة السياسية تنظم وتوجه المعرفة كما فرضت ذلك «الحداثة» في نسختها الفرنسية اليعقوبية التي استلهمتها السنوات الأولى لرحيل الاستعمار المباشر. ولم يخرج تدريس مادة الفلسفة عن ذلك: فقد جاء افتتاح قسم الفلسفة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس متأخرا (مقارنة مع العديد من البلدان العربية) نظرا للخوف الذي أبدته السلطات التونسية من إمكانية أن ينتمي الأساتذة الأجانب إلى اليسار الفرنسي مثل بعض مدرسي الفلسفة في الثانوي. ولما استحدث القسم 1965-1964،استعين بغير اليساريين – بمن فيهم ميشال فوكو الذي كان مضادا لماركس في كتاباته بعد أن ابتعد عن الشيوعيين منذ 10 سنوات، ولم يكن ما فعله سياسيا حرفيا بل بصفته « نيتشويا» واناركيا غير واع بذاته... وكان موقف من الحراك الطلابي ايتقيا (= «شخصيا» كما كتب ريتشارد رورتي) لا سياسي، ورغم ذلك لم يعجب السلطات التونسية. بعد ذلك جاء تعريب الفلسفة في الثانوي وكان القصد تجذير تحكم الدولة في توزيع المعرفة، ولذلك صاحب التعريب فرض برنامج رسمي يعوض « حرية التدريس» السابقة التي اعتبرت « فوضى»...(يمكن الاستفادة من شهادات المتفقدين الراحلين عبد الكريم المراق، ومحمد الكراي، وغيرهما)، وجاء التعريب في ذلك النطاق العام : الهيمنة على تصريف المعرفة، شكلا ومضمونا – وتعريب لغة التدريس لم يكن إلا استراتيجيا من بين الاستراتيجيات، في حين ظل المضمون محاكاة (باهتة) للبرامج الفرنسية.

ما هي ايجابياته وسلبياته في مجال اختصاصك الفلسفي؟ وكيف تقيم مستوى الطلبة الذين درسوا ويدرسون الفلسفة باللغة العربية اليوم؟

رأيي العام أن التعريب ليس مشكلا إلا من منظور كولونيالي مهما كانت المبررات المستترة (عدم تحكم عديد المدرسين في اللغة الأم) أو الصريحة (الدفاع عن موقف سياسي ايديولوجي مضاد للنظام الحاكم) أو المراوغة (الحفاظ على مصالح شخصية وفئوية تضمنها ديمومة استعمال الفرنسية لغة للتدريس)... أما من منظور ديكولونيالي فالتعريب خطوة من خطوات « نزع استعمار العقل» ومكمن

الحداثة المغايرة ليست ديكولونيالية وإنما هي نقد الكولونيالية الغربية من داخل أسوارها

ميشال فوكو كان مضادا لماركس في كتاباته بعد أن ابتعد عن الشيوعيين منذ 10 سنوات، ولم يكن ما فعله سياسيا حرفيا وإنما بصفته « نيتشويا» واناركيا غير واع بذاته

الديمقراطية الخاصة بالمجتمع الأهلي ضرب من الشعبوية وهي مختلفة عن الديمقراطيتين الليبرالية والراديكالية

أرجو أن تُحصِن الجامعات عندنا «التدريس»

لمّا استُحدِث قسم الفلسفة (1964-1965) استعين بغير اليساريين

«حدث» غزة هو تكثيف لكل المهام الديكولونيالية المطروحة

الصعوبة في كيفيات إجرائها سياسة عامة، (الموقف الشخصي سهل طالما ظل في مناط من يقوم به). واغلب الصعوبات عند الطلبة أو عند المدرسين ناتجة عن تلك الكيفيات، من ناحية وعن كولونيالية المعرفة عموما، وليست حال الفلسفة خارج سياق ذلك، ومن سوء النية ربط السلبيات بالتعريب .

لديك ترجمات ومراجعات في الفلسفة.. ما تقييمك للترجمات الفلسفية الصادرة بأقلام تونسية؟

لا تتعلق مشكلة الترجمة خلافا لظاهر الأمر بالجانب الصناعي (بالتمييز بين مَن مِن الأفراد يجيد الترجمة ومن لا يجيدها، ومن يترجم صراحة عن ترجمة وسيطة ومن ينجز ذلك خلسة مدعيا انه يترجم عن الأصل في حين يستخرج العارفون باللغات الأصل أو الوسيطة، اللغة الباطنة والغائرة المعتمدة دون عناء– وقد شبه لي احد معارفي أن ذلك ينتج مشهدا شبيها بالسماء في الليل: ظلمة مرصعة بنجوم هي الاستلافات من اللغات الوسيطة، وغير ذلك من الحالات...)، بل بمشروع الترجمة ذاته : ما هي القوة التي تضع المشروع، وما مقصدها، وماذا يترجم. فهناك «الترجمة الكولونيالية» يسنها المستعمر المباشر سابقا، ويشجع عليها اليوم، أو يقوم بذلك مَن حل محله رسميا أو معرفيا : الترجمة آلية من آليات « استعمار العقل» (كينونة، وعرفانا، وذائقة، وسلطانا) ؛ ولكنها يمكن أن تكون آلية ممانعة أو مساندة لجهد «نزع استعمار العقل» (كينونة، وعرفانا، وذائقة، وسلطانا) – وهذه اسميها «الترجمة الديكولونيالية». ولا تخرج حال الترجمة في تونس عن ذلك، منذ تجربة «المدرسة الحربية ببباردو» في القرن التاسع عشر...إلى المجهودات الفردية الراهنة.

في كتاباتك تطرح كثيرا مقولة الديكولونيالية لو تشرح لنا الفكرة والى أي مدى ساهمت «الديكولونيالية» أو «الحداثة المغايرة» في دحض مقولتي الحداثة والتنوير الغربيتين؟

لقد كنت اقترحت سنة 1992 فكرة «الحداثة المغايرة» تحت راية اسبينوزا على أنها تعني محايثة انطولجية، وانسية اقتدار، وعقلانية صارمة، واجتماع ديموقراطي جمهوري راديكالي، وروحانية علمانية وقد تابعت في ذلك صديقي الراحل انطونيو نيغري الذي اعتبره «انحرافا متوحشا» حسب عنوان كتابه الشهير الذي يعني ان فلسفة اسبينوزا مُرُوق عن البراديغم الليبرالي السائد، وأنها غير قابلة للترويض والتدوير، ولكنني منذ أكثر من عشرين سنة تخلصت من هذه المبالغة في إخراج اسبينوزا من «الحداثة الغربية» – فلا شك أنه أكثر فلاسفتها راديكالية، ولكنه لا يخرج من مركزية غربية للكينونة (محايثة) والمعرفة (عقلانية صارمة) والاجتماع السياسي (جمهورية ديمقراطية علمانية)، استعملت ليبراليا، وشيوعيا، وجمهوريا ايديولوجيا تبريرية . ولذلك لا بد من إعادة صياغة السبينوزية ذاتها، أكثر مما فعل اليسار الراديكالي العالمي، وأكثر من الإصلاح الديني المعاصر مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديا لتحرير اسبينوزا من «مستعمريه» قبل تخليص فكره من حدوده

الحداثية. فالحداثة المغايرة ليست ديكولونيالية وإنما نقد الكولونيالية الغربية (الداخلية) من داخل أسوارها.

وتبعا لذلك أصبحت أميل إلى اعتبار الحداثة الغربية أمرا واقعا لابد من التعامل معه نقديا ومن مقام التملك: مواجهة الوجه المظلم، وتجذير الوجه الانعتاقي، والتعاطي مع الحالات السياسية والفلسفية حالة بحالة، كما مواجهة «الكمبرادورية الحداثية» (كما قد يقول احد الأصدقاء من أمريكا الجنوبية) من ذات المقام . وليست «الحداثات المحلية» إلا ضروبا من تلك الآليات : نزع الطابع الغربي عن المشروع الحداثي أولا ثم العمل على تعديده على خلفية أكوانية (جمع كونية).

قد يحيلنا هذا الطرح على ضرورة رد الفيلسوف العربي الاعتبار لرموز حداثتنا كيف ذلك؟

تقصدين أن يرد الفليسوف الديكولونيالي الصادق لا الموهوم، الاعتبار للمجهود الديكولونيالي الصميم - مهما كانت محدوديته- لفلاسفة ولغيرهم من غير الفلاسفة المضطلعين عن وعي ببعض المسائل الديكولونيالية مثل علماء الاجتماع والنفس والتاريخ والجغرافيا والانثروبولوجيا والحضارات والسياسة والحقوق، والفقه والشريعة، والاقتصاد، والإعلام، والنقاد الفنيين، والمتخصصين في الأدب المقارن... ترين أن مسألة رسم خارطة تجمعهم تتطلب جهدا كبيرا: وهي الخطوة الأولى للأجندة الكولونيالية العربية والإسلامية والمسيحية والعلمانية.

«لتطبيق الفلسفة إثمان»، تدوينة أرفقتها على صفحتك بفايسبوك مع فيديو حول حادثة اعتقال رئيسة قسم الفلسفة بجامعة إيموري بجورجيا.. هل للفلسفة آثام ؟

* هذه التدوينة (وانأ اخذ بجدية كل ما أدون في الفضاء الأزرق، وأشكرك على الاستشهاد بذلك) كانت سخرية من الراكبين على « الفلسفة التطبيقية» من اجل إيجاد ضرب من المشروعية : هم يطبقون الفلسفة الكولونيالية لا الفلسفة الانعتاقية، وقد شاركوا منذ زمن في نشر ناعم للقيم التي نعتبرها كولونيالية ... مثلا نشر كتابات هابرماس بعد -1975 ويمثلها مقاله «الحداثة مشروع غير ناجز» أحسن تمثيل هو سعي إلى تحقيق ذات البرنامج... أي مواصلة انجاز الوجه الكولونيالي أيضا (أي إتمام كولونيالية الكينونة والسلطان والعرفان، والذائقة، والرغبة، بعد الطبيعة ...) .

ألا ترين أننا محظوظين لأن المشروع غير ناجز، لا في الشمال (الكولونيالية الداخلية)، ولا في الجنوب (مركب الكولونيالية الخارجية وسليلتها الكولونيالية الداخلية). ولا غرابة في أن يقف المفكر الألماني -واغلب أتباعه في الغرب/ الشمال كما في الجنوب صراحة أو بالصمت - من غزة موقفه المعروف- موقفا رئيسة قسم الفلسفة بجامعة إيموري بجورجيا.. ونانسي فريزر المشرفان تؤكدان رأينا.

في إعادة قراءتك للتاريخ تستدعي أسماء عربية بجنسية أمريكية على غرار مؤلف «الاستشراق» ادوارد سعيد وغيره وتربط ما يحدث في غزة اليوم بجامعة كولومبيا التي درس بها .. هل تعتبر ما يحدث في غزة لحظة انتفاضة على مقولتي الحداثة والتنوير؟

نعم مواجهة الاستشراق متواصلة... لقد طرحتها من جديد الانتفاضات العربية إلى حد أن المفكر الإيراني حميد دباشي وجد فيها نهاية الاستشراق، أي الصورة الغربية عن الشرق المستسلم للسلطة الرعوية، والمستثنى من العيش الديمقراطي. وهي متواصلة في مواجهة الأعوان المحليين من المدافعين عن «المعرفة الكولونيالية» عموما، وهي متواصلة في أعمال وائل حلاق حول «نقد العلم الحداثي»، وجوزيف مسعد حول السلطان الكولونيالي - وأنت ترين أن الثلاثة من فلسطينيي الشتات، ضحايا كل أشكال الكولولونيالية، وان ثلاثتهم عملوا أو يعملون بجامعة كولمبيا التي تستضيف الفكر المانع منذ عقود أما عن «حدث» غزة فهو تكثيف لكل المهام الديكولونيالية المطروحة :

- مقاومة مناهضة لأشد أنواع الاستعمار قسوة وهو الاستعمار الاستيطاني - مثل المقاومات العسكرية في الأمريكتين للاستعمار الأبيض بداية من 1492 إلى اليوم والمقاومات العسكرية والسياسية في إفريقيا وآسيا للاستعمار الأبيض بداية من القرن 16 إلى اليوم . والمقاومات العسكرية والسياسية في الجزائر للاستعمار الفرنسي بداية من 1830 الى 1965...

- مقاومة للتغريب السياسي عبر إرادة إرساء سلطة مستقلة وفق المعايير الغربية للديمقراطية ولكن مع توطينها وتأصيلها.

- محاولة « لنزع استعمار العقل» ببناء مؤسسات تعليمية وثقافية محلية منفتحة على كل العالم ولكن من مقام ذاتي، بتملك التكنولوجيا الغربية وتوجهها ضد الهيمنة الغربية، وممارسة تخريب للابستيمية الغربية لتعطيل عنفها ثم إعادة توجيهها نحو البعد الانعتاقي .

- محاولة لتكوين «ذاتية منعتقة» أخلاقيا وذوقيا وروحانيا، وايروتيقيا من كولونيالية الكينونة والذوق والعرفان، والإيمان، ضمن تداخل ديني وذوقي أصيل وطريف لأنه جامعا لتعدد الأديان والمذاهب الإسلامية، وضامّا للعلمانيين المحليين على شالكة الغرب الليبرالي أو الشرق (الاشتراكي سابقا أو راهنا).

- ما يحدث في غزة أكثر من انتفاضة على الحداثة والتنوير: انه محاولة لتحريرهما من الكولونيالية (التي ربطت النير فيهما بالغرب ووجهت المظلم نحو الجنوب العولمي).

أي مفهوم للديمقراطية حسب رأيك في ظل الواقع العربي الحالي (غزة فلسطين اليمن سوريا العراق ليبيا...) وهل يعدّ فقدانها احد أسباب عجزنا العربي؟

يمكن الانطلاق من تشخيصين: أ- ضبابية مفهوم الديمقراطية، وارتباطها بالدولة القومية الغربية، وارتباطها بضرب من السياسة الحيوية (فوكو/نيقري/اغامبن/ تشاترجي) في المركز الغربي : الحقوق والحريات من شروط ذلك السلطان على الحياة؛ وتصديرها للكيانات الكولونيالية بعد الاستقلالات شكل كولونيالية متجددة بعد الاستعمار المباشر مع فارق هشاشة تلك الكيانات وهشاشة حقوق الناس وحرياتهم وهشاشة وجودهم الحيوي ذاته.

ب - الاضطلاع بالتحدي الشعبوي(يمينيا كما يساريا/ غربا وشرقا) من مقام رصد صعوبات الديمقراطية. والمدار هو التفكير في الأشكال السياسية المناسبة لكل حالة وفق تعينها المخصوص، وتقاليدها الاجتماعية ومكتسباتها المحلية، في ضوء المنشود البشري الراهن للكرامة الإنسانية في أشكالها المتعددة - دون السقوط في فخ ترذيل الأفكار والشعارات بسبب التوظيف السياسي السلبي محليا أو عالميا. ومن الضروري التأكيد على أن الموقع هو ما سماه المفكر الهندي بارتا تشاترجي «المجتمع السياسي»، ويقصد ما سماه وضاح شرارة «المجتمع الأهلي» أي نسيج العلاقات الاجتماعية التي لا تتقوم بالانفصال بين الدوائر المجتمعية المختلفة (تجربة الحداثة الأوروبية كما نظرها ماكس فيبر) بل بتداخلها لا موقع « المجتمع المدني « في معناه الليبرالي القائم على الاستقلالات المذكورة بين السياسي الاقتصادي، والديني والأخلاقي، أو في معناه اليساري كما عند غرامشي كما هو معلوم. ومن البين أن الديمقراطية الخاصة بالمجتمع الأهلي مختلفة عن الديمقراطية الليبرالية المعروفة، وحتى عن الديمقراطية الراديكالية (حسب دعوى ارنستو لاكلو وشانتال موف) - ولعله لذلك يقع الخلط بين هذه الديمقراطيات الموجودة، والثالثة، ديمقراطية المجتمع الأهلي المنشودة، واعتبار هذه الأخيرة (من مقام كولونيالي جاهز) ضربا من الشعبوية .

نافذة لأراك
(Fenster um dich zu sehen)

كمال العيادي (الكينغ)
Kamal Ayadi - KING

(9)

مُنْذُ بِدَايَة تسَاقُطِ سُورهَا، تتزيّنُ القيْرَوَانُ العجُوزْ، وتخرجُ لكُمُ كلّ ليْلةٍ خِفْيَة، من بابِ تُونِسْ، لتعودَ فجرًا من بابِ الجلاّدينْ، وَهْيَ تُتَمْتِمُ بالمُعْوَذتَيْنْ وتَستغفرُ مَرّتينْ... فلا تسألْ مَعَ مَنْ كانتْ ولا أيْنْ. فلعلّكَ سَتَكُون آخرَ العاشقينْ، ولعلّكَ ستكُون، أوّل الخُطّابِ المُولَهِينْ.

Seit dem Fall seiner Mauern schmückt sich das alte Kairouan, und es kommt jede Nacht heimlich aus dem Tor von Tunis zu Ihnen heraus, nur um im Morgengrauen aus dem Tor der Henker zurückzukehren, ... also frag nicht: Mit wem war sie zusammen und wo? Vielleicht sind Sie der Letzte der Liebenden und vielleicht der Erste der inspirierten.

«الجامعة دون شروط» أو «الجامعة وحق المقاومة»

جاك داريدا *

ترجمة : عبد الوهاب البراهمي
متفقد عام للتربية سابقا (فلسفة)

«هل يمكن للجامعة (وبالتالي كيف لها) أن تؤكّد استقلالية لا مشروطة-، وتطالب بضرب من السيادة، ونوع جدّ أصيل، ونوع استثنائيّ من السيادة، دون المجازفة بالوقوع في خطر كبير، بل من الواجب ، بحكم التجريد الممكن لهذه السيادة المستقلّة ، أن تسلّم نفسها وأن تستسلم دون شرط، وأن تكون لقمة سائغة وأن تشترى بأيّ ثمن؟»

(داريدا)

«نحن نعرف ذلك جيدا، لا توجد فعلا هذه» الجامعة دون شروط». لكن يجب على الجامعة، مبدئيا وتوافقا مع الغرض من وجودها صراحة، وبفضل جوهرها المعلن، أن تظلّ الحيّز الأقصى للمقاومة النقدية - والأكثر من نقدية - مقاومة لكلّ سلطات التملّك الدغمائي وغير العادل.»

(داريدا)

«يمكن للمقاومة ، بوصفها لامشروطة، أن تجعل الجامعة في مواجهةٍ لعدد كبير من السلطات : سلطات الدولة (وبالتالي السلطات السياسيّة للدولة - الأمّة وبتوهّمها السيادة غير القابلة للقسمة : وهو ما تكون به الجامعة متقدّمة لا تقدّما كوسموبوليتيكيا ، بل أيضا كونيّا، ممتدّة إذن إلى ما وراء المواطنة العالمية والدولة- الأمة بوجه عام)، و لسلطات اقتصادية (تمركز الرأسمال الوطني والدولي)، وللسلطات الاتصالية والايديولوجية والدينية والثقافية ، الخ . وباختصار لكل السلطات التي تحدّ من الديمقراطية القادمة» .

(داريدا)

« يعني هذا العنوان المقترح أولا أنّه يجب على الجامعة الحديثة أن تكون دون شروط. ونعني « بجامعة حديثة»، تلك التي أصبح نموذجها الأوروبي، بعد تاريخ وسيط غنيّ ومعقّد، مهيمنا، أي « كلاسيكيا»، منذ قرنين، في دول من نوع ديمقراطي. تتطلب هذه الجامعة، ويجب عليها أن تشهد بذاتها الاعتراف من حيث المبدأ، فضلا عما نسمّيه الحرية الأكاديمية، حرية لامشروطة في التساؤل والاقتراح لا بل أكثر من ذلك ، الحقّ في القول عموميّا كلّ ما يقضيه بحث أو معرفة أو فكر عن الحقيقة. وتبدو الإحالة إلى الحقيقة، وإن ظلت جدّ مبهمة أساسية جدا كي نجد أنفسنا، مع النور، على شارات رمزية لأكثر من جامعة. تضطلع الجامعة بالحقيقة . فهي تصرّح ، وتعدُ بالتزام دون قيد ولا حدّ تجاه الحقيقة.

تمنح منزلة الحقيقة وصيرورتها دون شكّ، مثل قيمتها، الفرصة لنقاشات لا تنتهي (حقيقة التطابق أو حقيقة الإلهام، والحقيقة بوصفها موضوع خطاب نظري- تقريري أو أحداث شعرية- إنجازية، الخ). غير أنّ هذا يناقش، بطريقة مميّزة، في الجامعة وفي الأقسام التي تنتمي إلى الإنسانيات. ولنترك جانبا هذه المسائل الخطيرة معلقة الآن. ولنؤكّد فحسب استباقا على أن هذه المسألة الشاسعة للحقيقة وللأنوار، مسألة الأنوار ILUSTRACION, ILUMINISMO, ENLIGHTENMENT, ILLUMINISMO,كانت دوما متصلة بالإنسان. وهيتلزم بمفهوم الإنسان في حدّ ذاته، ذاك الذي أسّس في الآن نفسه النزعة الإنسية والفكرة التاريخية للإنسانيات. ويشكلّ اليوم الإعلان المتجدّد والمعاد صياغته « لحقوق الإنسان» (1948) وتأسيس المفهوم الحقوقي» للجريمة ضدّ الإنسانية» (1945) ، أفقا للعولمة وللحقّ الدولي الذي يفترض منه السهر عليها.(أحتفظ بالكلمة الفرنسية « للعولمة MONDIALISATION من أجل « الكوكبة» GLOBALIZATION – حتى احتفظ بالإحالة إلى «عالم»« GLOBALISIERUNG (WORLD, WELT, MUNDUS) « MONDE) الذي ليس الكوكب GLOBE ولا الكوسموس COSMOS ،ولا الكون L'UNIVERS). نحن نعرف أنّ الشبكة المفاهيمية للإنسان ، للإنسان في حدّ ذاته ، و لحقّ الإنسان وللجريمة ضدّ إنسانية الإنسان تنظّم مثل هذه العولمة . تريد هذه العولمة إذن أن تكون أنسنة HUMANISATION . لكن، إذا ما بدا مفهوم الإنسان في ذات الوقت ضروريا وإشكاليا دوما، فسيكون هذا إذن ، أحد مبررات أطروحتي ، وإذا ما شئتم، إحدى أطروحاتي في شكل إفصاح عن اعتقاد ، لا يمكن مناقشته أو إعادة صياغته، كما هو ودون شرط ، ودون مسلّمات ، إلاّ في فضاء « الإنسانيات «الجديدة «. لكن لتكن هذه النقاشات نقدية أو تفكيكيّةDÉCONSTRUCTIVES ، وهو ما يعني المسألة وتاريخ الحقيقة في علاقتها بمسألة الإنسان، بما يخصّ الإنسان، بحق الإنسان ، وبالجريمة ضد ّ الإنسانية الخ..، يجب أن يجد كلّ ذلك مبدئيا في الجامعة وبامتياز، وفي « الإنسانيات» HUMANITÉS، حيّزه للنقاش اللامشروط ودون مسلمات ، وفضاءه المشروع للعمل وإعادة البناء. لا من أجل التقوقع عليها، بل على العكس، للعثور على أفضل منفذ إلى فضاء عموميّ جديد غيّرته تقنيات جديدة للاتصال والإعلام والتوثيق وإنتاج المعرفة. (ومن بين المسائل الخطيرة التي تطرح هنا، لكنها المسألة التي يجب عليّ أن أتركها مفتوحة، بين الجامعة والخارج السياسي- الاقتصاديّ، هي مسألة سوق النشر والدور الذي يلعبه في عملية الأرشفة والتقييم والشرعنة للأعمال الجامعية). ليس أفق الحقيقة أو الأفق الخاص بالإنسان بالتأكيد حدّا قابلا للتحديد كثيرا. لكن أفق الجامعة والإنسانية هو كذلك أيضا. نحن نعرف ذلك جيدا، لا توجد فعلا هذه الجامعة دون شروط . لكن يجب عليها ، مبدئيا وفي التوافق مع هدفها الصريح ، وبفضل جوهرها المعلن، أن تظلّ الحيّز الأقصى للمقاومة النقدية - وأكثر من نقدية - مقاومة لكلّ سلطات التملّك الدغمائي وغير العادل. وحينما أقول « أكثر

(احتجاج الطلاب في جامعة « كولومبيا « الأمريكية ضد « الإبادة الجماعية» في غزة»).

من نقدية» ، فإني أقصد « تفكيكيّة» (لم لا نقول ذلك مباشرة ودون مضْعَيَة للوقت؟). أطلب الحقّ في التفكيك بوصفه حقّا لامشروطا في طرح الأسئلة النقدية لا على تاريخ مفهوم الإنسان فحسب، بل على تاريخ مقولة النقد بالذات ، على تاريخ شكل ونفوذ المسألة1، على الشكل. (1).

قد تناولت بالمناسبة، في مواضع أخرى أوّلا، في « الفكر ، هيدجر والسؤال (قاليلي ، 1987، ص 147). « مسألة» نفوذ السؤال هذه ، ولهذه الإحالة تحقيق ما قبل - أصلي حتى لا تكون سريعة التصديق ولا وضعية ولا دغمائية، ولتبقى مفترضة لكلّ سؤال ، مهما كانت ضرورية جدا ولامشروطة ، أولا لأصل الفلسفي بالذات. تساؤلية للفكر، إذ يعني ذلك الحقّ في القيام به تقريريا وأدائيا، أي بصناعة أحداث ، بالكتابة مثلا، وبإيجاد (وهو ما يتعلق إلى حدّ الآن بالإنسانيات الكلاسيكية أو الحديثة) أعمال متفرّدة. نعني بحدث للفكر الذي تمثله هذه الأعمال ، هو أن يحدث شيء ما، دون خيانته بالضرورة ، لهذا المفهوم للحقيقة أو للإنسانيات التي تشكّل ميثاق وعقيدة كلّ جامعة.

إنّ مبدأ المقاومة اللامشروطة، هو في نفس الوقت حقّ على الجامعة ذاتها، أن تفكّر فيه وتبتكره وتطرحه، بغض النظر عما إذا أكانت تمارسه أولا عبر كليات الحقوق أو لدى إنسانيات جديدة قادرة على الاشتغال على هذه المسائل المتصلة بالحقّ - أي ، حتى لا نقول ذلك دون موارية ، إنسانيات قادرة على الاضطلاع بمهامّ التفكيك، بدءا بتفكيك تاريخها الخاص وأولياتها الخاصّة. أجمع مؤقتا بين الإثبات والمردودية. ولا تردّ «نعم» الإثبات إلى موضوعية موقف. لكنها تشبه بالفعل كثيرا، فعل لغة إنجازية . فهي لا تصف شيئا ولا تلاحظ شيئا ، إنما تلزم بفعل الإجابة. ...إنّ المردودية تجد نفسها أيضا، مثل سلطة اللغة بوجه عام، إلى جانب هذه السيادة التي أريد، بالرغم من صعوبة ذلك كما يبدو، تمييزها بضرب من اللامشروطية بوجه عام، عن لامشروطية دون سلطة. يستتبع هذه الأطروحة : يمكن للمقاومة ، بوصفها لامشروطة، أن تجعل الجامعة في مواجهة لعددٍ كبير من السلطات : سلطات الدولة (وبالتالي السلطات السياسيّة للدولة - الأمّة وبتوهّمها السيادة غير القابلة للقسمة : وهو ما تكون به الجامعة متقدّمة لا تقدّما كوسموبوليتيكيا ، بل أيضا كونيّا، ممتدّة إذن إلى ما وراء المواطنة العالمية والدولة- الأمة بوجه عام)، و لسلطات اقتصادية (تمركز الرأسمال الوطني والدولي)، وللسلطات الاتصالية والإيديولوجية والدينية والثقافية ، الخ . وباختصار لكل السلطات التي تحدّ من الديمقراطية القادمة.

يجب على الجامعة إذن أن تكون أيضا الفضاء الذي لا شيء فيه بمنأى عن التساؤل ، ولا حتى الشكل الحالي والمحدّد للديمقراطية ؛ ولا حتى الفكرة التقليدية عن النقد، بوصفه نقدا نظريا ، ولا حتى نفوذ شكل « السؤال» ، والفكر بوصفه «تساؤلا». لأجل ذلك تحدّثت دون تأخير عن التفكيك. هذا إذن ما نستطيعه ، حتى نطلبها ، نطلب الجامعة دون شروط: الحقّ المبدئي في قول كلّ شيء، أكان ذلك تحت عنوان التخيّل واختبار المعرفة ، والحقّ في قوله عموميا، ونشره.

تظلّ هذه الإحالة إلى الفضاء العام الرابط لولادة إنسانية جديدة في عصر الأنوار. يميّز هذا المؤسسة الجامعية عن مؤسسات منشأة على الحقّ أو على واجب قول كلّ شيء. الاعتراف الدينيّ على سبيل المثال. وحتى « التداعي الحر» في علم النفس التحليليّ. لكنه أيضا ما يصل بعمق الجامعة وبامتياز الإنسانيات، بما نسمّيه الأدب ، في المعنى الأوروبي والحديث للكلمة، بوصفه الحقّ في قول كلّ شيء عموميا، أي الحفاظ على سرّ، قد يكون من نمط التخيّل.

إنّ هذه الإشارة إلى الاعتراف، والقريبة جدا من الإقرار بالاعتقاد، يمكن أن تصل بين قولي في تحليل ما يحدث اليوم، على الركح العالمي والذي يشبه سيرورة كونية للاعتراف، للإقرار والتوبة والاستغفار وطلب الصفح. يمكن أن نذكر في هذا الباب ألف مثال يوما بعد يوم. ولكن، سواء تعلّق الأمر بجرائم قديمة جدا أو بجرائم الأمس وبالعبودية، وبالهولوكوست، وبالتمييز العنصري، بل بعنف محاكم التفتيش (التي يجب في نظر البابا أن تكون موضوع فحص للضمير)، نتوب دائما، صراحة أو ضمنيا بالرجوع إلى هذا المفهوم الحقوقيّ الحديث « جريمة ضد الإنسانية ».

بما أننا نتهيأ للمفصلة بين المهنة والاعتراف بالإيمان والاعتراف في مجموع واحد، فلنذكّر في الأثناء وبين قوسين ، إذ يتطلّب ذلك تطوّرات طويلة يمكن للاعتراف بالذنوب أن ينتظم في القرن 14 في علاقة بالتشكيلات الاجتماعية والمهنية. تنصّ خلاصة استوسانا Summa Astesana 1317على أننا نستجوب في الاعتراف التائب بالرجوع إلى موقعه الاجتماعي المهني» : نستجوب الأمراء عن العدالة، والفرسان عن النهب والتجار والموظفين والصناع والعملة عن شهادة الزور والتدليس والكذب والسرقة الخ ...، والبورجوازيين وبوجه عام أهل الحضر عن الربا والرهن العقاري وأهل الريف عن الطمع والسرقة وخاصة عن لزمة العشر، الخ». لابد من زيادة التأكيد : إذا كانت هذه اللامشروطية تمثّل، من حيث المبدأ والقانون، القوة المنيعة للجامعة، فهي في الواقع لم تكن أبدا فعليّة. وبموجب هذه المناعة المجرّدة والمفرطة ، وبموجب استحالتها بالذات، تكشف هذه اللامشروطية عن ضعف وهشاشة. إنها تظهر عجز الجامعة ، وهشاشة دفاعها ضدّ كلّ السلطات التي تتحكّم فيها، وتحاصرها وتسعى إلى تملّكها. ولأنها غريبة عن السلطة ولأنها غير متجانسة مع مبدأ السلطة، فإنّ الجامعة هي أيضا دون سلطة خاصة. لأجل ذلك نتحدّث هنا عن الجامعة دون شروط. أقول بوضوح « الجامعة»، إذ أني أميّز هنا، بالمعنى الدقيق، الجامعة عن كلّ المؤسّسات البحث التي هي في خدمة غايات ومصالح اقتصادية من كلّ نوع، دون أن يتمّ الاعتراف بالاستقلالية المبدئية للجامعة. وأقول «دون شروط» وبقدر ما هي «لامشروطة» حتى نسمح بفهم معنى « دون سلطة» أو « دون دفاع»: لأن الجامعة مستقلة تماما ، فهي حصن قائم. فهي معروضة ، ومهيأة أن تأخذ، ومحكوم عليها غالبا بالاستسلام دون شروط. أينما استسلمت فهي مستعدّة للاستسلام. لأنها لا تقبل أن تفرض عليها شروط، وهي أحيانا مكرهة ،باهتة، مجرّدة ، على الاستسلام دون شروط. نعم تستسلم ، وتُباع أحيانا وتتعرض ببساطة لخطر أن تكون مُحتلّة وان تُأخذ وتُشترى وهي مهيأة لتصير فرعا للتكتلات والشركات الدولية . إنها اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية وفي العالم بأسره، رهانا سياسيّا أساسيّا: إلى أيّ حدّ يجب على نظام البحث والتعليم أن يُسند أي أن يكون مراقبا مباشرة و بصورة غير مباشرة، لنَقُلْ بواسطة تلطيف « راع»« sponsorisée », بغرض مصالح تجارية وصناعية؟

نحن نعرف أنه وفق هذا المنطق تكون الإنسانيات ، غالبا ، رهائن أقسام العلوم الصحيحة أو التطبيقيّة التي تمركز الاستثمارات المفترضة أنها ذات دخل لرساميل غريبة عن العالم الأكاديمي. ثمة مسألة تطرح نفسها إذن، مسألة ليست

فحسب اقتصادية وحقوقيّة وإيتيقية وسياسيّة : هل يمكن للجامعة (وبالتالي كيف لها)أن تؤكّد استقلالية لا مشروطة ، وتطالب بضرب من السيادة ، ونوع جدّ أصيل ، ونوع استثنائيّ من السيادة ، دون المجازفة بالوقوع في خطر كبير، بل من الواجب ، بحكم التجريد الممكن لهذه السيادة المستقلّة ، أن تسلّم نفسها وأن تستسلم دون شرط ، وأن تكون لقمة سائغة أن تشترى بأيّ ثمن؟

«إنّ الاعتراف بالإيمان، والالتزام والوعد والمسؤولية المضطلع بها، أمور لا تدعو إلى خطابات في المعرفة بل إلى خطابات إنجازيه تصنع الحدث الذي تتحدّث عنه. يجب إذن أن نتساءل عما تعنيه عبارة « أن نمتهن» أو نمارس مهنة . ما نصنع ، أدائيا ، حينما نمتهن؟ لكن حينما نمارس مهنة وبالخصوص مهنة الأستاذ؟»

(جاك داريدا)

«يجب على الجامعة إذن أن تكون أيضا الفضاء الذي لا شيء فيه بمنأى عن التساؤل ، ولا حتى الشكل الحالي والمحدّد للديمقراطية ؛ ولا حتى الفكرة التقليدية عن النقد، بوصفه نقدا نظريا ، ولا حتى نفوذ شكل « السؤال» ، والفكر بوصفه «تساؤلا».

(داريدا)

يجب أن يوجد إذن، لا فقط مبدأ المقاومة ، بل قوّة للمقاومة - والمعارضة. إنّ تفكيك مفهوم السيادة اللامشروطة هو دون شكّ ضروريّ وبصدد التحقّق، إذ هذا هو إرث لاهوت بالكاد معلمن sécularisée. في الحالة الأكثر بروزا للسيادة المزعومة للدول - الأمم لكن أيضا في موضع آخر (إذ توجد لديها في كل مكان، وهي ضرورية في مفاهيم الذات والمواطن والحريّة والمسؤولية والشعب، الخ.) فإنّ قيمة السيادة هي اليوم في أوج التحلّل. لكن علينا أن نسهر على أن لا يعرض هذا التفكيك الضروري مطلب الجامعة في الاستقلالية كثيرا إلى الخطر، أي إلى شكل جد خصوصي من السيادة التي سأحاول تدقيقها فيما بعد. سيكون هذا هو رهان القرارات والاستراتيجيات السياسيّة. ويظلّ هذا الرهان في أفق الفرضيات أو الاعترافات بالإيمان التي سأخضعها لنظركم. كيف نفكّك التاريخ (وأولا التاريخ الأكاديمي) لمبدأ السيادة غير القابل للقسمة، مع المطالبة في الآن نفسه بالحقّ في قول كلّ شيء- أو عدم قول كل شيء»- و طرح كلّ الأسئلة في شأن الإنسان، والسيادة والحقّ في قول كلّ شيء بذاته، وبالتالي في الأدب والديمقراطية، والعولمة السائرة ، ووجوهها التقنية الاقتصادية والطائفية، الخ؟

لا أزعم بأنّ هذه القوة للمقاومة، وهذه الحريّة في قول كلّ شيء في الفضاء العموميّ ، لها، في الاضطراب الذي يهدّد اليوم الجامعة، وفي بعض الاختصاصات أكثر من غيرها منزلتها المتفرّدة أو المميزة ، موقعها المتفرّد أو المميّز فيما نسمّيه الإنسانيات - مفهوم من المناسب تدقيقه، وتفكيكه وتقويم تعريفه ، من وراء

(اعتقال " رئيسة قسم الفلسفة بجامعة كولومبيا بمناسبة الاحتجاج على " الإبادة الجماعية في غزة".)

تقليد يجب أن نعتز به أيضا. غير أن هذا المبدأ للا مشروطية تقدّم نفسها، في الأصل وبامتياز، في الإنسانيات. فله (مبدأ اللامشروطية) موقع العرض ، والتمظهر والحفاظ الأصلي والمتميز في الإنسانيات. له فضاءه للمناقشة أيضا وللإعادة الصياغة. يحدث هذا عبر الأدب كما يحدث عبر اللغات (أي العلوم التي يقال عنها علوم الإنسان والثقافة) بمثل ما يحدث عبر الفنون اللا خطابية ، والحقوق والفلسفة ، عبر النقد ، بالتساؤل و، من وراء الفلسفة النقدية والتساؤل ، بواسطة التفكيك - حيث لا يتعلق الأمر بشيء غير إعادة التفكير re-penser في مفهوم الإنسان، في صورة الإنسانية بوجه عام ، وبشكل مخصوص في تلك التي يفترضه ما نسمّيه ، في الجامعة منذ قرون ، الإنسانيات. يكون للتفكيك (ولست منزعجا بالمرة في قوله بل والمطالبة به)، من وجهة النظر هذه على الأقلّ، موقعه المميّز في الجامعة وفي الإنسانيات كموقع للمقاومة لا يتحوّل، لا بل على وجه المماثلة ، كضرب من مبدأ العصيان المدني، والمعارضة باسم قانون أسمى وعدالة للفكر. لنسمّي هنا فكرا، ما يتحكّم أحيانا، وفق قانون أسمى من القوانين، عدالة هذه المقاومة أو هذه المعارضة. وهو أيضا ما يفعّل أو يلهم التفكيك بوصفه عدالة . يجب علينا أن نفتح لهذا القانون، وهذا الحقّ المؤسس على عدالة تتجاوزه، فضاء بلا حدود، وأن نسمح لأنفسنا إذن بتفكيك كلّ الصور غير المحدّدة التي أمكن لهذه اللامشروطية السيادية أن تتخذها في التاريخ. لأجل ذلك، لابد لنا من توسيع وإعادة بناء مفهوم الإنسانيات. لا يتعلّق الأمر في ذهني بالمرّة بمفهوم محافظ وإنسانيّ فحسب اللذان نلحق بهما غالبا الإنسانيات وقانونها القديم - الذي أعتقد مع ذلك أنه يجب حمايتها بأيّ ثمن. يجب على هذا مفهوم الإنسانيات الجديد، وبالتزامه الوفاء لتقليده، أن يتضمن الحقّ، ونظريات الترجمة، بما أنّنا نسمّي، في الثقافة الأنجلوسكسونية التي هي أحدى تكويناته الأصلية، النظرية « theory » (تمفصل أصلي للنظرية الأدبية والفلسفة والألسنية، والأنتروبولوجيا وعلم النفس التحليليّ، الخ)، لكن أيضا، بالطبع، في كلّ هذه المواقع، الممارسات التفكيكيّة. يجب علينا أن نميّز بعناية هنا بين من جهة مبدأ الحريّة، والاستقلالية والمقاومة والتمرّد والمعارضة، مبدأ متمادّ على كلّ حقل المعرفة الأكاديمية، ومن جهة أخرى، مكانه المميّز للعرض، وإعادة البناء والنقاش الموضوعاتي، الذي في نظري سيكون أكثر خصوصية بالنسبة إلى الإنسانيات، لكن إنسانيات متبدّلة. لماذا الربط بين كلّ هذا بإصرار لا فحسب على مسألة الأدب، على هذه المؤسسة الديمقراطية التي نسمّيها الأدب، أو الخيال الأدبي ، وبضرب من الشبيه و بضرب من « كما لو» « comme si » ، بل أيضا على مسألة المهنة ومستقبلها؟

أودّ ، عبر تاريخ للعمل، الذي ليس ببساطة المهنة ، ثم بالحرفة التي ليست دوما المهنة ، ثم بالمهنة التي ليست دوما مهنة الأستاذ، أن أصل هذه الإشكالية للجامعة دون شروط برَهْنٍ بالتزام بوعدٍ وبفعل الإيمان، وتصريح بالإيمان واعتراف بالإيمان. يُراكب هذا الاعتراف بالإيمان في الجامعة ، وبطريقة أصيلة بين الإيمان والمعرفة، وبامتياز في هذا الحيّز من التمثّل للذات لمبدأ اللامشروطية التي سنسمّيها الإنسانيات.

إنّ الجمع بطريقة ما بين الاعتقاد والمعرفة ، والاعتقاد في المعرفة، هو الربط بين حركات فيما بينها ، حركات نقول عنها أدائية وحركات إثبات ، وصفية أو نظرية . إنّ الإقرار بالإيمان، والالتزام والوعد والمسؤولية المضطلع بها، أمور لا تدعو إلى خطابات في المعرفة بل إلى خطابات إنجازيه تصنع الحدث الذي تتحدّث عنه. يجب إذن أن نتساءل عما تعنيه « أن نمتهن» أو نمارس مهنة . ما نصنع حينما ، أدائيا ، نمتهن؟ لكن حينما نمارس مهنة وبالخصوص مهنة الأستاذ؟ «.

---

* جزء من محاضرة لداريدا القيت في جامعة ستانفورد في كاليفورنيا 1988 .

* Jacques Derrida

«L'Université sans condition» : conférence fut d'abord prononcée en anglais à l'université de Stanford, en Californie, en avril 1998, dans la série des Presidential Lectures Galilée edition

هامش: -1 جاك لوغولف « عصر وسيط آخر « غاليمار 1999 ص 172

محمّد رويس روائيا:

من القلب المحب إلى النفس الكئيبة

صالح مصباح

سنة 2022 أصدر الروائي محمد رويس عن دار مسكلياني رواية» مشاعر». والمهجةُ الإبداعية في هذه الرواية هي الحب وأشجانه. وأصدر سنة 2023 عن الدار نفسها رواية»رحلة البحث عن جبران». هي رواية لم يغادر فيها الكاتب دواخل الإنسان، لكنها دارت منها على النفس تطحنها الكآبة والانفصام فتتنازعَ فيها الأصوات تنازعا يصير به صاحبُها باحثا عن نفسه التي هي هو أو هو هي فلا يفوز بها ولا تفوز به. وفي الحالين يبحث «جبران» عن «جبران».

1/خبر جبران

حيز الزمن الذي تخيّره محمد رويس لخبر جبران ممتدّ من مفتتح ثمانينات القرن الماضي إلى بضع سنوات عاقبات سنة2011. والمكانُ قرية ريفية من ولاية صفاقس وأخرى من محيط مدينة توزر.

وجبران هذا شاب في العقد الثالث. انقطع عن الدرس مبكرا وتمسك بالأرض مزارعا في القليل منها الذي تملك أسرتُه. هو شغوف بالأرض مُتوَلٍّ أمرَها باسم العائلة. فهو أكبر إخوته. هو محمُود الذّكر في قريته، حريص»على فعل الخير ومَدّ يَدِ العون للآخرين»(ص 18). عَيشه في قريته رتيب رتابةً ألِفها وألِفَته إلى حين. هو بين فَلْح الأرض والانزواء وحيدا أو رفقة شقيق روحه ابن عمه «حامد». ومركز هذه الرفقة أو تلك الوحدة تلّةٌ في القرية تتيسر منها الإطلالةُ على دبيب الحياة المتعاودة في القرية. لكن الأغلب على جبران العزلةُ وندرةُ الكلام والاختلاء إلى» النفس(...) كلما اختنقت فيه المشاعرُ».(ص18).

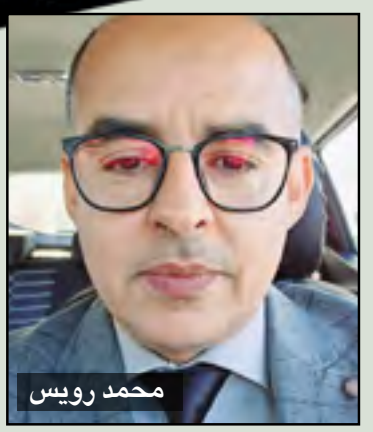
محمد رويس

ألمّت بِجبرانَ حُمّى شديدةٌ أنطقَته هذيانا متعثرا لكنه أبان عمّا وَقَر في نفسه وجيعا خبيئا. تلقّت فحواه الأسرة المحيطة به، وهو أنْ» أريد زوجة، لا شيء غير ذلك،فقط امرأة ككل نساء الكون تمنحني الطمأنينة(...) وتنجب لي أبناء كثيرين» (ص 22). انغرس في والديه حزنٌ ثقيل.فَداءُ ابنهما بيّن،و العجز عن الدّواء قاهر.لكنهما تحاملا على قلة ذات اليد، وعلى موسم فلاحي خصيب، فأنفقا حصيلته في تزويج جبران.

بعد أشهر من الهدنة لم تبلغ دورةَ السنة الواحدة عاود جبرانَ الهذيانُ. هو هذه المرة صوت فيه مسيطر طاغ يُنطقه، بصوت مسموع، بوجوب أن يطلّق الزوجة التي لم تَبدُ عليها بوادرُ حمل. تلقت الزوجةُ منطوقَه، وكان الطلاق.

وأوغل الصوت في دفع جبران إلى الشرور، حتى أن الصوت الدافئ الداعيَ فيه إلى الخير سرعان ما كان ينهزم. استعاد جبران الرغبة في الزواج عسى أن يخرس ذلك الصوتَ فيه. تغلب والداه على الحرج إزاء أسرة طليقته في وسط ريفي منكشف، وعلى الخشية من حرج ثان محتمل وزوّجاه مجددا. لم تطل الهدنة. تيقظ فيه مرة أخرى ذلك الصوت اللعين فأنطقه بالطعن على الزوجة غير الخصيبة وعلى والدتها البخيلة وبوجوب الطلاق فكان.

أثقل الصوت على جبران إثقالا. كره نفسه في أسرته التي كسر خاطرَها وفي قريته الذي سلّمت بجنونه، فقرّر الرحيل أملا في أن يرتاح من نظرات أهل القرية وفي أن يريح أسرته من يوميّ أوجاعها وفي أن يجد ملاذا لنفسه من نفسه.

هام على وجهه في اتجاه الجنوب. أعياه المسير. زيّن له ذلك الصوتُ سرقةَ سيارة ففعل. نَفَذ وقودها ولا مال له. وسوس له بملء خزانها والفرار ففعل. لَمح في الطريق دورية أمنية. أمره الصوت بترك السيارة والتوغل راجلا في الفيافي.

في إحدى واحات الجريد القصِيّة عَثَرَ على جبران مغشيا عليه شيخُ زاوية هناك. هو الشيخ عبد الجبار الذي يرتاد زاويته مكلومو الأرواح وعليلو الأجساد. حمَله إلى سكنه حملا ضن الكاتب بطريقته فيه. داوم علاجَه بالترتيل وببعض الخلطات العشبية. تعافى جبران وهَمّ بالمغادرة. ذكّره الشيخ بأنه مطارد وأن عليه أن يمكث عنده في انتظار ما قد يفصح عنه القدر.

أطال جبران المقام عند الشيخ عبد الجبار. صار له مساعدا ملازما. تشرّب منه مهارة العلاج وتزوج ابنته الوحيدة.أسعد جبرانَ إنجابُها أبناء له أربعة. توفّي الشيخ فلبس جبران جبّته وحل محله في الزاوية طبيبا مداويا .

سكنت نفس جبران وعاش سنوات هنيا. لكن تطلعه إلى أخبار والديه وقريته لم ينطمس. جاءه ابنُ عمه حامد الذي أصابه داء السرطان، راجيا العلاج من شهرة الشيخ عبد الجبار، فكان لقاء الصدفة بين ابني العمومة. اطمأن جبران على والديه وأسرته. لكن ذلك شحذ الحنين لديه.

إثر اندلاع أحداث 2011، علم جبران خبر العفو العام. أسعده الخبر واشتدّ إلى ذويه زائرا. ثم ترك الزاوية وراءه ليستقر وأسرته في قريته. ألبسه أهل القرية جبة إمام المسجد بعد أن تخلى عن جبة الشيخ المعالج. بعد فترة من هدوء النفس كره هذه الجبة واستعاد صفة المزارع فيه ومراسها.

لكن ذلك الصوت اللعين عاود الاعتمال فيه. ساءت حاله.لم تنفعه حصصُ الطب النفسي. أوقعه ذلك الصوت القاسمُ لروحه ونفسه في كآبة متصلة لا تطاق، فوضع حدا لحياته انتحارا.

1/إنشاء البحث عن جبران

الإنشاء اللغوي في»رحلة البحث عن جبران» سليم مستصفى. أدبيته صقيلة النّسج معتدلته. ليس الإنجاز من عريان الكلام وليس تكفا أو تطلعا قسريا إلى ما فوق النظام الجمالي الملائم لروح الرواية. والإنشاء يجري على خط جمالي واحد لا انحناء فيه نزولا أو صعودا، سواء كان السياق سردا أو حوارا أو وقفا بالوصف. ويبدو هذا الخط الجمالي المتواصل سمةً لدى محمد رويس قارّةً. فهو في هذه الرواية صِنو، من الزاوية، لِما في رواية «مشاعر».

في رحلة البحث عن جبران، كما في»مشاعر»، غلّب رويس صفته كاتبا ومنع أن تنفصل عنه وظيفةُ الراوي الجماليةُ. وكلما همّ الراوي بالانعتاق بوظيفته طمسَه الكاتب بصيغ شتى وفوّت عليه القيام بحركة تحرر جمالي. ويجري ذلك بأنماط ثلاثة ينزوي فيها الراوي في ظل الكلام.

أما النمط الأول فهو إسقاط الأحكام يُنطِق بها الكاتبُ الشخصيةَ بلسان قلمه الأدبي إنطاقا لا يلائم ابعادها. من ذلك الأحاديث الذاتية التي تعتمل في خاطر جبران من قبيل: «بالرغم مما كانت تمثله تلك الزاوية، ببخورها وشموعها وطقوسها، من فضاء ترتاح فيه النفوس المتعبة(...)، فإنها ليست في الحقيقة غير لحظة وهم تسكن آلامهم «(ص 153).

قراءة في كتاب

وأما النمط الثاني فهو أن يتدخل الكاتب مقررا. يقول، جاعلا جبران ناطقا لا على مقاس شخصيته وإنما على مقاس ناشئ رحلتها «محمد رويس»: «ليست كل الزوايا أمكنة لخداع الناس (...). في بعض تلك الأماكن راحة». (ص151).

وأما النمط الثالث فهو أن يتدخل الكاتب مُنظرا في خطاب باسم المتكلمين، على نهج أحلام مستغانمي، من قبيل:» فكثير من الأصوات التي في صدورنا ليست غير أصوات ضمائرنا، إنها ذواتنا». (ص187).

إن هذه الأنماط الثلاثة متواترة. هي أحوال من شخصيات ليست لها هوية خطابية ملائمة لخصالها. فقد أنطقها الكاتب بأسلوب تتّسق جماليتُه دوما،و دوما يتساوى سجلُّه المعجمي سواء كان الناطق فلاحا أو طبيبا نفسيا. وقد منع ذلك أن تستويَ كل شخصية حيّةً تسعى بتمايزها من غيرها. فهذا التمايز من أسباب «الإيهام بالوقوع» الذي استقرّ سعيُ السرديات إليه.

لكن هذا الرصد ليس نقيصة بقدر ما هو خيار جمالي. فقد يحق للكاتب ألا يُحَكّم التواطؤَ بينه وبين المتقبل على الإيهام بالوقوع. إذ يحق له أن يعتد بإنشائه اعتدادا يُذكّر به المتقبلَ باستمرار أنه يُنشىء له قَصّا من وحي خياله ومن صنع بيانه. ذلك أن الرواية اليوم صارت تتمرد على «السنن المحافظة». صار يتخلل نسيجَها التقريرُ الصحفي والتأملُ الفلسفي والإنتاجُ المعرفي.

وإن إنشاء الخطاب الذي يصوغ خبرَ هذه الرواية جاء خطيَّ الزمن.فترتيب الأحداث المفترض في الخبر هو ترتيبها في إنشاء الخطاب. وإذا كان هذا الخيار في رواية مشاعر قابلا لخلافه، فإنه في هذه الرواية متّصل بمهجتها الجمالية اتصالا مُتقنا. فأزمة جبران هي اكتئاب وانفصام. وهذا الضرب من الاعتلال النفسي هو أحوال تتعاقب صعودا ونزولا. وخيط نظمها هو هذا التعاقب الخطي ذاته. لقد أجاد رويس صوغه . فهو حبل مُتصلٌ تردّدًا بين اختلال توازن واستعادة له وصولا إلى توازن جديد بالانتحار ينقطع به حبل الخطاب المباح. وكلما هَمّ

التوازن بقطع أسباب القص انقدح اختلال جديد يستعيد به القص أسبابَ تجدّده. وصقل الكاتب جودةَ هذه المراوحة «بلواحق» من القص مختصرة على ألسنة هذه الشخصية أو تلك.

وأطرف من اللواحق السّوابقُ. إنّ بعضها قي خدمة النص ومنطقه الداخليّ وبعضها الآخر في خدمة المعرفة. من السوابق الأوائل الإعدادُ المتدرج بومضات مختصرات لزواج جبران ابنةَ الشيخ عبد الجبار.و مِثل ذلك بذورُ الكآبة التي في مزاج جبران قبل أن تتيقظ والتي جعلت مُصابَه مآلا غيرَ مُدرج في الرواية إقحاما. ومن السوابق الثواني إعلانُ عمران لوالده جبران أن صوتا فيه أيقظ حبّه للفتاة التي تزوج، مِمّا أقدح في خواطر جبران خشيته أن يُصيب ابنَه ما أصابه، وهو الحامل للكثير من خصاله. وأثناء جلسات العلاج النفسي سأل الطبيبُ جبرانَ أنْ هَلْ في شجرة العائلة مَن أصابه ما أصاب جبرانَ الذي أجاب أنْ: «نعم، حدثني أبي فيما أذكر أنّ جدي علوان قد أصيب منذ عقود خلت بحالة مماثلة». (ص204).فالدلالة ها هنا إبداء لمعرفةٍ آيتُها أنّ العِلةَ بدنيةٌ أو جينية طالما أنها وراثية.

وقد أحسن محمد رويس التدلال على ذلك بالإيحاء التي استحسنّاه. فهي بديل التقرير التّصريحي الذي هو سمة أجناس الكتابة غير الجمالية. وزاوية الإيحاء هي الأسماء الأعلام. فهي مفاتيح دلالية ثرية على رأي»بارط». فاسمُ الجد «علوان» واسم الابن»جبران» واسم الحفيد «عمران». فالتسلسل العلامي بالمشترك الوزنيّ طريف الدلالة على التسلسل المرضي الوراثي. ثم إن اسم «جبران» ليس اسمَ علم شائعا في المرجعية التي منها صاغ الكاتبُ الرواية.فهو اسم غريبٌ عن العُرف فيها غربةَ المسمى به، شريدٌ شرودَه.

ومن الإحكام في الإنشاء أنّ جبران، وهو محور الأحداث، مجهول الملامح الجسدية. فما مِن وصف له إلا سمرته التي من امتهان الفلاحة وشرود بصره الذي من اكتئابه. ووجه الإحكام هو في أنّ محرّك الأحداث كامنٌ في أعشار النفس، خافٍ عن أعيان الموصوفات. ذلك أن النفس هي مجال الاعتمال وبؤرة الوصف. وما الجسد إلا الصدى.و يتأكد هذا الوعي الجمالي بالخُلف الذي هو التشابيه الجسدية التي بها وصف الكاتبُ زوجات جبران.

وبالتّعاقب بين اختلال التوازن واستتبابه، أو بين التأزم والانفراج، تلبّسَت أَماراتٌ سيميولوجية لطيفة فطنة. وهذه الأمارات المتداخلة ثلاث؛ الجُبة واللحية والعمل. فقد توازن جبران مؤقتا لَمّا ارتدى جبة الشيخ في الزاوية وأطلق اللحية وعمل مداويا. وتوازن مؤقتا لما ارتدى جبة المسجد وأطلق اللحية وتولّى الإمامة. وكلما نزع عنه هذا الثالوث العَلَامي أطبقَ عليه الاكتئابُ والانفصام. ومن دلالات ذلك أنّ خلاصه المؤقت هو في ألا يكون هو هو، وفي أن يرتديَ لبوس شخصية ليست شخصيته الجوهرية . وكلما كفّ عن التواري عن نفسه واستعاد جوهر شخصيته ساءت حاله. فلما قرر في سياقين مختلفين أن ينزع عنه الجبتين، ويحلق اللحية، ويستعيد جوهر الفلاح فيه استعادة متصلة بقريته، اشتدت عندئذ كآبتُه وتكثّف انفصامُه إلى حد الانتحار. فإذا كان خلاصه المؤقت في تلك الأمارات التي هَرّبته عن ذاته ، فإنَ في انتحاره، بعد عاد إلى ذاته، خلاصَه منها ومن انفصامها.

ومن لطائف هذه الرواية الأخرى أن محمد رويس قد أدارها، اكتئابا يفضي إلى الانتحار، على شخصية فلاح ضعيف التحصيل الدراسي، خالي الخواطر من الأسئلة الكبرى التي تعذب المفكرين والمبدعين من ذوي الرهافة ورقة الإحساس وحدته. وفي التاريخ كما في الإبداع حالات انتحار من تلك الفئة التي فاق ذكاءُ أفرادها ونقاءُ خواطرهم السائد من البشر والأحوال والظواهر. فهل في انسحاب الاكتئاب، فالانتحار، على شخصية مشتقّةِ الخلق مِن «العامة» إيماءٌ إلى أن هذا المجتمع صار باعثا على جنون» العامة والخاصة»؟.

إن هذه الرواية قد تلت، كن حيث تاريخ الصدور، رواية «مشاعر».و قد لا يكون ترتيب الصدور هو ترتيب الإنشاء. لكن أدبية الروايتين تفصح جزما أنّ «رحلة البحث عن جبران» قد أنشأها كاتبها بعد مشاعر. وفي حال العكس يكون قد أخضعها للتعديل والتجريح إخضاعا متأنيا. فمن الرواية إلى الرواية تتجلى حلقة من النضج الجمالي أكيدة. فالظاهر أن محمد رويس كاتب عَمول مثابر على تجويد إنشائه، طموح إلى أن يرسخ قلمه في جدول الإبداع الروائي.

صورة تتحدّث

تراث جيولوجي

في مدينة تونس ،نسير يوميا على تراث جيولوجي نادر يعود إلى 23 مليون سنة !

حجارة سوداء مرصوفة عبارة عن كتل من "البازلت" صخرة نارية بركانية من صهارة سريعة التبريد مستخرجة من القمة البركانية"Guleb Saad moun" النتوء البركاني القاري الوحيد بتونس بوادي بلليف باجة

أسود مثل اللوح ، بشقوق من المفترض أن تحمينا من الانزلاق ، هذه الأحجار المرصوفة عبارة عن كتل من البازلت و هي صخور من صهارة سريعة التبريد مستخرجة من القمة البركانية الوحيدة في تونس بولاية باجة .

تعتبر هذه الصخور علميا ذات صلابة بثلاثة أضعاف مقارنة بالحديد التسليح ..

الآن ، في كل مرة تمشي فيها في أزقة وخلجان مدينة تونس ، لا تنس أبدًا أنك تسير على كنز جيولوجي يعود تاريخه إلى العصر الميوسيني - الحقبة الأولى من العصر الحديث (الثالث) والرابع من عصر حقب الحياة الحديثة - ، والتي تمتد من "23.03 ± 0.05" إلى "5.332 ± 0.005" مليون سنة مضت.

المصدر : عبد العزيز حالي

«الكسر» للروائية سعاد الفقي بوصرصار:

رواية تواجه العنف الجنسي، وتدعو الى كسر الصمت المجتمعي

* طبيعة الصدمات النفسية التي يتعرض لها الأطفال لها علاقة بسلوكياتهم المستقبلية
* الرواية توثيق لتاريخ تونس في النصف الأخير من القرن 20

د. رضا القلال (مؤرخ وكاتب صحفي)

تمكّنت الكاتبة سعاد الفقي بوصرصار من تحقيق تراكم كمي في خانة الرواية، فيكفي النظر في كتاباتها وفي إنجازاتها الروائية: "كانت وإخوتها"(2012)، رصد لحياة ساكنة القصر الرئاسي وعصابتها وما اقترفته بسبب الجهل والجشع من أعمال أدت -إلى جملة عوامل أخرى- إلى ظرفية انتفاضة حتى لا نقول ثورة 2011 ، وأحداثها. "ابني سلفي جهادي" (طبعة-1 2014/طبعة2 2020-) وهي من أكثر الروايات هيمنة وبروزا مع أحداث 2011، كما يدل عليها سيمياء العنوان. "حرام"(2016 مصر-2018 تونس) واجهت الكاتبة في هذه الرواية الفكر التكفيري المتطرّف. "يا زهرة في خيالي" (2019) المرأة العصرية المحكومة بمجتمع ذكوري، تحاول استعادة الذات الأنثوية وتعمل على تصحيح الغلط الذي كرّسته خبايا الذكورة. والرواية تستحضر في ذات الوقت المرأة التونسية والجزائرية والمغربية. "الرئيس المنتظر"(2020) رواية الأمل في زمن صاخب ومضطرب، هي بشكل أو بآخر قطعة من "سنوات الجمر" كان فيها الوطن بحاجة إلى قبضة من حديد تضرب بقوة وتوجع. فهل تنفع الديمقراطية مع التخلف والجهل؟

والسؤال الذي انشغلت به سعاد الفقي بوصرصر في مجمل نصوص رواياتها -في اطار فكري عميق- يتصل بفلك قضايا مجتمعية حارقة وشائكة في ذات الوقت، تتراوح بين الإرهاب، والحلال والحرام، والوهم الذكوري ومركزيّته، والجهاد، والتخلف الحضاري.... وتكشف المؤلفة في هذه الروايات العنف الجنسي والزيف والخرافة وتوظيف الدين في أصداء من ايقاعات السياسة وهزائم العقل والتقدم والحداثة المتتالية. وهي من القضايا الطارئة التي استأثرت بذائقة القراء في بدايات القرن العشرين.

سعاد الفقي بوصرصار

"مونالیزا" في أرتال من الألم

وفي روايتها الأخيرة دخلت سعاد الفقي بوصرصار في تيمة نوعيّة تختلف عما سبق من خلال الرواية التي جاءت تحت مسمّى "الكسر"، وهي وحدة إضافية في منجزها السردي، تخوض في موضوع جديد هو (زنا المحارم).

رواية "الكسر" تتناول قصة مسار البطلة (سندس)، محور العمل الروائي، الشخصية المنبثقة من رحم قرية ريفية بالوطن القبلي. (سندس)كانت شابة لطيفة ومتعلّمة ومشتهاة أيضا، ستدخل المساحة القلقة باستمرار، وستبحر في خضم منعطفات حياتية مبصومة بارتجاجات ونكبات وانتكاسات رهيبة. (سندس) ستتحول في الجغرافيا وفي الزمن من حضن قريتها إلى مبيت طالبات باردو بالعاصمة ثم إلى باريس. هذه الرواية وضعت لها المؤلفة التخطيط المعماري، وقلّبت شخصياتها، ونظرت إليها من زوايا مختلفة، وابتكرتها وأسالت عصارتها على الورق.

(سندس) فتحت خريطة طفولتها على أرتال من الألم، وحياة في مرارة الحنظل. طوّقها التاريخ بثلاث لحظات زمنية قاسية "زوج العمة " حاول اغتصابها وهي في سن التاسعة من العمر، عائلتها باعت ابنتها "الموناليزا" بأكياس لحم وخضر إلى جزار أمي من القرية، رغم رفضها وعنادها، وهي الحاصلة على الإجازة، ثم تنكرت لها ووصمتها بتهمة الفضيحة والعار.

(الفوزي) الزوج الأول، والعلامة الإسمية المعرّفة دالّة على الكبرياء والتباهي بالمال والنرجسية! كان هذا الزوج حادا مثل الخنجر، وعصيّا على الوصف كالمجنون لأنه متورط دائما بأفعال مشينة. مارس زواج الاغتصاب والطلاق من اليوم الثالث. انتهك جسد(سندس) وكرامتها بشكل بربري متخلّف فيه إيذاء وشلّ. "افترسها" وذهنه يعبث بالمقدس ويفسّره على هواه "نساؤكم حرث لكم..." وكأنه يريد أن يبرهن لنفسه أن المرأة مجرد "قمامة".

مجتمع ما زال خاضعا للماضي!

زوجها الثاني(حمدي) عاملها برياء وزيف. بدأ في الأخير كأنه رجل معقّد. اعتدى على ابنتها (لينا) في باريس باع العائلة وقيمها وشرفها، بمكر ساذج. كيف أصبح هذا الرجل اللطيف جبّارا؟ ولماذا تخلّى عن وداعته؟ لقد أبرزت الرواية مقاطع من فظاعاته تقطع الأنفاس!

كان على(سندس) أن تقاوم الواقع، وسيكولوجية الشماتة وثقافة الانتقام في كل مكان. وكشفت ليالي صيفها وشتائها عن أعطاب وتشوّهات تمسّ علاقتها بالواقع وعلاقتها بالمكان وعلاقتها بالآخر. ومن حسن حظها أن الشّقاء لم يتملّك نفسها إلى الأبد بفعل النشاط الاجتماعي وقدرة العودة إلى ابنتها(لينا). لقد أصبحت (سندس) في آخر الرواية رديفة للحنان والليونة والدفء، وامتلكت الشجاعة والجرأة، ولم تستمر كحقيبة مملوءة بالريح.

هل يعني ذلك أن الكاتبة تفك "كسر" عنوان الرواية في مختلف الاتجاهات؟ كان يمكن أن تكون (لينا) ابنة من الزواج الأول لتخفيف قسوة المجتمع وقهره، ام أن الكاتبة أرادت أن ترفع سقف الخلل الاجتماعي وفداحة قاعه، وكأن الكسر وصل إلى أبعد مداه !

رواية "الكسر" تخلع القناع عن المجتمع. وتطرح حزمة من الأسئلة قد لا تصل إلى من يمكن الإجابة عليها، ولكن المؤلفة تطرحها على كل حال ! منفصلة بذلك عن التيار العام، وحدوده الدينية الصارمة، والثابت العرفي المستبد والجاهل، لتمارس نقدها. فهي تشير إلى عالم لا يملك حداثة اجتماعية ولا عقلية علمية وتحيل إلى عالم ما زال خاضعا للماضي، رغم أن دائرة الزمن ثلاثية الأبعاد ماض وحاضر ومستقبل.

صرخة دهشة واشمئزاز

رفضت الروائية سعاد الفقي بوصرصار التقيّد ببروتوكول السيطرة على المسكوت عنه. لقد اقتفت تجارب حياتية تقع خارج "الكونترول" والتقطت صورها بفضل جهاز الإنذار الموجود في وعيها وثقافتها، وأعلنت الاستنفار. وهي لم تحوّل الواقع في صورة روائية فحسب، بل تبدو أنها تؤسس لعالم جديد ومغاير. فهي تحرص على إثارة الشفقة على (الفوزي) وعلى (حمدي). وهنا يتمكّن القارئ من الانتقال من مرحلة قرائية إلى أخرى أكثر عمقا من خلال مساءلة المجتمع والتنديد بالفاعلين وسلوكياتهم المنحرفة. كما ظلت حريصة على ممارسة الفضح وتفجير مشاهد الألم والغضب والاستنكار، من خلال القذف بالأحداث والتوصيف إلى التفاصيل السحيقة، وليس ممكنا إيقاف تدفّق كلماتها وأفكارها. بل أحيانا كانت تسطّر لغتها على صفيح ساخن تروم من ورائه تعرية كل آفات المجتمع وأزماته المستورة. وإزاء هذه الأحداث والأشخاص كانت للروائية مواقف تليق بالمثقفة الملتزمة بقضية المرأة وقضايا المجتمع في العدل والتقدم. من قال إن مجتمعنا يعاني فقط من سكتات القلب والدماغ، وسكتات القيم والاخلاقيات والعقل والصمت على اعتداء المحارم.... !!!

ما هذا السكوت الذي يكبل المجتمع والأسرة إزاء الاعتداء على المحارم خوفا من الفضيحة ووصمة العار؟

قراءة في كتاب

الا يجعلنا هذا الموقف مصطفين مع الجاني؟ هذا الفعل الكريه والساقط تأخذ سمة الظاهرة العالمية قديما وحديثا وليست حكرا على الطبقات الجاهلة او المقهورة او الفقيرة، والمهم كسر هذه السلسلة الزمنية بالكشف والفضح والادانة وسن القوانين الصارمة لحصر الجناة في المربع الضيق وكسر الحلقات المفتوحة.

ومن زاوية أخرى لقد تضمّن نص الرواية إشارات على غاية من القدر والقيمة: "أما كسرنا كؤوس الحب من زمن = فكيف نبكي على كأس كسرناه" وكأن الروائية تؤسس للحب كقيمة خالدة في علاقة (سندس وحاتم). ألم تحسم السّاردة في رواية "حرام" أن " الحب أفضل نعمة في الوجود" ! كما نجد سعيا منها للإحاطة بالظرف التاريخي بالإشارة إلى شخصيات وأحداث تاريخية تزامنت مع النصف الثاني من القرن العشرين، مثل مؤتمر قربة () والشرفي ()، فضلا عن بيروقراطية الإدارة، دخول التاكسيفون وبداية ظهور الآلات الناسخة، وغياب العلاج الكيميائي لمرض السرطان.... ولا يمكن للقارئ أن يفوته الانتباه الفصول/المشاهد 15 الموزعة في جسم النص الروائي، وكأنها مسمّيات مستلّة من قاموس الحكمة وصفاء الذهن: "الجهل موت الأحياء(افلاطون)،اجعل من كسورك بداية انطلاقة جديدة في مشوار حياتك(مثل ياباني)، عندما أتألم لا شيء أجيده سوى الكتمان(مارك مانسون فن اللامبالاة)، لا تشك للناس جرحا أنت صاحبه، لا يؤلم الجرح إلا من به ألم(كريم العراقي) ومقولات لشمس الديم التبريزي ونيتشه والامام الشافعي ..." ولا يفوت القارئ استخدام الكاتبة للعامية أحيانا مما يؤثر بشكل كبير في جمالية وانسياب السرد وتقريب الرواية من المتلقي، كما لا يفوته غضّ النظر عن اللغة البليغة والسليمة التي تنساب بين ثنايا النص ودروبه متدفقة وسلسة. فالكتاب منسوج بلغة أدبية رفيعة وأسلوب سردي شائق ورائق. وللروائية قدرة لافتة في التعبير عن الاهتزازات العاطفية وتدفقها الدلالي في لحظات شخصية (سندس) المتمردة والمنبوذة أو الساكنة أو المهمشة، فتحمل روايتها سمة السهولة الممتنعة.

كما نجحت الكاتبة في جماليات التشويق والاستحواذ على القارئ وجذبه إلى أعماق عالم الرواية الصاخب وتفاصيله. (الفوزي) و(حمدي) شخصيتان رسمتهما الكاتبة بشكل يكرههما القارئ ويحب ان يحتقرهما، وبالتالي تجعله متعاطفا معها على الأقل.

"كسر"...الصمت والخرافة والخوف ...

الكاتبة سعاد الفقي بوصرصار استطاعت أن تحقق استمرارية في الزمن وتراكما في التجربة وتنوعا في زوايا الطرق والرؤية واختيار المواضيع وجدلية السؤال وانتاجه وصناعته سواء في الحوارات او المحادثات المونولوجية، وبقيت تعمل على تطوير فنها ومهاراتها، ووفائها للرواية ولميكانيزمات التفكير الواعي. هناك قوة داخل صفحات روايتها "الكسر" وهناك شجاعة وقناعة. والرواية تتسم بالحركية وتبدو رحلة بحث عن الذات الانثوية مشحونة بكثير من القلق للاستقرار النفسي والاجتماعي. وهي لم تحبس البوح، وعملت على إزالة الطابوهات المجتمعية بكل أنواعها، وخرقت متاريس الإسكات الثقافية الذي فرضته شفرات العادات والتقاليد البالية والسياقات الأيديولوجية.

وهكذا كانت نهاية (الفوزي) بوجهها القاسي في حادث مرور، ورحيل (حمدي) بوجه أكثر قساوة في السجن. وعادت سندس "مواطنة" وأعادت ابنتها (لينا). فهل تعود إلى الاستقرار والسكون والالفة بعد التحولات المأساوية التي عاشتها؟ وتستمر بذلك رسالة الأم/المرأة المتعلمة/المواطنة مثلما أدتها مديرة مبيت الطالبات ورئيسة الجمعية الحقوقية، رسالة النضال والرحمة والعطاء والحق والجمال والحرية... ولا عجب فالحب أو لنقل المرأة عند الكاتبة وفي أكثر من رواية لها هي التي تنقذ من متاهات التطرف والضلال والسلوكيات الشاذة.

أنا أعلم أنها ستستمر بالكتابة ولا أحد يستطيع أن يجبر الكاتب ماذا سيفعل بمسودات كتاباته. ولكن ما أعلمه أنها تحتفظ بنصوص مقطوفة من شجرة عالم الرحلات في إفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية استمتعت بقراءة بعضها. ونشرها سيسبغ ملكة أخرى وفلكا إبداعيا آخر لسعاد الفقي بوصرصار في أدب نادر عندنا في تونس هو "أدب الرحلة، وهي التي تقضي وقتها الفائض بالقراءة والكتابة....والسفر.

وفي تقطير ما أقول سبق أن قدمت للأستاذة سعاد الفقي بوصرصار روايتها "ابني سلفي جهادي" بجمعية رابطة الأجيال. ولا شك أن نقل معركة الجهل التي تعصف بالقاع المجتمعي ووسطه وأعلاه من فضاء الرواية إلى الفضاء الثقافي أمر هام بوصفه فضاء تفاعليا بين المبدع وقارئه، من أجل زحزحة الكتل الزمنية المتكلّسة و دحرجتها من عقول الناس، وتعديل البنيات الثقافية وأنساقها. فالمعوّقات التربوية والدينية، التي تعيش ما بين تاريخ سحيق لا يمكن إعادته، وحاضر يتنكر للحداثة والتقدم بشكل مخيف، مازالت تخيم على المجتمع. والرواية فيها الكثير مما يستحق من النقاد للرصد والتأمل والبحث. لأن رواية "الكسر" قابلة لقراءات عديدة واحتمالات تأويلية كثيرة باختلاف زوايا النظر لها.

متابعات

المكتبة العمومية بالشابة
الفضاء النموذجي الأول والمختلف في تونس

فضاءٌ يليقُ بالكتاب ورواده

تحت إشراف وزارة الثقافة و المكتبة الجهوية بالمهدية وفي إطار مشروع بعث الفضاءات النموذجية، التي تكون سببا في عودة الكتاب إلى مكانهِ ومن خلاله تطوير الفضاءات التي تحتضن الكتاب، - الكتاب الغريب في واقعنا اليوم أمام الزحف الإلكتروني-، افتتاح يوم الثلاثاء فضاء المكتبة العمومية بالشابة من ولاية المهدية، فضاء أقل ما يمكن القولُ في حقهِ إنّهُ يليق بالكتاب وروده .فضاء نتمنى أن نراهُ في كل المكتبات العمومية في كل الجهات ...

دامت في هذه الأخيرة الأشغال 240 يوما منذ سبتمبر 2022، واشتمل التجديد على تهيئة بهو الاستقبال، تهيئة الوحدات الصحية ، وإحداث قاعة للملتيميديا، ومثلها للأرشيف و 2 مكاتب و تهيئة قاعة المطالعة للكهول والأطفال

فاخر بن سعيد

التحريف انزياحا قصصيا وموقفا نقديا في مجموعة «نسخة غير مطابقة للأصل» لإيمان السافي

شفيع بالزين

ارتبطت القصة القصيرة نشأة وتاريخا وإبداعا بالاتجاه الواقعي وساهم روّادها وأعلامها في ترسيخ النزعة الواقعية (محمود تيمور- يوسف إدريس- علي الدوعاجي...) إلى حد صارت قيمة الأقصوصة تقاس بمدى اقترابها من الواقع والقدرة على محاكاته وصدق تمثيله أو تعريته ونقده ومعالجة قضاياه، بغض النظر عن قيمتها الفنية وطاقتها الجمالية. غير أن ما يغفل عنه الكثيرون أن القصة القصيرة فن قبل كل شيء، والفن لا ينقل الواقع أو يحاكيه ويعكسه بل يحرفه من أجل لفت الانتباه إليه ونقده مثل فن الكاريكاتور بل يمكن أن يخالف قوانينه ويعبث بأعرافه ويبني عالما مضادا أو مفارقا له مثل الأقصوصة العجائبية والكابوسية...الخ. وإذا كان أغلب المنظرين مثل تييري أزوالد وإنريك أندرسون أمبرت وغرونوفسكي يشبهون القصة القصيرة بالقصيدة لاشتراكهما في الإيجاز والتكثيف والإيحاء وشعرية اللغة...الخ، فإنه من المهم أن نضيف إليها مقوما آخر مشتركا هو الانزياح أو الانحراف المتعمد، الذي يولد المفاجأة والدهشة ويدفع إلى إعادة النظر في الواقع أو رؤيته بطريقة جديدة ومختلفة كما يذهب إلى ذلك الشكلانيون الروس، غير أن الانزياح أو الانحراف إذا كان في الكتابة الشعرية ذا طبيعة لغوية بالأساس أي باعتباره انزياحا عن نظام اللغة العادية أو بنيتها المعيارية صوتيا وتركيبيا ودلاليا كما يذهب إلى ذلك جون كوهين في نظريته الشعرية وأغلب الشعريين والأسلوبيين، فإنه في الكتابة القصصية ذو طبيعة مرجعية أو سردية باعتبارها انزياحا أو انحرافا عن نظام الواقع ومواضعاته المألوفة. وقد انتبه هؤلاء المنظرون أنفسهم إلى خاصية الانزياح في الأقصوصة وأكدوا على أهميتها ودورها في شعرية القصة القصيرة، ولعل أبرز موضع يتحقق فيه الانزياح ويحقق شعرية القصة هو النهاية أو كما سميت بلحظة التنوير، وقد صنّف على أساسها تييري أوزوالد الأقصوصة صنفين: الانبجاسية وهي التي تنتهي نهاية عادية منتظرة والانفجارية وهي التي تنتهي نهاية مفاجئة غير متوقعة، وفضّل النهاية الانفجارية المفاجئة واعتبرها الأكثر استخداما من قبل الكتاب. ونحن نذهب إلى أن النهاية الانبجاسية نفسها لا تخلو من انزياح ومفاجأة لأن القارئ يتوقع أن يحدث شيء جديد أو غير منتظر أو تحوّل ما في الوضعية القصصية غير أنه يفاجأ بألا شيء قد تغير ويتعجب كيف انتهت القصة نهاية «عادية» مخيبة لأمله أو انتظاره. وعالم القصة وإن كان عالما ممكنا أو مستلهما من العالم الواقعي فإنه بالضرورة إنشاء تخييلي فيه من الانحرافات والانزياحات بمختلف آلياتها وتقنياتها السردية ما يجعله بالضرورة عالما مختلفا ومفارقا لعالمنا الواقعي حتى وإن بدا شبيها به وانعكاسا أو محاكاة له، فإنه لا يمكن أن يكون نقلا أو تسجيلا أو مطابقة وإلا انتفى الفن، وتحول إلى خبر أو تاريخ أو تقرير مع أن هذه الأنواع من السرود نفسها لا تخلو من تخييل وتحريف وتصرف في معطيات الواقع.

والكاتبة التونسية إيمان السافي يبدو أنها أدركت هذه الحقيقة، بل أدركتها فعلا كما يدل على ذلك العنوان ولوحة الغلاف وبعض العتبات وقرائن أخرى سيأتي بيانها، فبنت شعرية أغلب أقاصيصها في «نسخة غير مطابقة للأصل» على استراتيجية التحريف والتشويه والانزياح لا على نزعة المحاكاة والتمثيل والانعكاس، وحققت بذلك درجة عالية من الشعرية وبلغت بفنها القصصي جوهره ومنتهاه. وهذه الاستراتيجية

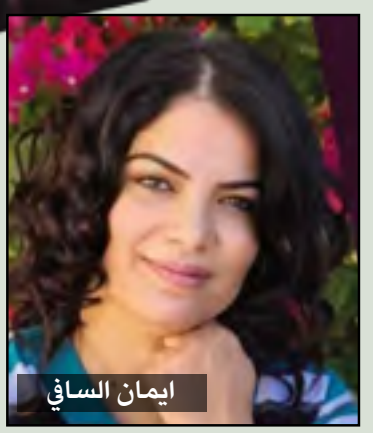
ايمان السافي

التحريفية أو الانزياحية تشمل كلا من العتبات والمتن القصصي.

1 - تجليات التحريف والانزياح في مستوى العتبات:

- عنوان المجموعة: لئن كان في الأصل عنوانَ أقصوصة من أقاصيص المجموعة وله دلالة مخصوصة في سياقها فإن اختياره عنوانا للمجموعة ككل يجعله يتحرر من دلالته المخصوصة الضيقة دون إلغائها ليكتسب دلالة أشمل وأكثر ترميزا وهو ما يؤكد وعي الكاتبة بإمكان تعميم دلالته على المجموعة كلها أو جلها لأن كل قصة منها تمثل مظهرا من مظاهر «تحريف الواقع» أو حالة من حالات الانزياح بالنسبة إلى معيار ما أو مرجع معين، وبالتالي فهي واعية بأن الجامع الأساسي بين نصوص المجموعة هو المفارقة بين «أصل» ما و«نسخة» غير مطابقة.

- صورة الغلاف: لوحة فنية للكاتبة نفسها وهي قاصة ورسامة شاركت بها في ملتقى حول الكتابة رسما والرسم كتابة، وهي إذ تراوح وتزاوج بين فنيْ الكتابة والرسم تمارس انحرافا جماليا عن طريق الرسم بالكلمات في الأقاصيص والكتابة بالرسم في اللوحات. وما بين اللّوحة التّشكيليّة واللّوحة الحروفيَّة ينهض ما يمكن أن يسمّى بالحاجز أو الفاصل أو الجدار... على محمل من نسيج «اللّحفة» التّقليديّ وُلِدَتْ «نسخة غير مطابقة للأصل» ليتزاوج داخلها الشَّكل المشخّص بانزياحاته وتشوّهاته وانحرافاته، مع تشكيل حروفيّ لتشكّل إطارا أحاط بالصّورة ووضعها داخل نصابها. ويجمع الخط بين التَّعديل والإمالة والتّحريف والتّزوير والتّشويه والانزياح. « نسخة غير مطابقة للأصل» لوحة تجمع بين البعد التّشكيلي والبعد التّعبيريّ والرمزّي، وتنفتح على التّراث من جهة وعلى خروقات الثقافات الأخرى من جهة ثانية، كاسرة ما بين هذا وذاك الحاجز القائم ما بين اللّوحة التَّشكيليّة واللّوحة الحروفيّة.

- الإهداء: خلافا للمألوف لم تُهْدَ المجموعة إلى أشخاص بل إلى أشياء وهو ما يعني مسخا للذوات وتحويلها إلى أشياء بمعنى التشيؤ بالمفهوم الماركسي الأمر الذي يعمق معنى الاغتراب أو يعني رفع الأشياء إلى مكانة الذوات لأنها هي الشاهدة والدالة على مكانة الأشخاص والغائبة الحاضرة أو الذاهبة الباقية بعد ذهاب الأشخاص. ويعمق الإهداء هذه المفارقات حين تجعل الكاتبة الأشياء لا تكتسب قيمتها إلا بعد غيابها وهذا ما يضفي عليها بعدا صوفيا يحيل إلى مفهوم العشق العذري أو الصوفي الذي يتحقق في الغياب لا في الحضور ولا يتم الحلول في المحبوب والفناء فيه إلا بعد تغييب الجسد وقتل الحواس. وهذه المعاني من أكبر مفارقات العشق وانحرافاته.

- التصدير: يقوم أيضا على جملة من الثنائيات والمفارقات: الخيال/الواقع، الحياة/القصص، التصديق/التكذيب، القاعدة/القمة... وتطرح الكاتبة من جديد سؤال العلاقة بين الواقع والخيال أو الحياة والأدب أهو تمثيل للواقع (نسخ ونقل) أم تخييل له (مسخ وتحريف)؟

- عناوين الأقاصيص: تشترك أغلب العناوين في الطابع «الانزياحي» وما يولده من مفارقة أو تنافر في التركيب أو الإسناد يفضي إلى مظاهر مختلفة من تحريف الواقع و«تشويه» الحقائق». أما المفارقة فتظهر مثلا في العناوين التالية: الصعود إلى القاع – الراقصة والرئيس- الخبز المر- ليلة القبض على الديدان. وهي إما تجمع بين عنصرين متضادين أو متنافرين: بين الفعل والمفعول فيه في «الصعود إلى القاع» بما يجعل الصعود انحدارا أو القاع قمة وبما يولد سخرية من الصعود أو تثمينا للقاع، وبين الفعل والمفعول به في «ليلة القبض على الديدان» بتهويل الفعل وتهوين المفعول، وبين المنعوت والنعت في «الخبز المر» و«نسخة غير مطابقة للأصل»، وبين المعطوف عليه والمعطوف في «الراقصة والرئيس». وحتى العناوين التي لا تقوم على بنية التنافر والتضاد لا تخلو من الطابع «التحريفي» أو «الانزياحي» بل إن الانزياح فيها أكثر تكثيفا وشعرية لأنه يتحقق بواسطة التركيب الاستعاري مثل «أطلقوا النار على الشمس» و«صورة عمشاء» و«يقضم الظل كتفاحة» و«عطر الذاكرة». هذا إضافة إلى التنافر المتولد عن الاستعمال الاستعاري بالجمع بين مجالين مختلفين في سياق واحد (إطلاق النار/الشمس- الصورة/العمشاء- يقضم/الظل- أضعت/ابتسامتي). بل إن العناوين الخالية من أي بناء تنافري أو استعاري لا تخلو من الدلالة على مظهر ما من مظاهر الانحراف والانزياح مثل «خمسينية مختلفة» الذي يلعب فيه النعت وظيفة انزياحية فينزع عن هذا العمر (الموسوم عادة بالتشابه) التماثل ويسمه بالاختلاف وربما الغرابة، و«خارج السيطرة» الذي يفرض أن ما سيروى أو يحدث في القصة يتجاوز حدود المعقول ويخرج عن المألوف.

2 - تجليات التحريف والانزياح في مستوى المتن القصصي

تشترك أقاصيص المجموعة في خاصيتين إحداهما شكلية تتمثل في تقنية التحريف أو الانزياح والأخرى مضمونية أو مرجعية تتمثل في ارتباط العالم القصصي فيها غالبا بفترة انتشار وباء كورونا وما طرأ على حياة الناس من تحول عميق وانعكاسات نفسية واجتماعية خطيرة. غير أن هذا المشترك لا

يعني تشابه النصوص وتكرارها، وإنما كانت الكاتبة تنوّع بل تتفنن في أساليب التحريف وتقنيات الانزياح من جهة، وتقلب النظر في مظاهر التّحوّل بسبب وباء كورونا وانعكاساتها المختلفة على حياتنا من جهة أخرى، مع تفاوت بين النصوص في درجات حضور الانحراف وتعدد مظاهره وتقنياته أو في قوة اتصال القصة بالوباء أو ضعفه. ونظرا إلى شمول الظاهرة لجل النصوص سنقتصر على نماذج منها نعتبرها ممثلة لمختلف مظاهر التحريف والانزياح بين العالم الواقعي والعالم القصصي.

في أقصوصة «الصعود إلى القاع» يتم التحريف عن طريق آلية التشخيص من خلال تحويل فنجان القهوة من موضوع العرافة والحظ ومعرفة الغيب إلى كائن عجائبي مشخص وناطق بنفسه لا من خلال العرافة وطرف في الحوار مع الساردة الشخصية لذلك تتساءل: «هل رأيت فنجانا يتكلم من قبل؟» وتنشأ عن هذا الانحراف انحرافات أخرى عديدة فمقابل تضخيم الفنجان ليكون نِدًّا للساردة متخاطبا معها يقع تصغير حجم الساردة لتتمكن من الإبحار في الفنجان وخوض تجربة عجائبية مرعبة تنتهي بها إلى الاستغاثة بالفنجان: «أعدني إلى حجمي الطبيعي»، كما يؤدي الإبحار إلى الغرق في الروح بدل الغرق في الماء، وتنقلب دلالة الثراء من مدلوله المادي (المال) إلى مدلول معنوي (الحب- ذكرى- موقف- كتاب).

وفي أقصوصة «جثمان نوّة» تتعدد مظاهر انحراف عالم القصة الغريب المليء بالمفارقات والتناقضات عن عالم الواقع المألوف بل إننا لنكاد نجزم أن الكاتبة تعمدت أن تجعل من عملية التحريف والمفارقة آلية أو قانونا شكلت بواسطته عالم قصتها. فالبشير الشخصية الرئيسية أنجبته والدته فوق التل وحيدة في ظل شجرة البلوط ولادة شبيهة بولادة مريم للمسيح من غير أب ولا مساعد باعتباره حدثا خارقا لقوانين الطبيعة وعادات المجتمع أراده الله آية من آياته ومعجزة من معجزاته الخارقة التي لم تتكرر كذلك أرادته الساردة الخالقة لعالمها القصصي شخصية مخالفة للواقع ومنحرفة بل محرفة له فإضافة إلى ولادته في ظروف عجيبة أشبه بولادة المسيح، «خلافا لجميع الرضع لم يعرف البكاء والصراخ» وكان هادئا ساكنا، بل إن الغرابة تمتد إلى زمن سابق على ولادته فوالدته نوّة زوَّجَها والدها في لعبة قمار خاسرة وطلّقها من زوجها في جلسة خمر ساهرة، مطبّقا مقولة مشهورة لجمال عبد الناصر لكن مُحرَّفة بدورها من «ما أُخِذ بالقوة لا يُستردُّ إلا بالقوة» إلى «ما أُخِذ بالحيلة لا يُستردُّ إلا بالحيلة» لأن الحاضر نفسه تحريف للماضي وانحراف عن قيمه بالتحول من عصر القوة إلى عصر الحيلة. ولا يقتصر الانحراف عن المألوف على غرابة حدثيْ زواج نوة وولادتها وإنما تشمل الغرابة مرضها وموتها. فأثناء مرضها يحمل البشير والدته المريضة بالربو إلى المصحة في مشهد عجائبي متكرر فيُركبها على عربة غريبة وهو يلقي الابتسامات وآلة التسجيل تصدح بالغناء، وفي بحثه عن مساعَدات لعلاج والدته يفاجَأ بمواقف وردود أفعال موسومة بالغرابة ولا تخلو من مفارقات: فإمام المسجد رفض جمع التبرعات لوالدته وفي المقابل طلب منه التبرع بأرضه لبناء فرع جديد لجامع يسمى- للمفارقة- ب»جامع الرحمة» ولا رحمة في قلوب الإمام والمصلين. والمعتمَد يرفض مساعدته لأنه- ويا للغرابة- ليس في قائمة الموالين للسلطة وطلب منه التبرع بأرضه لبناء مقر للحزب. ورئيس البلدية رفض مساعدته وطلب منه في المقابل التبرع بأرضه لبناء نزل استشفائي يمكن أن يوفر علاجا لنوة. وأما العمدة فاشترط الزواج من أخته لمساعدته على إثبات شهادة ملكيته للأرض التي هي أرضه. وتنتهي القصة بموت نوة من خلال مشهد جنائزي شديد الغرابة والانحراف عن المألوف حيث يحمل البشير جثمان والدته على «برويطة» (عربة يدوية) ويصعد به نحو قمة التلة، وتتشكل مفارقة بين أوجاع نوّة وجنان الأرض، وتحصل تحولات: تحول القبر إلى جنة نوّة، وتحول الجذوع المقطوعة إلى جوقة.

وفي أقصوصة «يا كورونا» تخيم أيضا أجواء الموت المرتبطة بوباء كورونا، ولا شك أن فترة انتشار هذا الوباء قد فرضت على حياتنا الاجتماعية والنفسية تغيرات وانحرافات عديدة وجعلتنا مرعوبين عاجزين أمام هذا الفيروس اللامرئي. ولذلك تنفتح الأقصوصة بتشغيل آلية التشخيص التي استعملتها القاصة مع فنجان القهوة في أقصوصة «الصعود إلى القاع» فتصف الساردة الفيروس على هذا النحو: «شبح الموت المصاحب يضع ساقا فوق أخرى ويتكئ على ظهر كرسي بارتخاء عجيب».

وبسبب ما فرضه الوباء من إجراءات الحَجْر الصحي انقلبت حياة الإنسان من «حياة الضجيج» إلى «وهم الحياة» بعبارات الساردة وانحرفت معاييرها ومقوماتها فصار الضروري كماليا والعادي المألوف أمنية أو حلما بعيد المنال و»أبسط ما يقوم به الكسول قد يتحول إلى معجزة. التنفس، النوم...» ومن مظاهر الانحراف عن الحياة المألوفة والعادية بسبب الحجر وملازمة البيت (تحت شعار «شد دارك») اندثار الحميمية واختفاء الملامح عن الوجوه (بسبب ارتداء الكمامة) ولا شيء يحرك سواكن الوجود سوى السعال ومواء القطط، وصار الاشتياق إلى السير خطوات قليلة وإلقاء القمامة والجلوس على المقعد العمومي...الخ. ويتجاوز الانحراف عادات الحياة اليومية وطقوسها إلى طقوس الموت فالوصية صارت تخص طقوسا كانت طبيعية وعادية لا تحتاج إلى وصية مثل تهريب كفن من الكتان (بدل البلاستيك) والدعاء للميت وإقامة صلاة الجنازة وطقوس العزاء. ولكن هذه المظاهر على غرائبيتها تبقى واقعية ومتداولة في وقتها ولا تصنع القصصية، ولذلك فإن ما يدعم أدبية الانحراف أمران آخران هما: ذاتية التحريف من جهة وسردية الانحراف المولدة للمفارقة من جهة أخرى. تعني ذاتية التحريف أن الأحداث والمشاهد تُسرد وتُعرض من منظور ذاتي هو منظور الساردة-الشخصية التي لا نكاد نعرف عنها سوى ما تراه وتعانيه وتتخيله. وقد تخيلت في البداية الفيروس أو الموت كائنا مشخصا يجلس على كرسي وتخيلت في أثناء السرد البشر قد مسخوا أسماكا ضخمة وهو ما يذكرنا ببطل كافكا الذي مسخ حشرة كما تتخيل نفسها ينمو لها أذنان، وفي الواقع الساردة لا تتخيل بالمعنى الحلمي أو الكابوسي وإنما تعكس وضعا نفسيا وماديا يعبر عن التحولات التي طرأت على حواسنا أثناء الحجر الصحي إذ بتعطل الحركة ومنع التنقل تيقظت حواسنا ونمت ملكة التخيل وتعمقت الذات في الملاحظة والتأمل. وأما سردية الانحراف المولدة للمفارقة فتتمثل في المفارقة بين ما يتعرض له الإنسان من إهمال وقلة العناية الصحية (الساردة- الجار) بسبب الوباء واشتداد وطأته وبين تجند سيارة الإسعاف للبحث عن قطة ضائعة وإعادتها إلى صاحبتها.

وأما أقصوصة «خارج السيطرة»- وعنوانها يدل بوضوح على منحاها الانحرافي عن نظام الحياة العادية ونسق الواقع اليومي- فتقوم في بنائها الأساسي على الصراع والمواجهة بين النظام والفوضى أو بين الاصطفاف والانفلات رغم أن هذا الصراع غير متكافئ لأن هناك طرفا وحيدا يصارع من أجل المحافظة على النظام وهو حارس المغازة بينما بقية الأطراف أو الشخصيات كلها تتسبب في الفوضى والانفلات أو الانحراف عن النظام الذي فرضه الحارس أمام المغازة للحصول على المواد الغذائية الضرورية في ظل وباء كورونا الذي تسبب في شح المواد الغذائية من جهة وضرورة اتخاذ الإجراءات الوقائية كارتداء الكمامة والتباعد والتعقيم والنظافة....الخ، من جهة أخرى وهو ما سبب التزاحم والاكتظاظ أمام المغازة وبالتالي الفوضى والانفلات. وبقدر ما يجتهد الحارس المسكين المتفاني في عمله ويطبق نظاما عسكريا كان قد تعلمه من مهنته العسكرية سابقا «يتفنن» الآخرون في خرق النظام والتسبب في الفوضى والانفلات، وما إن يستتب النظام قليلا حتى يحدث بتدبير من القاصة ما يعكر صفو النظام ويؤدي إلى الاضطراب من جديد. فزيادة على عدم انضباط المصطفّين أمام المغازة في انتظار دورهم لشراء ما يحتاجون إليه من مواد غذائية أو مواد تنظيف، تظهر في كل مرة شخصية على مسرح الأحداث لتزيد الأجواء تعكيرا والنظام خرقا أو يحدث فجأة ما يعمق الفوضى ويكثف المفارقة. ويمكن أن نشير إلى ثلاثة مشاهد تخضع لهذا المنطق السردي/اللامنطق الواقعي وهي التالية:

- شخصية المتسولة التي تنشأ عن ظهورها مفارقة أولى تتمثل في أن المتسولة تشحذ ما يسدّ رمقها بينما الحارس- المهووس بالنظام- يطالبها بارتداء الكمامة وتعقيم اليدين، ثم تنقلب المفارقة عكسيا فإذا المتسولة التي كان الناس يخافون من أن تتسبب لهم في العدوى تطلب تعقيم يدها خوفا من المرض وانتقال العدوى إليها من الناس الواقفين في الصف.

- الحارس نفسه الذي انقلب فجأة من صرامة ممارسة السلطة وهيبة التحكم في النظام إلى الشكوى والضعف والانهيار النفسي بلغ حد التهديد بإحراق جسده وكأنه لم يجد في واقع تسوده الفوضى إلا الفوضى نفسها وسيلة لإرساء النظام.

- المرأة الواقفة في الصف التي اتهمت الشاب الواقف وراءها بأنه قد تحرش بها، ويولد هذا الموقف مفارقة أولى أو انقلابا يتمثل في إنكار الشاب التهمة وتحوله من وضع المتّهَم أو المدان إلى موقع المتّهِم أو المدين وفي المقابل تتحول المرأة من وضع المتّهِم المدين إلى وضع المتّهَم المدان حين يحكم عليها الشاب بفقدان «المؤهلات» أو المواصفات التي تجعل المرأة «قابلة» للتحرش (السن- الجمال...) وهو أقسى اتهام أو حكم يمكن أن يسلط على امرأة في المجتمع الشرقي (فقدان الأنوثة). ولذلك يحدث انقلاب آخر- ويا لغرابته- بتحولها من الاحتجاج على التعرض للتحرش إلى الاحتجاج على عدم التعرض للتحرش لا لاستقامة الرجل وإنما لعدم «أهلية» المرأة للتحرش وفقدان علامات الأنوثة، ولم تهدأ وترضى إلا باعتراف الشاب بأنه تعمد التحرش بها وفي هذا اعتراف ضمني بأنها مازالت امرأة قابلة للتحرش وتتمتع بمواصفات الأنوثة.

وفي أقصوصة «أضعت ابتسامتي» وبالانتقال من العنوان إلى القصة، يتجاوز الانزياح في العنوان المستوى اللغوي الاستعاري لأن هذا البعد لا قيمة له فالانزياح اللغوي ليس مهما وأساسيا في الكتابة القصصية، ولا طرافة فيه لأنه يعتبر استعارة مستهلكة (تعني لم أعد أبتسم أو نسيت الابتسامة). إن التحريف الذي يهمنا هنا هو في تحويل الاستعارة إلى واقع أو حدث حقيقي، وذلك بتشخيص الابتسامة وجعلها شيئا ضائعا فعلا تبحث عنه الساردة الشخصية وهي تعتقد أنها ضاعت منها فعلا في مكان ما، تبدأ القصة كما يلي: « هذه السنة أضعت ابتسامتي». وتنطلق الساردة في البحث عن ابتسامتها الضائعة داخل البيت وخارجه وتسأل عنها كل من يعترضها وتتلقى إجابات مختلفة. ولكن الانحراف بالصورة (فقدان الابتسامة) من المستوى الاستعاري اللغوي إلى المستوى الواقعي العملي ليس إلا معادلا قصصيا رمزيا لفقدان دوافع الابتسامة وطريقة فنية لتشخيص أمراض المجتمع وانحرافاته الاجتماعية والنفسية والعاطفية الخطيرة. وكان منطلق الوعي بهذه التحولات والانحرافات لدى الساردة السؤال التالي: «متى رأيتُ ابتسامتي آخر مرة؟» واكتشفت من خلال إجابات الآخرين أن الابتسامة التي ترمز إلى العواطف الحميمية والإنسانية هي آخر اهتماماتهم وأن اهتماماتهم صارت متعلقة بأشياء تافهة وسطحية وشكلية. وتنتهي الساردة من رحلة البحث عن ابتسامتها الضائعة إلى ما أصاب الإنسان في عصرنا من تشوه أو انحراف عاطفي ونفسي واجتماعي أفقده جوهره الإنساني وسعادته بغياب الابتسامة أو فقدان قيمتها بناء على مقولة «الإنسان حيوان ضاحك» أو «مبتسم». كما اتخذت هذه الصورة الرمزية لنقد الانحراف الخطير الذي آل إليه الواقع الاجتماعي التونسي بتراكم الأزمات والمشاكل لتصبح الابتسامة مطلبا والسعادة أمنية وهذا ما تلخصه الجملة العامية الواردة في الأقصوصة: «هم خلوا فيها ابتسامة؟». وتعبر هذه العبارة كما تعبر الأقصوصة ككل عن وضع اجتماعي-نفسي عرفه المجتمع التونسي أثناء انتشار وباء كورونا وما بعده وهو فقدان السعادة بسبب ضغوطات الوباء والحجر الصحي ثم الضغوط الاقتصادية والأزمات السياسية...الخ. ولعل في تسمية التونسيين لبطلة التنس أنس جابر ب»وزيرة السعادة» دلالة عميقة على هذه الأزمة الخطيرة.

وفي أقصوصة «الراقصة والرئيس» تنطلق الشخصية الرئيسية وهي إعلامية أو صحفية مبتدئة باعتماد طريقة منحرفة أو وسيلة زائفة وهي «سحر الأنوثة» لإقناع الرئيس والمشاهدين بجدارتها الصحفية وإقناع مدير القناة بالحصول على عقد عمل ولأنها لا تهتم بالجانب المهني ومتطلباته لم تكن على اطلاع بمحتوى الأسئلة بل كانت تلقن الأسئلة والأجوبة وتحذَّر من الارتجال والخروج عن النص الملقَّن. وقد أتقنت الكاتبة في هذا النص لعبة الأصل والنسخة غير المطابقة أو الواقع المألوف والانحراف عنه وذلك في اتجاهين متعارضين: فالصحفية وهي في طريقها إلى إجراء المقابلة التلفزية مع الرئيس، وجدت العالم حولها غريبا ومختلفا عن المألوف، إلى حد اختلاط الواقع والحلم أو الكابوس: «تساءلت إن كان ما تعيشه كابوسا أم حقيقة غريبة غيرت عالمها في غفلة عاجلة». وقع الانحراف في البداية في الاتجاه الإيجابي فيتشكل عالم «يوتوبي» واعدا أو موحيا بنجاح المهمة وإمكان تحقق الحلم: فهي لأول مرة تكتشف مساكن حديثة وواجهات المحلات مختلفة وتجد الشارع خاليا من المارة والمعلقات على البنايات تحولت إلى مشاهد سينمائية فتسبح في تفاصيل الوجود. لكن هذا العالم اليوتوبي الحالم سرعان ما يتحول أو ينقلب إلى عالم «ديستوبي» مرعب. فالشارع الخالي من المارة يصبح

فجأة مزدحما و»وجوه المزدحمين شديدة الشحوب والاصفرار كأنهم عائدون من عالم الموتى» وكأن هذا التحريف الديستوبي لا يكفي ليلعب خيال الصحفية دوره في زيادة درجة الانحراف عن الواقع ف»تخيلت هجوما لكائنات ماورائية وشطح خيالها إلى إمكانية تحول المتدافعين إلى «مصاصي دماء»». وانتقل الواقع المتحول إلى عالم ديستوبي من الخارج إلى الداخل أو من الآخر إلى الذات ويتدرج من التخيل إلى رد الفعل فيسيطر عليها الاندفاع والتهور والجنون وهو سلوك لم تتقنه من قبل، وتحاول عبثا أن «تفرض على حواسها التيقظ وحسن التركيز [...] وألا تفقد بوصلتها بعد الآن» إلا أنها تتصرف خلافا لذلك. وبقدر اجتهاد الصحفية في سن الاستعداد للقاء الصحفي ولهفتها على الوصول في الوقت المطلوب وبالمظهر اللائق، تجري الأحداث خلافا لرغبتها فتتعدد العراقيل وتتالى المعيقات المهددة بفشل اللقاء وخسران الوظيفة والشهرة وهو ما تلخصه جملة الساردة «كل ما حولها خارج عن السيطرة والمألوف» (والملاحظ أن عبارة «خارج السيطرة» جاءت عنوانا لأقصوصة أخرى). فالصحفية التي لم تغمض جفنها ليلا تريد أن تستيقظ من الكابوس نهارا، والراديو الذي كان يبث الأغاني يصدر «ضوضاء مزعجة تشابكت فيها خشخشة البث مع نشاز ذبذبات نشرات الأخبار والأغاني الصاخبة». وكل مظاهر التزين والتأنق تنقلب إلى صور للقبح والبشاعة فالهدوء ينقلب إلى انفعال واليقظة إلى كابوس ودماء العادة الشهرية تلوث ثيابها وحركتها الانفعالية تكسر ظفرها والبكاء يفسد زينة رموشها وثوبها الفاخر تستبدله بلباس أسود عملي وتجبر في النهاية على ارتداء الكمامة فتختفي «ماكياج» وجهها. وإذ تنتهي محاولاتها العبثية للسيطرة على الأمور بالفشل المرير- رغم نجاها في إجراء المقابلة- حين تفاجأ بضعف نسبة المشاهدة التي استحوذت عليها- ويا للغرابة- الراقصة ميرال التي كانت تبث على الانترنت عرضا راقصا في نفس توقيت المقابلة مع الرئيس وهو ما جعل المخرج يقرر التعاقد مع الراقصة لتصوير منوعة رمضانية وهي مفارقة أخرى من مفارقات القصة العديدة.

ولا يمكن أن نختم قراءتنا للنماذج المختارة دون أن نتطرق إلى أقصوصة «نسخة غير مطابقة للأصل» بما أن عنوانها هو كذلك عنوان المجموعة ككل، وهو ما يعني منزلتها من المجموعة وأهميتها في الدلالة على الآلية المتحكمة في الكتابة وعلى الفكرة الجامعة. تتطرق الكاتبة في هذه الأقصوصة إلى موضوع الذكاء الاصطناعي وعالم الروبوتات أو الإنسان الآلي الذكي. ولا شك أن هذا المجال الأكثر تطورا من الناحية العلمية والتكنولوجية هو المجال الأكثر تعبيرا ودلالة على ثنائية الأصل والنسخة، من خلال هذا التنافس والتنازع بين الطبيعي والاصطناعي أو بين الإنسان والآلة. ولئن كان الإنسان هو صانع الآلة والمتحكم فيها فإن مخاوفه أخذت تتزايد من انفلات السيطرة عليها وتمرد الروبوت على الإنسان وتعويض الذكاء الاصطناعي للذكاء الإنساني الطبيعي بالنظر إلى تزايد حاجات الإنسان إليه والتطور المتسارع في قدراته واستخداماته وذكاءاته. ولكن هل يمكن للروبوت أن يعوض دور الإنسان الاجتماعي والعاطفي والحميمي وما يمكن أن ينجرّ عن ذلك من انحرافات في الأدوار والعلاقات العائلية والعواطف الإنسانية؟ تختبر الكاتبة هذه الفكرة بجعل الساردة-الشخصية زوجة تبتكر أكثر من نسخة اصطناعية لها لتضطلع بالأدوار التي كانت تقوم بها زوجة وأما وموظفة على نحو قد يكون أكثر إتقانا ونجاعة وأقل كلفة ومشقة. غير أن الزوجة الصانعة للروبوت تكتشف في كل مرة أن النسخة لا يمكن أن تعوّض الأصل وأن الذكاء الاصطناعي إذا ما عولنا عليه ليعوض الإنسان في علاقاته الاجتماعية والأسرية والحميمية...الخ يؤدي إلى انحرافات وتشوهات خطيرة يمكن أن تهدد استقرار الأسرة وتقوض العلاقات الحميمية. وكانت كل نسخة جديدة تصممها نسخة مشوهة على نحو ما تفتقد إلى أشياء لا يملكها سوى الإنسان، وكلما زاد إتقان النسخة وتعديلها كانت أكثر تهديدا للزوجة وخطرا عليها، حتى غدت الزوجة الأصلية نسخة مصطنعة ثانوية وصارت النسخة الاصطناعية هي الأصل والمركز. وينتهي الأمر بالزوجة إلى إتلاف النسخة واستعادة دورها الأصلي والطبيعي داخل الأسرة وفي علاقتها بزوجها، غير أنها تفاجأ وهي تتهيأ للاعتراف بما اقترفته يداها أن زوجها كان على علم باللعبة وتصطدم بأنه كان يستحسنها بل إنه لم يعد يميز بين الأصل والنسخة وإن كانت غير مطابقة للأصل، ولم يعد يعنيه كثيرا أن يميز بينهما في عصر صارت فيه المرأة أقرب إلى الكائن الاصطناعي لكثرة الزينة وعمليات التجميل، وصارت الروبوت أقرب إلى الكائن الطبيعي لكثرة الإتقان والتطور التكنولوجي في مجال الذكاء الاصطناعي. ولذلك فإن ما يبدو عجائبيا في هذه الأقصوصة أو ينتمي إلى مجال الخيال العلمي (أو التخييل العلمي) بدأ يصبح واقعا ملموسا لتسارع وتيرة التطور التكنولوجي، وهو ما يعني أن ثنائية الأصل والنسخة بدأت تشمل العوالم الممكنة وسيصبح من الصعب التمييز بين العالم الواقعي والعالم الافتراضي أو الاصطناعي.

ولا شك أن هذه النماذج القصصية التي انتخبناها تمثيلا لظاهرة الانحراف والانزياح ودلالة على كونها قوام القصصية والآلية المتحكمة في السرد والمولدة لدلالات النصوص والمجموعة ككل لا يمكنها أن تستوفي هذه الظاهرة القصصية حقها من التحليل والتفصيل، ولا أن تبرز ما في نصوص المجموعة من تنوع وثراء. غير أن هدفنا من هذه المقدمة ليس استيفاء التحليل والتفصيل وإنما هدفنا الأساسي التنبيه إلى الآلية الأساسية المتحكمة في عملية القص والمولدة لشعرية الأقاصيص ودلالتها على اختلافها وتنوعها شكلا ومضمونا. وقد تبين أن مختلف آليات الكتابة وتقنيات السرد على تنوعها تخضع في جوهرها لاستراتيجية تغريبية أو انزياحية تقوم على خلق أوضاع قصصية مستمدة من الواقع لكنها منحرفة عنه ومحرّفة له بدرجات وأشكال مختلفة. وقد صار مطلوبا منا- وقد أشرفت المقدمة على نهايتها- أن نتساءل بعد أن وقفنا على تجليات استراتيجية التحريف أو الانزياح واشتغالها في مستويي العتبات والمتن القصصي في نماذج مختارة من النصوص تقوم على ثنائية الأصل والنسخة أو المعيار والانزياح أو المطابقة والاختلاف عن دورها في المجموعة بنية ومضمونا أو جماليا ودلاليا؟ هل يمكن أن تنبئ عن رؤية فكرية وجمالية كامنة وراء الخطاب القصصي المحَرَّف والمحرِّف؟ وإذا كان الأمر كذلك- والأرجح أن يكون كذلك- ما هي الدلالة أو الرؤية العميقة التي تنطوي عليها ثنائية النسخ والمسخ أو تصور الحياة أو الواقع انطلاقا من استعارة «النسخة غير المطابقة للأصل»؟

لا شك أن القاص لا يكتب عن عفو الخاطر وأن الأقصوصة ليست مجرد حكاية تروى مهما كانت طرافتها وإنما القاص يتدبر أمر السرد ويدبره بليل ويشتغل وفق استراتيجية في الكتابة وحسب آليات وتقنيات من شأنها أن تصنع أدبية القصة وخصوصيتها، وقد كانت إيمان السافي قاصة بارعة من هذا المنظور وواعية بمتطلبات القص ومولدات شعريته وطرافته، غير أن هذه التقنيات والاستراتيجيات على أهميتها تظل في ذاتها مجرد لعبة سردية وقيمة جمالية تمنح المجموعة شعريتها وتطبعها بطابع إبداعي، وتظل هذه التقنيات منقوصة ما لم تكن مبررة ومقصودة ودالة أي ما لم تكن اختياراتٍ فنيةً منسجمةً مع العالم القصصي المتخيَّل أو متناغمة مع العالم الواقعي الذي تحيل إليه وتعبر عنه. وقد وجدنا في آلية التحريف أو ظاهرة الانزياح كما أجلينا مظاهر عديدة منها تقنية سردية إبداعية لها ما يبررها جماليا ودلاليا وهي بالتالي متى ما ثبت ذلك إجراء أو حدث أسلوبي بامتياز كما يذهب إلى ذلك أغلب الأسلوبيين والشعريين (جاكبسون- كوهين- ريفاتير...). من الناحية الجمالية أو الشعرية، بينا منذ بداية المقدمة أن الانحراف أو الانزياح قانون أساسي من القوانين المولدة لشعرية اللغة أو الخطاب، وأن الفن في جوهره تغريب أو تبعيد أو تحريف مقصود للأشياء والعلاقات والعوالم لإثارة الدهشة والمفاجأة ولفت الانتباه إليها وإعادة النظر فيها لكشف أو اكتشاف ما يعتمل وراءها من حقائق ومعان وقيم غابت عنا أو لم ننتبه إليها بحكم العادة والألفة. وقد تعمدت إيمان السافي أن تحرّف أغلب ما في عالمها القصصي من شخصيات وأشياء وكائنات وعوالم وأحداث وعلاقات فتدفع شخصياتها إلى التحرك واتخاذ مواقف وردود أفعال مختلفة قصد إعادة النظر في الواقع أو العالم الذي تعيش داخله دون أن تفكر فيه أو تعي بتحولاته وتناقضاته ومفارقاته، كما تدفع القارئ المأخوذ بهذه العوالم والمصدوم بكثافة المفارقات والانحرافات إلى الخروج من حالة الدهشة أو الخيبة إلى التفكير بدوره في واقعه ومصيره. ولذلك فإن شأن الانحراف أو الانزياح في هذه المجموعة لا يقف عند هذا المستوى من التبرير الشعري أو حتى الفكري، وإنما يتجاوزه إلى التبرير الواقعي والتاريخي. فإذا عرفنا كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة المقدمة ارتباط أغلب نصوص المجموعة بفترة وباء كورونا والحجر الصحي وجدنا أن الوضع الخطير الذي مر به التونسيون- والإنسانية جمعاء- هو في حد ذاته وضع استثنائي في تاريخ البشرية شديد الانحراف والخروج عن مألوف الحياة ونظام الحياة الواقعية، فلم تكن الانحرافات والانزياحات المتحكمة في بنية الأقاصيص بالتالي مجرد آلية في الكتابة القصصية أو لعبة سردية وإنما كانت المعادل الفني والرمزي لواقع فرضت عليه كورونا أو «السيدة ك» كما يحلو للناقد البشير الجلجلي نعتها جملة من التحولات والانحرافات والتشوهات العميقة مازلنا نعاني آثارها إلى اليوم. ولكن آلية الانحراف المتحكمة في السرد والبانية للعالم القصصي تتجاوز مع ذلك المستوى الجمالي والفكري والسياق التاريخي الظرفي لتكون معادلا فنيا ورمزيا لواقع أعمق وأشمل وأكثر تعقيدا وتأزما وهو الواقع التونسي والعربي عامة ما بعد الثورة. فقد بلغ درجة من التناقضات والمفارقات لم يعد من الممكن كتابته وتمثيله بالأسلوب الواقعي التقليدي أو البسيط. ولئن اختار كتاب تونسيون آخرون طرائق وأنماطا معروفة في تسريد الواقع المتأزم والمعقد والمنفلت مثل النمط العجائبي (إبراهيم الدرغوثي) والنمط الكابوسي (هيام الفرشيشي) والنمط الميتا قصصي (رضا بن صالح)...الخ، فإن إيمان السافي اختارت النمط الواقعي المحرف مازجة بين السخرية الموجعة والجدية المضحكة. ولا شك أن هذا الأسلوب قد عرف به رواد الأقصوصة العربية أمثال علي الدوعاجي ومحمود تيمور ويوسف إدريس، غير أن إيمان السافي طورته وعمقته وجددت فيه بما يتماشى مع واقعنا الذي صار عجائبيا أكثر من العجائبي نفسه. وهو ما يسم لنا بالقول إن هذه المجموعة الأولى في تجربتها السردية واعدة بكاتبة قادرة على أن تذهب في الكتابة القصصية بعيدا في التجديد والإبداع بما تمتلكه وتبرهن عليه من قدرات في السرد والتخييل، ومن روح البحث والتجريب، فضلا عن عوالمها المختلفة وأسلوبها القصصي المتميز بما يدل على وعي بشروط الكتابة وامتلاك لمهارات السرد مازالت في حاجة إلى تركيز ودربة ولكن من المؤكد أنها ستنضجها التجربة والممارسة والخبرة، وإنها على ذلك لقديرة.

الهوامش والإحالات:

1 - اهتمت أغلب الدراسات بمظاهر الواقعية في القصة القصيرة وأما الدراسات التي عنيت بمظاهر الانزياح أو التحريف في الكتابة القصصية فهي قليلة وتهم خاصة الدراسات التي عنيت بظاهرة السخرية ولكن من الضروري أن نشير إلى دراسة اشتغلت على هذه الظاهرة بشكل مباشر وواع وهي دراسة الأمين بن مبروك الموسومة بـ»القصة القصيرة عند زكريا تامر الانتهاك المنظم» (صفاقس، 2008). ولا يخفى أن الانتهاك والانحراف والانزياح والعدول... الخ كلها مصطلحات مترادفة ومتداولة في مجال الدراسات والنظريات الشعرية والأسلوبية. وأما عبارة «منظم» فهي تعبر جيدا عن ظاهرة الانتهاك أو الانحراف في مجموعة «نسخة غير مطابقة للأصل» لإيمان السافي باعتبارها ظاهرة شاملة ومهيمنة في جميع النصوص تقريبا وبالتالي فهي عملية أسلوبية سردية مقصودة ومنظمة.

2 - أغلب ما جاء في هذه الفقرة هو من قراءة الكاتبة نفسها للوحتها وهو ما ينشأ عنه شكل آخر من أشكال الانحراف والانزياح من موقع المبدع إلى موقع المتلقي أو من منظور الكاتب إلى منظور القارئ.

3 - إيمان السافي: نسخة غير مطابقة للأصل، ص ....

4 - م. ن. ص ...

5 - م. ن. ص..

6 - م. ن. ص ..

7 - م. ن. ص...

8 - م. ن. ص 19.

9 - م. ن. ص 22.

10 - م. ن. ص 23.

11 - م. ن. ص 23.

12 - ص 23.

13 - م. ن. ص 23.

14 - م. ن. ص 23.

15 - البشير الجلجلي: هكذا تكلمت السيدة ك لغات العالم، تونس، 2021.

فكر ابن خلدون إرث ملأ الدنيا وشغل الناس

كم نحتاج الى ابن خلدون جديد لفهم الراهن

أ . نعيمة الحمامي التوايتي

ونحن نحتفي بشهر التراث راقني أن أقف عند نسخة من كتاب إليكتروني أهدتني إياها صديقة لي مؤخرا عن قيام الإمبراطوريات، وسقوطها وعن ابن خلدون والقرن الرابع عشر للميلاد, بعنوان:

« ابن خلدون
البحر المتوسط في القرن الرابع عشر
قيام وسقوط إمبراطوريات»

هي نسخة عربية مترجمة عن الاسبانية من منشورات مكتبة الاسكندارية 2007. قدّم للكتاب الدكاترة سراج الدين إسماعيل، المنجي بوسنينة وابن جاسم آل ثاني مشعل. يوثق الكتاب لمعرض أقيم تحت رعاية الملك خوان كارلوس الأول والملكة صوفيا، على أرض القصر الملكي في إشبيليه، ما بين شهري ماي وسبتمبر 2006. مجمّع ضخم يتألف من 461 صفحة أشرفت على تنسيقه العلمي ل «ماريا خيسوس فيجيرا مولينز»

يعكس هذا الكتاب باكورة أعمال التعاون العلمي الذي تمّ بين مؤسسة التراث الأندلسي باسبانيا والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) ودولة قطر. تأتي ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية لتحيي إرثا مشتركا يجمع بين العرب والأسبان,

ولينفض الغبار عن جوانب من حياة ابن خلدون ومحيطه المكاني وألزماني في حوض البحر المتوسط خلال القرن الرابع عشر؛ ابن خلدون الذي اكتشفه الغربيون ووظفوه لفهم مجتمعاتهم. هو نتاج تراكم معرفي لمدرسة فكرية برزت في الأندلس، قائمة على أسس فكرية فلسفية ورياضية انتقلت إلى بلاد المغرب, مدرسة هيأت ابن خلدون للمقاربة التي سوف يتبناها لفهم أحوال العمران (المجتمع) وما يعرض له.

هذا الكتاب هو واحد من أهم الكتب الصادرة في مطلع القرن 21 حيث يكشف جوانب عديدة من حياة ابن خلدون وفكره.

ويقدّم للقارئ العربي:

* خلاصة 50 مبحثا علميا لباحثين وأكاديمين عرب وأسبان وظّفوا فكر ابن خلدون لشرح ظاهرة قيام الإمبراطوريات وأفولها في حوض البحر المتوسط خلال القرن الرابع عشر.
* يطرح فرصة للتأمل في أفكار ابن خلدون الإنسانية حول التاريخ والحضارة.

* حظر ابن خلدون، منذ المقدمة، لا بصفته مفكرا عربيا إسلاميا، بل بصفته مفكرا عالميا، إلى جانب عظماء الفكر الإنساني الذين فككوا أسس قيام الدول وتفسخها، من بوليبوت ومكيافيلي إلى.... ماركس وماكس فيبر. يبدو أنّ اختيار موضوع الإمبراطوريات في القرن 14 ليس اعتباطا إذا، في هذا المنجز، بل كان ناتجا عن وعي بالتحولات العميقة والمفصلية التي عرفها العالم في هذه الحقبة التاريخية المضطربة (القرن 14). تحولات هددت إمبراطوريات، وأشّرت إلى بزوغ أخرى؛ وكان حوض البحر المتوسط حاضنة لها. جاء الكتاب عبارة عن بانوراما تعرض تاريخ تونس والجزائر والمغرب ومصر، وإسبانيا، والممالك المسيحية... وجزر البحر المتوسط، وفرنسا، والمدن الإيطالية، والإمبراطورية العثمانية، جنباً إلى جنب «ماركو بولو»، و«ابن بطوطة»، و«دانتي»...

ويدعونا إلى أن:

1/ نبحر في أعماق البحر المتوسط لنعاود اكتشاف هذا البحر الزاخر بالتلاقح الحضاري والتربة الخصبة لقيام الحضارات والثقافات المتنوعة التي تشترك جميعا في جذور وسيمات مشتركة كان ابن خلدون شديد الإيمان بأنّ جذور كلّ ثقافة في هذا العالم, رغم خصوصيتها, جذور مشتركة بين أبناء البشر جميعا, وبأنّ إحداها ليست بمعزل عن الأخرى

`تجربة ابن خلدون الإنسان: في حلّه وترحاله, في صيرورة وجوده 2/ نقف عند خصوصيات - في الزمان والمكان. نجاحات / إخفاقات / تقلبات ورحلة صاخبة، مضطربة شهدت أحداثا تاريخية حاسمة (سقوط الأندلس, وسقوط بيزنطة, وتوسّع الأتراك, والوباء الأسود وحرب المائة عام...) كانت المخاض لولادة عصرنا الحديث. رصدها ابن خلدون وأخضعها لسلطان العقل بعيدا عن مجرّد النقل. فكان شاهدا على العصر لأنّ القرن الرابع عشر هو أكثر القرون تحولاً وانتقالا للأحوال» بين ضفتي المتوسط الجنوبية والشمالية:

- نحو التفكك والاضمحلال بالضفة الجنوبية حيث العالم العربي.
- نحو التحول والنهوض في الضفّة الشمالية حيث العالم الغربي.

بمعنى تحول وانتقال بين ضفتي المتوسط، المجال الذي تنقّل من خلاله ابن خلدون ما بين تونس والمغربين الأوسط والأقصى والأندلس ومصر..

جاء هذا المجمع إذا تثمينا لإرث ابن خلدون الذي بلغ ذروة توهجه خلال القرن 14،

ولا يزال إلى اليوم يثير القراءات ويدعو في كل حين إلى اكتشاف جديد؛ رغم مرور 6 قرون على رحيل هذا العلامة التونسي المنحدر من جذور عربية توطنت بالأندلس.

فابن خلدون علّامة له من العمق والاستشراف ما جعله نموذجا لحداثة سابقة لأوانها، أهدى الإنسانية جرعة تنوير أحدثت «خرقا ابستومولوجيا في سلم الزمن الذي يفصله عنّا, حتّى كأنّنا أصبحنا نرى «

أنّ ابن خلدون معاصر لنا, بل حتى سابق علينا في بعض الحالات، يقدّم حلولا لقضايانا الراهنة.

كشف لنا الكتاب في مبحث للدكتورعبد السلام الشدّادي من جامعة محمد الخامس بالرّباط ترجمه خالد عزب ص. 40/45 بعنوان «عالم ابن خلدون»:

أن «علمي التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون تمتعا بخاصيتي الكونية والعالمية...»

يحيلنا هذا إلى ما يسمى «النظرة الشاملة والعالمية « عند ابن خلدون الذي وضع تاريخه في إطار عالمي، حين أقدم على:

* كتابة تاريخ الإنسانية جميعا, تقريبا من العرب إلى العجم والبربر « ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر». وأعطى اهتماما أكبر للشعوب المسيحية في الشرق الأوسط والشعوب الإفريقية؛ لأنهم الأكثر ارتباطا بالشعوب العربية وبالبربر، كذلك منح أهمية كبرى للتأريخ للبيزنطيين والفرنجة؛ واعتبرهم الأكثر ارتباطا بتاريخ العرب والبربر من غيرهم.
* دراسة الظواهر الاجتماعية واصدر أحكامه في الخبرات البشرية التي عايشها، من خلال اختلاطه بشعوب البحر المتوسط.
* كشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية الكبرى، في نشأتها و في نموها وتطورها

2/ أو من خلال ما احتوته مقدّمته من مقولات ونظريات يصلح جانب كبير منها لأن يُطبّق على الواقع الإنساني.

فقد أثبت ابن خلدون أنه عالِم الاجتماع الأول، وكان أيضا أهم مؤرخ بحث في العوامل الموضوعية لتقدم المجتمعات. إنّ تأسيس علم المجتمع والحضارة يُعدُّ العمل البارز الذي قدّمه ابن خلدون، عملٌ, له أصول فلسفية، تظهر عند استعراض ابن خلدون الخصائص الأساسية للحضارة الإنسانية، بداية من تعريفه للإنسان بأنه حيوان سياسي، ومن هذا التعريف استخلص ابن خلدون نقطتين أساسيتين لنشوء المجتمعات والحضارات:

أولا أن المجتمع ضرورة لحياة الإنسان،

ثانيا أن المجتمع البشري المرتكز على التعاون من أجل توفير مقومات الحياة والدفاع عن الأفراد، لا بد أن يخضع لقوة سياسية. فالمجتمعات التي تكوّن عالم ابن خلدون, تُعتبر في المقام الأول، كيانات عرقية (أمما)، تلك الأمم هي: العرب البربر، والعبرانيون، والروم، والفرنجة، والترك، والأكراد.. وهنا يمكن أن نستنتج من الجزء التاريخي من كتاب «العبر», أن الأمم تُعرف باسمها ونسبها وكذلك لغتها، بالإضافة إلى بعض الخصائص أو الشعائر التي تميزها عن غيرها. من زاوية تاريخية، حققت الأمم وجودها (موطنها) بواسطة امتلاك أواحتلال أرض أو أراضي الآخرين، وتكوين سلطة (ملك) ذات نطاق أكثر اتساعا. يميّز ابن خلدون بين المراحل المختلفة في تاريخ الأمم، تلك المراحل عرّفها باستخدام كلمة (أجيال)، ويمكن مقابلتها بكلمة فترات أو عصور، بمعنى طبقات أو فئات.

«ابن خلدون رجل الحوار والتواصل بين الحضارات»

كان ابن خلدون في ملتقى العديد من الحضارات, رجل الحوار والتواصل, الحوار مع الآخر المختلف ورسول السلام حتى في أزمنة الصراع والحروب، على خطوط التماس بين الحضارات وهو يُقابل بيدرو الأول ملك قشتالة غربا, والقائد الماغولي تيمور لنك شرقا، (رغم ظروف الحرب والمواجهة التي أحاطت بالمقابلتين). يقول الشيخ مشعل بن جاسم آل ثاني رئيس المجلس الوطني للثقافة ولفنون والتراث بقطر في ص. 23 بالكتاب: «ابن خلدون رجل يتّصل بالحياة اتصال المشارك فيها والعامل في وجوه نشاطها, ثمّ ينفصل عنها, ويستقلّ بنفسه يتأملها... ويدرسها ويحلّلها. يتغلغل في بواطنها ويسبر أغوارها, ثمّ يحلّق فوقها ويجعلها موضوع درسه, فيبحث فيها بحثا موضوعيا يعتمد على التحليل والتعليل, مستنبطا النُّظم ومستخرجا القوانين.» لأنه رجل علم وسياسة ورؤيته العميقة للعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الحضارات تؤكدّ حاجتنا إلى تحليل التاريخ في كلّيته دون تجزئته»

«هل الوقوف على الإرث الخلدوني يأتي من اجل معرفة فكر الرجل وسرده وحفظه أم من اجل الوقوف على تجربته ومحاولته الجادة في تفكيك الخلل البنيوي للدولة في بلاد المغرب، وغيرها من البلدان الإسلامية، من أجل تمثل المنهج الذي اعتمده والذي يهيئ لمقاربة علمية، على خلاف سابقيه الذين ظلوا في دائرة النصح أو الأخلاق.»؟

على قول الكاتب المغربي «حسن أوريد في مقال له صدر ب نوفمبر2019 «ALQUDS.COM»

لابدّ من فهم المنظومة التي ظهر فيها ابن خلدون والسياق التاريخي الذي برز فيه فنحن نحتاج أن نفهم ما يجري لكي نتجاوزه، ولن نستطيع إن نفهم من دون «معرفةٍ» ومن دون «تذكر» ما سبق. على قول الشاعر الفرنسي أراغون في بيت اخذ مذهب الأمثال،»ما كان سيكون، إن نحن تذكرناه».

علينا أن نسعى إلى جعل ابن خلدون مرجعا في مناهجنا وبرامجنا التعليمية ومنظومتنا التربوية لنتمثّل فكره ومنهجه من خلال تبسيط فكره إذ من العسير أن نطلب من الناشئة أن تقرأ لوحدها «المقدمة « لنبني جيلا يفكر ويحلم لا جيل يعيش بالماضي من أجل أن يبق ابن خلدون دائما قدوة لشباب يتطلّع إلى الأمام أملا في خلق إنسانية جديدة:

- تنبني على قواعد العلم
`- تُؤمن بضرورة التواصل والحوار

وتسعي إلى الاستقرار والتفاهم بين مختلف الحضارات.

حتى لا يظلّ في طيّ النسيان في تاريخنا،.فهل يمكن أن يبرز فكر يستطيع أن يقرأ الواقع قراءة نقدية، ويفكك مواطن الخلل، في ظل الأوضاع التي تعرفها المدرسة العمومية والجامعات؟

أكيد لا يمكن لمجتمع ما أن يتطور دون فكر، ولكن الفكر ليس جهدا فرديا كم نحتاج إلى فهم وكم نحتاج إلى ابن خلدون جديد لفهم الانكسار الذي وقع.

رؤى وتأملات في شعر الشابي

وناس بن يوسف

في نشرته لموسوعة الشابي خصص المرحوم أبو القاسم محمد كرو جزءا فهرس فيه عناوين كل الدراسات والمؤلّفات التي كتبت عن الشاعر وشعره، ولم تتوقف الدراسات بل تواترت بمختلف اللغات ولم تتوقّف إلى حد الآن، آخر ما دفعت المطابع سفرا عنوانه «رؤى وتأملات في شعر الشابي» وهو عبارة عن محاضرات وأشغال الندوة الخاصة بالذكرى 80 لوفاة أبي القاسم الشابي التي انعقدت في المعهد العالي للعلوم التطبيقية في الإنسانيات بتوزر وذلك بالشراكة مع جامعة قفصة بإشراف د.المنصف الوهايبي ود.أحمد الجوة، وتقديم وتنسيق د.اليامنة عكرمي، مراجعة د.عصام عرعاري ود.اليامنة عكرمي، وقد ساهم فيها عدد من المثقفين والأدباء من الجهة ومن خارجها.

قدم لهذا العمل الدكتورة اليامنة عكرمي من جامعة قفصة ومن بين ما جاء في تقديمها قولها: «ترك الشابي أثرا بعيدا في الشعرية العربية الحديثة لا يمكن إنكاره، ومهما يكن من أمر فإن الشعر عند الشابي قوة انقلابية ينبغي أن تغنم مساحات جديدة من مناطق الوجود التي لا يشترك فيها كل الناس وأن تجازف باكتشاف المجهول، إذ صدر شعر الشابي عن منفتح الإمكان إلى رحب الوجود، ورغم مرور ما يقارب القرن على وفاة شاعر الخضراء، فإن العديد من الأسئلة تبقى حارقة خصوصا وأن الشابي قد راوح بين وظيفتين في شعره سواء المنظوم منه أو المنثور وهما الوظيفة الجمالية والوظيفة المرجعية ، وهو ما حاولنا الخوض فيه ورغم تنوع المواضيع واختلافها فإن غايتها في ذلك تخليد ذكرى الشاعر المميز الذي أخذ حيزا كبيرا في حياة الأدباء والشعراء وعامة الناس محليا وعربيا ودوليا علّنا بهذا المؤلف الجماعي نستطيع أن نفي هذا الشاعر حقه وأن نرد له الجميل لأنه أيقظ ذائقتنا الشعرية واستنفر أحاسيسنا واستثار كرامتنا وربّى في نفوسنا الإحساس بالمال وجعلها تستمتع به».

اشتمل الكتاب على تسع دراسات هي التالية:

1) «الخيال الشعري في نماذج من شعر الشابي»، د.أحمد الجوة الذي اختار دراسة الخيال الذي هو الملكة الأصلية للإنسان وبما أن الروح العربية عدّها الشابي مسؤولة عن موت هذا الخيال في الأدب العربي قام الأستاذ بدراسة تطبيقية لديوان أغاني الحياة الذي ورد مشبعا بما ليس مألوفا عند الشعراء من تعلق بالحياة وتغن واحتفاء بها.

2) «أبو القاسم الشابي بين المقاومة والرومنطيقية: هل هو شعر إدراك أم انفعال؟» د.اليامنة عكرمي، تطرقت الدكتورة إلى مظاهر الرومنطيقية في شعر الشابي وكيف وظف الشاعر عناصر الطبيعة للبوح بأحاسيسه ومشاعره بعد أن طبع شعره بإحساس الألم والتشاؤم، كما تعرضت الكاتبة في القسم الثاني إلى مفهوم المقاومة والحس الوطني في شعر الشابي.

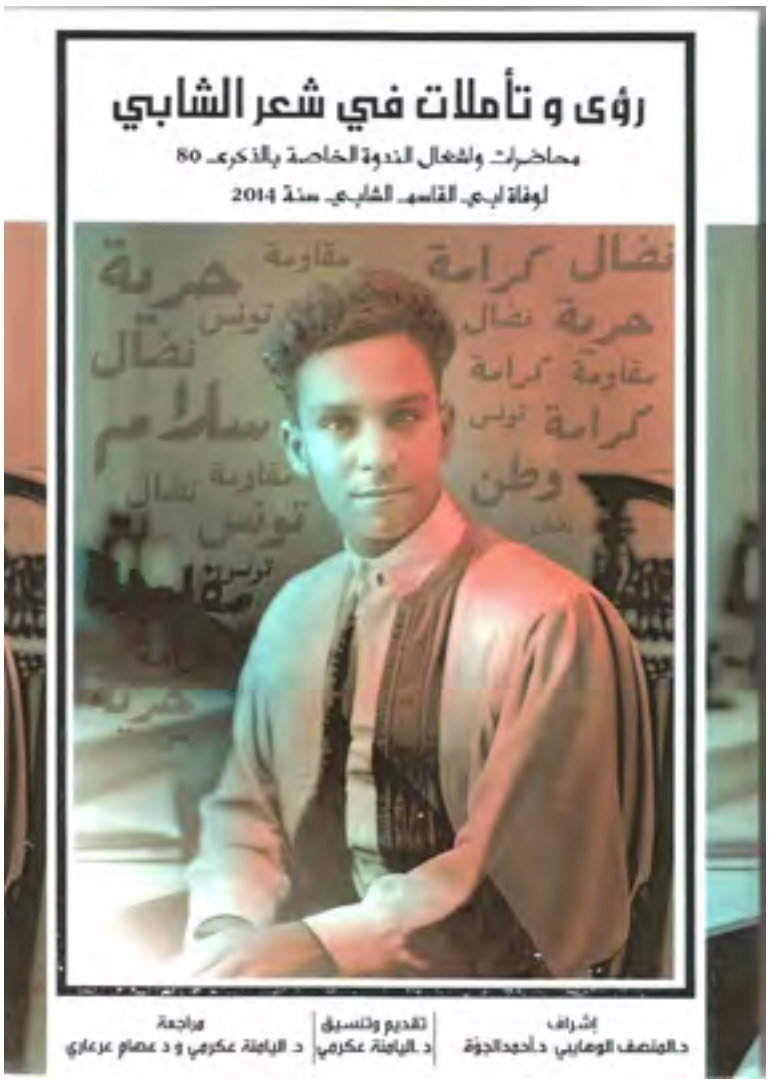

3) «الأسس النحوية والتداولية للضمني في قصيدة (يا ابن أمي) لأبي القاسم الشابي»، د.عصام عرعاري، مبينا مختلف مستويات اللغة على اعتبار أن القصيدة تنتمي إلى سلك الأدب والمنظوم تحديدا، وأثار العلاقة بين الضمني والصريح وطرح التساؤل عن الآليات التي تساعد في تحديد المقصد المطلوب والمضمّن داخل القصيدة.

4) «خصائص الكتابة الشعرية في (صفحات من كتاب الوجود- القصائد النثرية لأبي القاسم الشابي)»، د.نور الدين بالحاج، وكتاب الصفحات أشرف على إعداده وتقديمه سوف عبيد وهو في الأصل مجموعة من قصائد مستقاة من مصادر مختلفة وهي نصوص أدرجت في جدول الشعر المنثور وخلص د.نور الدين إلى أن خصائص الكتابة الشعرية في الصفحات عبارة عن بنى نمطية متحكمة في إنشاء إيقاعاته وتراكيبه وصوره.

5) «مدخل إلى شعرية الشابي: قصيدة (نشيد الجبار) نموذجا»، أحمد مباركي، تناول فيها الباحث القصيدة من حيث الإيقاع الداخلي والخارجي والوحدة العضوية، بالإضافة إلى الطابع اللغوي لهذه القصيدة نحويا وصرفيا وطبيعة الأسماء والأفعال ودلالات الحروف والمشتقات والمصادر، بالإضافة إلى تنوع المعجم في القصيدة الذي اتسم بالكونية ممّا جعل إحصاءه أمرا صعبا أو يكاد يستحيل.

6) «في تلقي شعر الشابي»، د.رضا الأبيض، وقد تناوله الباحث من حيث ظاهرة التلقي على اختلافه وتنوعه لدى المتلقي العادي أو المهتمّ أو الدارس والنقد الجامعي كما أشار إلى مكانة أبي القاسم الشابي في الجامعة التونسية.

7) «القدر في آثار الشابي بين الاعتقاد السني والانزياح الصوفي»، عبد السلام الحمدي، لم ينشأ الشاعر بمنأى عن المناخ الصوفي لأنه ينتمي إلى عائلة راسخة في التصوف ولأن المعرفة الصوفية لا تخضع لنظام السنة المعرفية السائدة بل تقدم نفسها بديلا له فإن تمثل الشابي للقدر لم يمنعه من الثورة عليه وقد ظهر هذا الانزياح بصورة واضحة في قصيدة إرادة الحياة.

8 «عودة الشابي والثورات العربية»، ناجح جغام، حيث تناول حضور الشابي في الساحات والشوارع العربية خلال سنة 2011.

9) «أبو القاسم الشابي بأقلام بلدييه»، أنس الشابي، تناول كاتب الدراسة ترجمتي إبراهيم بورقعة ومحمد الصالح المهيدي لبلديهم الشابي بالبحث والدرس ناشرا نصا للمهيدي عن الشاعر ينشر لأول مرة.

ندوة هامة وإضافة جيّدة لمكتبة الشابي صدرت عن مطبعة عبد الحميد بتوزر خلال شهر جانفي الماضي فيما يفوق 300 صفحة، ومن الجدير بالملاحظة أن مثل هذه الندوات والمؤلفات التي تصدر خارج العاصمة خصوصا في المدن الداخلية يعسر رواجها لما تتعرض له من صعوبات في التوزيع فتبقى أسيرة المخازن والترويج المحدود وحتى في معارض الكتاب فإنها لا تتوفر إلا في بعض الأحيان، ولو لم نحصل على هذا الكتاب في سفر لتوزر لما علمنا به، وهو أمر يجب أن تنكب على معالجته وزارة الثقافة والجمعيّات المهنية نشرا للكتاب التونسي وضمانا لتوزيعه في كامل أرجاء الوطن، ومما يجب أن نختم بهذا المقال عن النشر في الأطراف الذي لا يصل إلى المركز أن أطروحة محمد فريد غازي عن ابن المقفع كان من المتفق عليه أن تنشرها بيت الحكمة بعد ترجمتها إلا أن هذه الأخيرة تراجعت عن ذلك فنشرت ترجمتها في جربة في طبعة متواضعة عثر عليها كاتب هذه السطور في نهج الدباغين صدفة، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

محمودٌ العبسي علمٌ وعلَامة

زهره القاضي/ كاتبة وباحثة في اللّغة

محمود العَبسي، شاعرٌ علامةٌ. العلامةُ والعلمُ سويّانِ، شيءٌ يُنصَّب في الفلواتِ تهتدي بِهِ الضالّةُ. محمودُ علامةٌ تُنصَّبُ في مساحاتِ الشّعرِ، يُهتدى بِهِ قومٌ أعلام، عالَمينَ.

من البديهيّ المُحتّم، أنّ العلامةَ شيء من الدّليلِ، والدّليلُ وضوحٌ وبروزٌ. محمود، علامة تلتَبِسُ، تتخفّى، تتستّرُ، تحملكَ إلى شاعرٍ ثمّ تعدلُ، لتحملكَ إلى شاعرٍ آخر. قناعٌ كثيفٌ، ومحمود هو محمود، الشّعر هو الشّعرُ.

بشّار بن برد، شاعرٌ قديمٌ، علامةٌ علّامةٌ قال شعرا شاعِرا لي أغراضِ الهيبةِ من مدحٍ ورثاء وحكمةٍ، بشّار كذلكَ قال شعرا يوميّا يُناسبُ إيقاع حياتِه ومتطلّبات عصرِهِ، حتّى قيل لهُ يوما: إنّك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوتِ، قال: وماذاك؟

قال: بينما تقولُ شعرا تثيرُ به النّقع وتخلعُ به القُلوب، مثل قولِك:

إذا ما غضِبنا غضبَة مضرّيةً
هتكْنا حجابَ الشّمسِ أو تُمطرَ الدّما
إذا ما أعرنا سيّدا من قبيلةٍ
ذُرى مِنبرٍ صلّى علينا وسلّما

تقولُ:

ربابُ ربّةُ البيتِ
تَصُبّ الخلَّ في الزَّيتِ
لها عشرُ دجاجاتٍ
وديكٌ حسنُ الصّوتِ

فقال بشّار: لكلِّ وجهٌ وموضِعٌ. وجوهُ محمود هي وجوهُ التّجريب، هي الوجوهُ نفسها التي أسهب في غِمارها بشّار بن برد. ليسَ بشّار إلّا شاعرَ الحداثةِ بينَ عصرينِ، العصرِ العبّاسيّ والعصرِ الأمويّ، شاعرٌ كليّ، نبغَ في صنفين من الشّعر، شعرٍ رصينٍ وشعرٍ مألوفٍ. هذا اليوميّ الذي لم يأفل يوما، وإنّما برزَ بروزَ العلامةِ عند شاعرنا محمود العلَامة العلّامة، أتاني يوما مطلعا إيّاي شعرَهُ.

"جئتُ لأطلّ عليكَ كيف تقضّي يومكَ
كيف تُحدّثُ الجدرانَ وتطبخُ فطورَكَ
كيف تشربُ شايكَ وتغسلُ ثيابكَ
كيف تجلسُ وحيدا تحتَ صبّارة
تعدُّ ما مضى وما سيأتي"

الشّاعرُ هنا، لا يسردُ تفاصيلَ أو جزئيّات صغيرةً، وإنّما هو يخوضُ شعريّا العالمَ كُلّهُ. "ما مضى وما سيأتي" كونٌ يتمرّس فيهِ على تشرّبِ اليوميّ، وكتابته شعريّا في بناء فنّي جديدٍ ينضحُ بالحساسيّة، الحساسيّة الجديدةِ.

لا أؤمنُ بمقولةِ الجيلِ الأدبيّ، ولا أصنّف محمود شاعرا من شعراءِ ما بعدَ الحداثةِ. شعراء كثيرون غاصوا في شعريّة اليوميّ، أشعرونا بالبساطة والألفةِ لكنّ "مشرط تحت اللّسان" هو أوّل انتصار للهشاشة الإنسانيّة، وأوّل تقريض غنائيّ سعيد لرهافةِ الحسّ تجاه الكائنات من أوّل امبراطوريّة الأشياء إلى آخر عوالم الإنسان. إنّ محمود وهو يكتبُ، يقترحُ علينا آدميّة بسيطة منسجمةً وحساسيّتَهُ هوَ.

الحساسيَة الجديدةُ ليستْ حساسيّة الشّعرِ أو مساحاتِ التّجريب في الكتابة الشّعريّة، إنّ الحساسيّة الجديدة في شعر محمود هي الطّفولة والبراءة بوصفهما تحدّيا عاطفيّا للشرّ والسّلطويّة والخيانة. مسحة طفوليّة بريئة تغمرُ القصائد كلّها، تحتضنُ النصّ والقصيدَ. المِشرطُ نفسه اكتسبَ دلالة أخرى في هذا النصّ، هي دلالة الانزياح التي كستهُ طابع البراءة. شقّق المشرطُ لسان الشّاعرِ، دون جرح أو صراخ. كانت الصّرخة شعرا منبجسا، كلِما كلّما، أزهارَ شرٍّ تلتفّ بالنصّ.

"مشرطٌ تحتَ اللّسانِ" عنوانٌ لم يصل إلى تمامهِ التّركيبيّ، والتّمامُ عند العربِ قديما جملةٌ، والتّمامُ عند شاعرنا دَهشةٌ. الشّاعرُ، أربكَ العُنوان عمدا، جعلهُ موضع نقصانٍ ليبحثَ القارئ عن خلل تركيبيّ في مساحاتِ التّجريب التي بناها الشّاعرُ، مساحات تجريب قد بُنيت بدقّة عارفٍ علّامة، ففي القصيدةِ الأولى من النصّ"جدّي آخر الأنبياء" أوحت القصيدةُ بالآخرِ في أولّ النصّ. نهايةٌ وحتْف من البدءِ. أمّا القصيدة الأخيرة "وعلٌ" يقول الشّاعرُ:

في المدرسةِ/ في الصّفّ الأولّ"

نصّ في آخرِهِ، يشير إلى البدءِ الأوّل والبداياتِ الأولى. يدهشُ القارئ من لَبسٍ بين البدءِ والآخرِ، بدءِ النصّ وآخرِهِ. هو محمود، طفلٌ وَشَيخٌ وَنبيٌّ، خلط بين الأشياء، فقاد بصيرا في مجهول الأشياءِ، وأبصرَ بالشّعرِ.

بشّار بن برد، شاعر أكمه، تجاوز كمهه، وتناسى ضُعتهُ، بلغَ تمامهُ بطاقةٍ شعريّة شاعريّة، "رأى" ما لم يره غيرهُ، وأبصرَ ما لم يبصره غيرهُ. محمود، علامةٌ على بشّار، علّامة على قدمٍ وتجريبٍ، وصفَ فنعتَ، رأى فأرانا، غاص فأسهبَ.

علامةٌ موغلةٌ في بروزها هو محمود العبسي، غائصة في غمامِها هو محمود، محمود بطاقتِه الشّعريّة الضّخمةِ، شُقّ لسانُه بمشرطٍ بريء، فصرخَ في وجهِ العالَمين صرخة وعلٍ:

الهامشُ في شعري جوهرٌ
المألوف في شعري دهشةٌ
عمايَ، بصرِي وبصيرَتي
أنا علامةُ العالَمين.

المعرض الوطني للكتاب التونسي خارج أسوار العاصمة...

«ماذا لو طاف المعرض كل ولايات الجمهورية؟»

صالح سويسي

لن نبحث في أسباب عدم تنظيم الدورة الخامسة من المعرض الوطني للكتاب التونسي رغم نجاحه (على الأقل في دورته الأخيرة)، ولن نسأل إن كان تأجل أم أُلغيَ تماما، لكننا سنفتح نوافذ نحو التفكير في دعم هذه التظاهرة الوطنية وتطويرها بأفكار واقتراحات قد تُسهم في تواصله ومزيد إشعاعه وترسيخه كأحد أهم التظاهرات التي تُعنى بالكتاب التونسي وتدعم حضوره ثقافيا وتجاريا.

لا يختلف اثنان في أن المعرض الوطني للكتاب التونسي انطلق بناءً على فكرة دعم الكتاب التونسي وتكريس حضوره لدى المتلقي، وتقريب الكُتّاب التونسيين من القرّاء، وهي أهداف نبيلة وفيها الكثير من الحرص على الارتقاء بالكتاب كمُنْتَجٍ يمكن ترويجه وتسويقه بشكل أفضل مما هو عليه وبطرق تضمن تواصل عملية الإنتاج والتوزيع.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنة المعرض الوطني للكتاب التونسي بمعرض تونس الدولي للكتاب، فلكل منهما أُسُسُه وأهدافه.

وبما أنّ هذا المعرض وطنيٌ تأسيسا وأهدافا، فإنّه من المنطقي أن تكون التصوّرات التي من شأنها أن تنهض به وتطوّره وطنيّة أيضا، وطنيّة بالمعنى المفتوح لهذا الوصف أي أن تكون تونس بأكملها ضمن رؤية القائمين عليه، ليس بتشريك الجهات من خلال برمجة لقاءات مُستنسخة بكتّابها في فضاء المعرض بمدينة الثقافة بالعاصمة ولكن بأن يذهب المعرض إلى الجهات ويساهم في تقليص الهوّة بينها وبين المركز.

دورة في كل ولاية

المعرض الوطني للكتاب التونسي، بحمل خصوصيته في أهدافه، وبناءً عليه يمكن تنظيم كل دورة في ولاية من ولايات الجمهورية، على أن يتمّ التنسيق لكل دورة قبل عام كامل، على جميع المستويات انطلاقا من اختيار فضاء العرض إلى التوقيت إلى البرمجة الثقافية مرورا بالجانب التجاري الذي يجب أن يتناغم مع التوجّه العام للتظاهرة.

إنّ تنظيم المعرض خارج أسوار العاصمة سوف يؤسس للتنافس بين المندوبيات الجهوية للشؤون الثقافية، تنافس سيعود بالفائدة على المعرض كتظاهرة رسمية تنظمها وزارة الشؤون الثقافية، وعلى الكتاب التونسي ودور النشر التونسية والكُتّاب التونسيين عموما.

نناقش هنا حدثا وطنيا ضخما بعيدا عن العاصمة، وفضاءاتِ عرض خارج العاصمة وبرمجة ثقافية بِرُوحٍ جديدة ورؤية جديدة وفاعلين آخرين.

وفي هذا الخضمّ، سنجد من يسأل عن فضاءات العرض خارج العاصمة، وسوف نجيبه بأن معرض تونس الدولي للكتاب ومنذ سنوات طويلة يستأجر معرض الكرم، فما المانع من استئجار فضاءات خاصة في الجهات؟ علما أنّه وفي أغلب ولايات الجمهورية توجد "معارض دولية" يمكن استغلالها بعد التثبّت من جاهزيتها على جميع الواجهات حتى لا يحدث ما حدث لمعرض تونس الدولي للكتاب بسبب عدم صلاحية فضاء الكرم.

أما عن الإمكانيات البشرية فجميعنا نعلم ما تزخر به جهات البلاد من كفاءات في مجال الإعداد والتنظيم والتنفيذ، ومُبدعين يمكنهم إعداد برمجات ثقافية ترقى لمستويات عالمية وليس وطنية فقط، وجميعهم ينتظرون الفرصة كي يُبرزوا ما لديهم من أفكار وتصورات ورؤى تقطع مع السائد وتؤسس لتظاهرات مميّزة.

وسوف يسأل سائلهم أسئلة سخيفة من قبيل أيّة ولاية ستحتضن الدورة الأولى خارج أسوار العاصمة، وسوف نجيبه بأن المعرض متوقف ولا أحد يعلم سبب عدم تنظيمه هذا العام، ما يعني أن الفرصة متاحة الآن أمام سلطة الإشراف لفتح الباب أمام المندوبيات لتُعرب عن استعدادها للتنظيم، ومن يقدم ملفا أفضل يظفر بتنظيم الدورة المقبلة، أو أن تقوم الإدارة المعنية باقتراح ولاية بعينها في كل عام وهكذا، مع توفير كل الحوافز والتسهيلات التي من شأنها أن تجعل المسؤولين على المندوبيات الجهوية للشؤون الثقافية تتفاعل وتقدم اقتراحاتها، لا أن يتم تكبيلها بتلك القوانين البالية التي تعرقل الفعل الثقافي بل وتسعى لقتله تماما.

وقد نورد مقالة أخرى نخصصها للحديث بأكثر تفاصيل عمّا يمكن أن تتضمّنه برمجة معرض وطني للكتاب يُقام في الجهات ويراعي خصوصية كل جهة ويكرّس هويتها التاريخية والثقافية.

المعرض الوطني للكتاب التونسي ليس سوى تظاهرة من ضمن سلسلة من التظاهرات التي يمكن أن تعمل وزارة الشؤون الثقافية من خلالها على تقليص سطوة المركزية الثقافية التي ساهمت لسنوات في تهميش الفعل الثقافي في الجهات، وعليه يمكن إعادة التفكير في تنظيم أيام قرطاج الشعرية بعيدا عن أسوار العاصمة أيضا وهذا ما كنّا طرحناه سابقا وسوف نخصّه بمقال نقدم فيه رؤية شاملة لهذه التظاهرة الهامة والتي أوقفتها وزارة الإشراف دون إبداء أي تفسير..

علم التلاميذ وهم يبدعون

مسرحة دروس التاريخ والجغرافيا

هيام الفرشيشي

جرت العادة أن يخصص بعض أساتذة العربية حصصا تهتم بالمطالعة بحضور صاحب الأثر أو تحويل النص الأدبي إلى مادة ابداعية يجسدها التلاميذ من خلال مواهبهم وطاقاتهم الفنية وتمكنهم من أدوات تعبيرية مختلفة. إلا أن أساليب التعليم الحديث وايصال المعلومة من خلال عبارة " علم الأطفال وهم يلعبون" واللعب ابداع، لتصبح المقولة " علم الأطفال وهم يبدعون" ما حفز أستاذة التاريخ والجغرافيا جنان بن عياد لتقديم حصصها من خلال مسرحة الدرس وكتابة حوار مسرحي يجسده التلاميذ في المدرسة الإعدادية "العهد الجديد" بالرميلة / نابل .. ويتنزل ذلك في إطار بحث تربوي بيداغوجي بعنوان " دور المسرح في إنجاز مادتي التاريخ والجغرافيا كوسيلة بيداغوجية حديثة". اعداد الاستاذة جنان بن عياد، وتحت إشراف المتفقدة العامة ألفة محمود.

هذا المشروع التربوي الذي دعتني صاحبته لمواكبة إحدى حصصه حفزني للتنقل لمدينة نابل ومتابعة هذا المنجز... وأول ما لفت انتباهي وجود مبنى مسرحي صغير في هذه المدرسة الإعدادية. وبذلك أدركت أنه حين يكون لك مبنى جداره الرابع مفتوح للجمهور، فإن ذلك يحفز أصحاب الأذهان المتوقدة على استغلال الفضاء بالمعنى الايجابي لإنتاج مادة مسرحية يكون ابطالها التلاميذ. فيقع تمرير الرسالة التربوية عبر عروض تجمع بين الالتزام والترفيه. وعبر آداء حي بتمثيل مشاهد تاريخية تجمع بين الحقيقة والتخييل. والتحرك بين تعرجات الطبيعة مع التحكم في الحركة و ضبط الانفعالات...

في قاعة العرض حضر الإطار التربوي بالمعهد ونذكر منهم مدير المعهد السيد نزار العياشي والاساتذة: زينب بوخريص وجنان بن عياد ورفيق المجدوب. كما حضر التلاميذ وبعض الأولياء ..وكان سير العروض المسرحية هو الآتي:

ـ الموضوع الأول : دور المرأة الفلسطينية في المقاومة.

ـ الموضوع الثاني: " تأثير الحضارة العربية على الغرب".

ـ الموضوع الثالث مع "مجموعة مسرحة التاريخ والجغرافيا" إدخال المسرح كطريقة بيداغوجية تعليمية في الدرس ..إضاءة ،موسيقى ، ديكور.

وقد صرحت الأستاذة جنان بن عياد بخصوص مسرحة الدروس أنه "ليس بالأمر السهل بل يتطلب تضحيات من الأستاذ وكذلك من التلاميذ، ولكن الأكيد أن الدرس أصبح عملا مشتركا بتوجيه الأستاذ، وإبداع وخلق التلميذ، هكذا يترسخ التاريخ في ذاكرة الطفل . والنتيجة : يصبح التلميذ محبا لمادتي التاريخ والجغرافيا برؤية مختلفة جديدة ومن منظوره. فالدول تتقدم، تبني حضارتها من خلال التمحيص في تاريخها وتأقلم الإنسان مع محيطه وتطوير جغرافيته. لا وجود للإنسان خارج الزمن (التاريخ) وكذلك لا وجود للإنسان خارج المكان (الجغرافيا) ومن أسبابه : أن الدول المتقدمة هو أنها هي من تكتب تاريخها، ومن أسباب الدول الغير متقدمة. و أن تبقى في طور النمو هو أن تترك كتابة تاريخها للغير يكتبه"..

كما تم تخصيص جانب من العرض لمسرحة نصي القصصي " طائر السماء" تأطير الأستاذة الأديبة زينب بوخريص باعتبار أن القصة تتناول ارتباط جهة كركوان والهوارية بتاريخها وتأثيرها على الأحداث في الحاضر. وظهور شخصيات تهتم بالتاريخ ومعالم الماضي وتدرسه وتحاول الاستفادة من مخزونه الثري..

ضمان سير الدرس وفن الفرجة

لم يتوجه الدرس الممسرح للاشتغال على الحوار بين الشخصيات فحسب، بل اقتضى الحركة الموجهة، وبعض التعبيرات الاخرى مثل المقاطع الغنائية والرقص . كما وقع الاهتمام بالمواد الابداعية الاخرى على غرار الرسم واللوحات المشهدية وبورتريهات للشخصيات التي وقع رسمها وتقمصها من طرف التلاميذ. وغلب على النصوص المجسدة طابع المقاومة والنضال والاعتزاز بتراث الماضي التنويري، وتحويل الانتصار الى قيمة يتمثلها التلاميذ من خلال التعبيرات المبهجة ورفع أعلام تونس وفلسطين. والعبارات المرسومة على الملابس واللافتات.

وبذلك لم يخل التجسيد المسرحي لمضامين الدروس من الصراع بين البطل وذاته، وصراعه مع العدو. وهو الذي يحمل بين طياته عناصر القوة في تاريخه. وهو صراع يشحذ الاسئلة ويقوي لحظة حضور وبروز الأنا الرافضة المنتقدة المقاومة والمنتصرة.. فقد نجح النص المكتوب في بلورة الانفعالات الايجابية... ووراء هذا التجسيد الطرح الفكري لوصول الهدف من مسرحة الدرس. ومشاركته الحقيقية مع الحضور من إطارات المعهد والأولياء. كما وقع استخدام فنون عروض حديثة من خلال الراب من طرف إحدى التلاميذ "إياد ديدي" بكلمات هادفة ومعبرة ومهذبة قادرة عن التعبير عن الاحتجاج واعلاء الصوت. وبذلك « تكون امكانيات التعبير الركحي بلغة جديدة وضمان فن الفرجة ».

ذاكرة السليمانية بين الماضي والحاضر

تظاهرة مختلفة جامعة

فاخر بن سعيد

ضمن فعاليات شهر التراث أسدل الستار على تظاهرة ذاكرة السليمانية بين الماضي والحاضر، وذلك على مدى سبعة أيام من 10 ماي إلى 17 من نفس الشهر حيث تميزت هذه التظاهرة -الّتي أجمع الجميع على نجاحها واختلاف محتواها – بمداخلات حوارية، عروض افتراضية، معارض متنوعة، زيارات ميدانية، ورشات تفاعلية، موسيقى، شعر، ألعاب شعبية، رقص شعبي، و موروث غذائي... وهذه الأخيرة بالتعاون مع جمعية التراث والبيئة،جمعية بن عرفة الثقافية، جمعية مراجعات، المنظمة الوطنية التونسية لاخصائي التغذية، جمعية نكهة بلادي، الجامعة التونسية للرياضة للجميع.

كانت البداية يوم الجمعة 10 ماي 2024 بكلمات الافتتاحية للسيدة مديرة دار الثقافة السليمانية نجلاء الواد حيث رحبت بالحضور الكريم اللّذين كانوا من الكتاب والباحثين والشعراء كما شكرت كلّ المتدخلين في هذه التظاهرة من سلط محلية وجهوية... كما تحدثت عن قيمة هذا الفضاء وعراقتهِ الّذي يتجاوز 150 سنة منذ نشأته ناهيك عن التنويه بهذه المسؤولية الكبيرة في علاقة بتقريب هذا الفضاء بالأجيال الصادة الشبابية العازفة عن القرب من مثل هذه الدور، وربط الصلة بينهم وبين الثقافة التي هي الأساس، وقدمت رؤية دار الثقافة السليمانية ونشاطاته ...ثم أحيلت الكلمة إلى السيدة الدكتورة صليحة لينوبلي بعنوان « ذاكرة السليمانية بين الماضي والحاضر «التي ترأست هذا الفضاء وعن قيمته ورسالة الدكتوراه التي كتبتها عن دار الجمعيات السليمانية ..ومنها إلى الحديث عن قيمة المعمار الفني والتاريخي لهذا الفضاء لتحال الكلمة إلى بعض الحضور اللذين تحدثوا عن تجاربهم مع السليمانية ...

ثم افتتاح المعارض بمعرض الصور الفوتوغرافية للمدرسة السليمانية بالشراكة مع INSTITUT FRANCAIS ، ومعرض الطوابع البردية لجمعية التونسية للتراث والبيئة ومداخلة موسيقية للمالوف بقيادة الفنان نوفل بوراس ، بعدها مباشرة مداخلة للأستاذ علاء ب تراد «حول سبل وآليات تمرير الموروث الثقافي والتاريخي بين الأجيال بتوظيف التقنيات الحديثة. ليختتم اليوم الأول بعرض VR حول المدرسة السليمانية ومداخلة أخيرة للباحثة في علم التراث الأستاذة نادية

مديرة دار الثقافة سليمانية السيدة نجلاء تكرم رئيسة جمعية الموروث الغذائي

العاشرة صباحا بعنوان « يوم الألعاب الشعبية « من تأثيث جمعية رياضة للجميع والثلاثاء 14 ماي على الساعة 15:00 بيوم الامثال الشعبية من تأثيث نادي الأدب بجمعية بن عرفة، بحضور مجموعة من الشعراء مثل الشاعرة سونيا عبد اللطيف والشاعر سوف عبيد والشاعر عبد الرزاق بالوصيف والشاعرة زهرة الحواشي حيث تم التطرق إلى نشأة الشعر الشعبي و كبار الشعراء في هذا النوع من الكتابة ودلالات الأمثلة وحكمها الخالدة ، وورشة رسم للأمثال الشعبية التونسية التي رسمت في الذاكرة الشعبية تأطير سندس الجلاصي والأستاذة إيمان عمامي

ليكون اليوم الموالي بزيارة للمدارس الزيتونة بالمدينة العتيقة للتعرف عليها وتوثيقها في صور فوتوغرافية، ورشة رسم الأمثال الشعبية .

الجمعة 17 ماي بيوم الموروث الغذائي من تأثيث المنظمة الوطنية التونسية لاخصائي علوم التغذية وجمعية الموروث الغذائي، حيث وقع الحديث عن الموروث المادي واللامادي وتصنيف الكسكسي ضمن التراث العالمي وكيف في تونس مثلا يوجد أكثر من 100 نوع و صنف من الكسكسي وقدمت مجموعة من حرائر تونس من جهات مختلفة كيف يطبخ الكسكسي وماهية فوائده...وتدخل مجموعة من الحاضرين من معهد التراث في هذا الموضوع وعرض موسيقي بعنوان « أنتم سادتي» لجمعية أحباء سيدي الحاري للفنون.

أساطير

الشبه بين النبي داود والإله هيفست في السيطرة على الحديد

الناصر التومي - كاتب

النبي داوود في العهد القديم

ضن علينا العهد القديم عند ذكره للنبي داوود امتهانه للحدادة بشكل إعجازي كما جاء بقرآننا الكريم، رغم أن العهد القديم قد أفاض طويلا في ما قام به داوود طيلة حياته قبل النبوة وبعدها، وقبل تسلمه الملك وبعده، في محاربته لأقوام أعداء بني إسرائيل، أو فيما يتعلق بدائرته الضيقة مع الملك الإسرائيلي «شاؤول» أي « طالوت» في القرآن، الذي غار منه وخاف على ملكه منه فأراد التخلص منه، أو ما حدث له من انحرافاته وأبنائه، افتراء وبهتانا من محرري العهد القديم، وقد برأه الله في قرآنه الكريم. في قوله:

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) (ص).

النبي داود في القرآن الكريم

قال تعالى» وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11)(سبأ).

وقال تعالى أيضا: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) (الأنبياء).

جاء في قصص الأنبياء لابن كثير(1)ـ بتصرف ـ

هو داوود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عوينادب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وذكر السّدّي فيما يرويه أن داوود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه، وكانوا ثلاثة عشر ذكرا، فسمع أن طالوت ملك بني إسرائيل يحرض بني إسرائيل على قتال جالوت وجنوده، ويقول: من قتل جالوت زوجته ابنتي وأشركته في ملكي، وكان داوود يرمي بالقذافة، وهو المقلاع رميا عظيما، فبينما هو سائر مع بني إسرائيل إذ ناداه حجر أن خذني فإنك بي تقتل جالوت فأخذه، ثم حجر آخر كذلك، ثم آخر كذلك، فأخذ الثلاثة في مخلاته، فلما تواجه الصفان برز ـ جالوت ـ ودعا على نفسه، فتقدم إليه داوود فقال له ارجع فإني أكره قتلك، فقال ولكني أحب قتلك وأخذ تلك الأحجار فوضعها في القذافة ثم أدارها فصارت حجرا واحدا ثم رمى بها جالوت ففلق رأسه وفر جيشه مهزوما.

قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: كان داوود عليه السلام، قصيرا أزرق العينين، قليل الشعر، طاهر القلب ونقيه، قال وهب لما قتل داوود جالوت مال بنو إسرائيل إليه، حتى لم يكن لطالوت ذكر، وخلعوا طالوت وولوا عليهم داوود.

أعان الله داوود على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء، وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها، وقال الحسن البصري وقتادة بن الأعمش: كان الله قد ألان لداوود الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ولا إلى مطرقة، قال قتادة فكان أول من عمل الدروع من زرد، وإنما كانت قبل ذلك من صفائح، وقال ابن شوذب: كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف درهم، وثبت في الحديث» إن الطيب من أكل الرجل من كسبه، وإن نبي الله داوود كان يأكل من كسب يده.

وألان الله في يديه الحديد، حتى قيل أنه كان يتعامل مع الحديد كما كان الناس يتعاملون مع الطين والشمع، ويصنع منه الدروع و كانت الدروع الحديدة التي يصنعها صناع الدروع ثقيلة ولا تجعل المحارب حرا يتحرك ويقاتل كما يشاء، فقام داوود صناعة نوعية جديدة من الدروع، يتكون الدرع من حلقات حديدية تسمح للمحارب بحرية الحركة، وتحمي جسده من السيوف والفؤوس والخناجر، أفضل من الدروع الموجودة أيامها.

قال ابن عباس بتصرف(2):

بلغ إلى النبي داوود أن بني إسرائيل فضلوه على بقية الأنبياء، فجمعهم وقال: يا بني إسرائيل بلغني أنكم فضلتموني على آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فمهلا، إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وخصه بالحنفية السمحة، وأنزل عليه الصحف ونصره، فسكت، فقالوا نحن نحب أن تخبرنا بفضلك، فقال إن الله اتخذني نبيا وجعل قتل جالوت على يدي وأنزل علي الزبور، ثم وقع ما في قلبه ما وقع فدخل محرابه يتعبد ثم رفع طرفه إلى السماء وقال إلهي إنك فضلت آبائي وأعطيتهم كرامات، وأنا أسألك أن تخصني بكرامة كما أكرمتهم، فأوحى الله تبارك وتعالى أن أول فضيلة جعلتها لك الصوت الحسن الذي لم أعطه أحدا قبلك غير أبيك آدم، وأمرت الجبال أن تؤوب معك، وألنت لك الحديد وهديتك إلى صنعة الدروع وأمرت الملائكة أن تصطف على رأسك وتسبح معك وكذلك الطير والوحوش، وأعطيتك العافية.

رغم اطلاعنا على كامل ما جاء بسفري صموائيل الأول وصموائيل الثاني من العهد القديم، واللذين تضمنا مسيرة النبي داوود في بني إسرائيل من بداية ظهوره محاربا حتى منحه النبوة، وصراعه سواء مع أعداء بني إسرائيل أو حتى داخل الكيان نفسه، فلم نجد أثرا لكون النبي داوود قد امتهن الحدادة.

المؤكد أن أحبار بني إسرائيل وعلماؤهم يثبتون بالعهد القديم ما يعن لهم، ويهملون أحداثا لا يرون فيها فائدة، مع العلم أن التوراة الصحيحة المفقودة لا شك مختصرة فقط على أحداث من عهد آدم إلى نبوة موسى، أما ما جاء بعد وفاة النبي موسى خلال سنوات التيه الأربعين إلى سفر زكريا أي إلى قرب ميلاد المسيح، فهي من وضع الأحبار وعلماء بني إسرائيل ولا يمكن الوثوق بها، وخاصة أنهم حرفوا التوراة نفسها التي أنزلها الله في الألواح فما بالك ما يخطونه من أحداث وقعت بعد نزول التوراة وبعد وفاة موسى.

وبوصفنا مسلمين نعد ما جاء بالقرآن هو عين الحقيقة، وهو الوثيقة التي لا يأتيها الباطل، لأنها محفوظة ومؤمنة من قبل الله الذي قال في شأن القرآن « إنا أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فإننا نجزم بأن النبي داوود قد امتهن الحدادة فعلا وألان له الله الحديد لصنع الدروع.

«هيفست» إله النار والحدادة لدى الإغريق(3)

هذه الموهبة التي منحها الله للنبي داوود في إلانة معدن الحديد الشديد الصلابة، والتي لم تعط لأحد من قبله ولا من بعده، قد منحتها آلهة الإغريق لأحد أبناء «زيوس» و»هيرا» وهو الاله «هيفسيت».

ولد الإله «هيفسيت» فوق جبل الأولمب، ضعيفا أعرج، فتفاجأت أمه هيرا بسقمه ودمامته وهزاله وعيوبه، فقذفت به نحو الأرض القاصية، واستقر الوليد بعد أمد على أمواج البحر المترامي الأطراف، فاحتضنته ربتا البحر» إيقرييوتا» ابنة أوكيان العظيم، و»فيتيدا» ابنة «نيريوس» إله البحر العراف، وربتاه في كهف، فشب « هيفسيت» أعرج دميما، إلا انه كان مفتول الساعد عريض المنكبين، شديد العنق، طويل الباع، ماهرا في صناعة الحديد، فصاغ لمربيتيه الكثير من بدائع الحلي الفضية والذهبية.

كتم «هيفسيت» حقده على أمه هيرا، ثم قرر الانتقام منها لأنها نبذته من ذروة الأولمب، فصنع أريكة ذهبية خلابة الروعة وأرسلها هدية لأمه، وثارت دهشة «هيرا» للهدية البديعة، وما إن جلست هيرا حتى التفت المكابح العاتية حولها فقيدتها على الأريكة، وعبثا حاولت الآلهة مساعدتها، وأدركوا آنذاك أن « هيفسيت» وحده القادر على تخليص أمه، وانطلق «هرمز» مبعوث الآلهة لدعوة « هيفسيت « إله الحدادة، لتخليص « هيرا « من الأريكة التي كبلت حركتها، لكن إلاه الصناعة رفض، فهو لا ينسى ما سببته له أمه من فراق، ولما عجز «هرمز» انطلق « ديونيسيوس» إله الخمر لمؤازرته، فصب « لهيفسيت» كأسا من الخمرة المعتقة وتلاها بثانية وثالثة إلى أن لعبت الخمرة برأسه فتسنى ل»هرمز» و»ديونيسيوس» رفعه على جحش إلى أن بلغا به جبل الأولمب ضمن موكب عظيم، قرعت فيه الدفوف، ورقصت «الميناد» رفيقات إله الخمر، وما إن وصل الموكب جبل الأولمب حتى أسرع «هيفسيت « بتحرير والدته من أريكته.

أقام « هيفسيت» بجبل الأولمب مع زوجته الفاتنة « هارينا» ربة الجمال والتناسق، وقد تفنن في تشييد قصر له من الذهب والفضة والبرونز، وكذلك فعل مع بقية الآلهة.

هيفسيت إله النار والحدادة، الماهر اليدين،رؤوم رحيم لكن انتقامه شديد إذا غضب.

نقاط التشابه

الشبه كبير بين النبي «داوود» في الديانة السماوية والآله «هيفسيت» في الأساطير الإغريقية. فكلاهما من ذوي القوى الخارقة، وكلاهما تخصص في التعامل مع المعادن وخاصة الحديد منها، فداوود منح من الله موهبة إلانة الحديد دون بقية الأنبياء الذين قبله والذين جاؤوا من بعده، وكذلك الشأن مع الاله « هيفسيت» حيث كان الوحيد من آلهة جبل الأولمب من اختص بصناعة الحدادة، ثم إن الإغريق لم يعطوا هذه الموهبة إلا لإله، مثلما أن الله لم يمنح هذه الموهبة إلا لنبي دون بقية الأنبياء ولا البشر العاديين، وداوود و»هيفسيت» كلاهما قوي شديد المراس، وهما في الآن نفسه رؤوفان رحيمان.

لذا فالراجح أن اقتباس كهنة معابد الإغريق من قصة النبي داوود واضح فيما يخص مؤهلات الاله «هيفسيت».

1 – قصص الأنبياء لابن كثير ، باب قصة شموائيل وبدء أمر داوود من صفحة 417 إلى 422.

2 – بدء الخلق وقصص الأنبياء للكسائي، حديث داوود عليه السلاح ص326.

3 – كتاب أساطير اليونان، هيفست من صفحة 112 إلى 114.

في انتظار التتويج يوم السبت القادم بالسعفة الذهبية لمهرجان «كان» فما هو تاريخها؟

وناس بن يوسف

يوم السبت القادم يسدل الستار على فعاليات أشهر واكبر مهرجان سينمائي في العالم، مهرجان كان السينمائي ونتعرف على صاحب السعفة الذهبية لهذا العام فما هو تاريخ هذه الجائزة؟ ومن هو أول فيلم فاز بها ؟ ومن هو أول فيلم عربي نال هذه الجائزة الكبرى؟ وما هي الأفلام المتوجة بهذه الجائزة وبقت عالقة بالاذهان؟

انطلق مهرجان كان السينمائي يوم الثلاثاء 14 ماي وإنطلق السباق بمشاركة 22 فيلماً في المسابقة الرسمية، إضافة لمسابقات موازية، وسيحتدم التشويق في الأيام التالية حول اسم المخرج أو المخرجة الذي سيكون له شرف الفوز بالسعفة الذهبية باختتام النسخة الحالية في يوم 25 ماي الحالي.

هذه المنحوتة الفاتنة تسيل لعاب كبار المخرجين في العالم. فما الذي تعرفه عنها؟

ارتبط اسم هذا العرس السينمائي العالمي باسم الجائزة، أي السعفة الذهبية، التي ترمز أيضاً إلى هذه المدينة المتوسطية الواقعة جنوب فرنسا، وتحمل تاريخاً خاصاً بها، يحيلنا إلى عقود بعيدة من عمر المهرجان.

والسينما عموما رسالة، يراد لها أن تعطي رؤية مغايرة للعالم، مفادها "أن السينما هي ملاذ عالمي للتعبير والتشارك. مكان تكتب فيه إنسانيتنا بقدر ما تكتب فيه حريتنا،"

وفق ما جاء في بيان للمهرجان، الذي أطلق في 1939 كبديل لمهرجان البندقية الإيطالية التي وقعت وقتها بين أيدي الفاشيين.

لا يمكن ذكر مهرجان كان دون استحضار السعفة الذهبية. هذه المنحوتة الفاتنة التي يسيل لها لعاب أكبر المخرجين في العالم، صممت بطريقة جعلت منها تحفة مجوهرات، يعتبرها المهرجان "أعجوبة"، ويتفرغ لصنعها يدويا سبعة أشخاص من أجود الحرفيين في المجال، ويستغرقون نحو أربعين ساعة عمل في ورشة قريبة من جنيف السويسرية.

وتصاغ السعفة من الذهب عيار 18 قيراطا، يتم صبه يدويا في قالب شمع، ثم ترصع على وسادة فريدة من الكريستال على شكل ألماس

بمقاس الزمرد (أحد المقاسات المستخدمة في صناعة المجوهرات في فرنسا). وتقدم في علبة جلدية زرقاء اللون للفائز الذي يستطيع سرقة قلب لجنة تحكيم، مشكلة عادة من أبرز الممثلين والمخرجين عالميا.

وحمل هذه السعفة الكثير من المخرجين المتميزين في العالم. وكل لحظة تقدم فيها هي "فريدة وجميلة"، يقول المندوب العام للمهرجان تييري فريمو قبل أن يضيف "آمل أن تظل دائما الجائزة بهذه الجاذبية، التي تجعل صانعي الأفلام يشعرون باشتهاء مجنون نحوها".

منحت أول سعفة ذهبية في 1955 للمخرج الأمريكي ديلبير مان عن فيلمه "مارتي"، فيما اعتمد قبل هذا التاريخ أي منذ انطلاقة المهرجان في

1946 حتى 1954 ما عرف وقتها بـ"الجائزة الكبرى للمهرجان الدولي للسينما"، وكانت عبارة عن عمل لنحات معاصر مشهور، والتي عاد المنظمون لاعتمادها مؤقتا بين 1964 حتى 1974.

وفكرة السعفة الذهبية كجائزة سينمائية في هذا المهرجان، ستولد مع نهاية 1954 وبمبادرة من المندوب العام للمهرجان آنذاك روبرت فافر لوبريت، الذي دعا مجلس إدارة المهرجان العديد من تجار المجوهرات لاقتراح مشاريع سعفة ذهبية. ووقع الاختيار على تصميم جميل لمصممة المجوهرات الفرنسية لوسيان لازون.

وعند انتهاء الفترة المرحلية التي عمل فيها المنظمون بالجائزة الكبرى من 1964 إلى 1974، صارت السعفة الذهبية جائزة ثابتة للمهرجان

ابتداء من 1975 حتى الآن.

وفي بداية الثمانينيات، أدخل تغيير على الشكل الدائري للقاعدة التي تدعم السعفة تدريجيا، ليصبح هرميا في 1984. وطور المصمم الفرنسي تييري دي بوركيني في 1992 تصميم السعفة وقاعدتها التي أضحت مصنوعة من الكريستال المقطوع يدويا.

وأول مخرج فاز بالسعفة الذهبية بشكلها الحالي هو اليوناني ثيو أنجيلوبولوس بفيلمه "الخلود ويوم واحد" في نسخة 1998، إذ تم تحديث السعفة تحت رئاسة بيير فيو للمهرجان من طرف الألمانية كارولين شوفوليه الرئيسة لشركة شوبار لصناعة الساعات والمجوهرات السويسرية.

إذا كان مخرجون عالميون يتوقون لأن يتوج أحد أعمالهم السينمائية بسعفة ذهبية يوما، فهناك من زملائهم من ابتسمت لهم مسابقة مهرجان كان مرتين، وتوجد بحوزتهم سعفتان. عددهم لا يتجاوز أصابع اليدين، وتحديدا سبعة. وهم المخرج البريطاني الكبير، الذي يقارب الإنسان والإنسانية في أعماله، كين لوتش الفائز بالسعفة الذهبية الأولى في 2006 عن فيلمه "الريح ترتفع" والثانية في 2016 بفضل "أنا، دانيال بليك".

وإضافة إلى لوتش، هناك فرانسيس فورد كوبولا في 1974 و1975، الذي يشارك مجددا في هذه الدورة بفيلم ضخم هو "ميغالوبوليس"، الذي أثار الكثير من الجدل. الياباني شوي إيماموراء الدنماركي بيل أوغست، الصربي أمير كوستوريكا، البلجيكيان الأخوان جان بيير ولوك داردين، وأخيرا النمساوي مايكل هانيكي.

وتمنح إدارة مهرجان كان أيضا السعفة الذهبية الفخرية لممثلين ومخرجين تركوا بصمات واضحة في تاريخ السينما، والذين لم يسعفهم الحظ يوما أن يحظوا بهذا الشرف. ومن ضمن الوجوه المكرمة بها، الممثل هاريسون فورد، الممثلة جين فوندا، وكلينت إسيتوود، وسيكرم هذه الدورة كل من جورج لوكاس صاحب "حرب النجوم" و"إنديانا جونز"، وأسطورة الرسوم المتحركة الياباني استوديو "جيبلي"، وهي أول مجموعة تنال هذا التتويج. كما حاز المخرج المصري يوسف شاهين على سعفة ذهبية شرفية استثنائية بمناسبة اليوبيل الذهبي للمهرجان

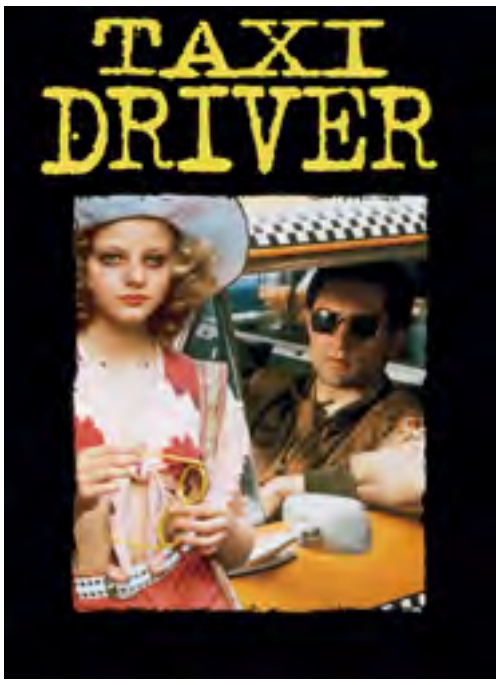

العربي الوحيد الفائز بالسعفة الذهبية لمهرجان كان الجزائري محمد لخضر حمينة بفيلمه وقائع سنين الجمر

في عام 1997 عن مجمل أعماله.

وما زال فيلم "وقائع سنوات الجمر" للمخرج الجزائري محمد الأخضر حامينا، يُعتبر "درّة العرب اليتيمة" في تاريخ مهرجان كان السينمائي الذي يعدّ من أعرق وأرقى في الاحتفاء بالفن السابع منذ انطلاقته الحقيقية في أواسط الأربعينات من القرن الماضي.

يرصد الفيلم معاناة الشعب الجزائري مع واقعه الاقتصادي والاجتماعي والطبيعي في أربعينات وخمسينات القرن الماضي قبل نضاله ضد الاستعمار الفرنسي بذلك المفهوم الدعائي الذي عودتنا عليه سينما البروباغندا السياسية رغم طابعه الملحمي وحسّه الثوري الغاضب.

نال الفيلم السعفة الذهبية لمهرجان كان عام 1975 في حدث يعدّ استثنائيا، ولم يتكرر إلى الآن مع السينما العربية رغم بعض التكريمات والجوائز الجانبية والخاصة التي حظي بها سينمائيون عرب من أمثال الراحلين، اللبناني مارون بغدادي والمصري يوسف شاهين، لكن السعفة الذهبية لم

تمنح إلا للجزائري الأخضر حامينا الذي أنجز عملا سينمائيا عدّه النقاد، آنذاك، الأضخم خارج هوليوود، خصوصا أنه صوّر في بلد لم تمر إلا سنوات قليلة على حرب تحريره التي راح ضحيتها مليون ونصف مليون من المقاتلين لأجل الاستقلال الوطني، وكذلك جاء التكريم والتتويج من بلد المستعمر، في حدث أثار الكثير من الجدل حول حقيقة توجّه الفيلم وأطروحاته الفكرية والجمالية.

صوّر فيلم "وقائع سنوات الجمر" الحياة القبلية في جبال الجزائر، في أربعينات وخمسينات القرن الماضي، والتي كانت تعيش على حياة التنقل في الصحراء والرعي، ثم لم تلبث أن تحوّلت الصحراء إلى ساحة للقتال المستميت في سبيل الماء ومن أجل نيل الحرية، ويغلب على الفيلم روح التراجيديا، حيث سادت فيه مناظر البؤس والألم، والمجازر الدموية للمئات من المواطنين.

عرض المخرج الفجيعة الاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري في تلك الفترة، وصوّر مشاهد الجفاف والبؤس، والنزاع على المياه بلغة سينمائية مرعبة في قسوتها ومقاربتها لواقع يشبه الكابوس، إذ تسيل الدماء لأجل الماء أكثر من سيل المياه نفسها، ويحس المشاهد بصعوبة الحصول على الطعام عبر صعوبة مضغ الطعام نفسه.

تقصد هذه الجحافل المغلوبة على أمرها، قبر الوليّ الصالح "لينوب عنها ويتوسّط لها عند الله لسقيها". يهاجم الإمام تزايد شرب الخمر الذي سبّب غضب الله والجفاف. هذا الواقع هو الذي ألهم كاتبا جزائريا مثل مالك بن نبي، فكرة قابلية الشعب للاستعمار.

"وقائع سنوات الجمر" فيلم يمجّد الثورة وينتهي بتفاؤل، ينتهي بطفل يجري نحو أفق مفتوح. لكن ذلك لم يشفع لحامينا، فلقد تم وقف تمويل أفلامه رغم السعفة الذهبية التي حصل عليها. ويقول نقاد إن "الرفاق في حزب جبهة التحرير الجزائرية أحبوا السعفة وخجلوا من صورة الشعب غير الاشتراكي في أفلام حامينا.. فيلم عن جزائر زراعية لا عن جزائر صناعية ثورية كما حلموا وتوهموا".

ويشار أنه بعد 76 عاما من انطلاق مهرجان كان السينمائي، لا تزال جائزة السعفة الذهبية واحدة من أعلى الجوائز في صناعة السينما، وهي جائزة تمنح لأفضل فيلم شامل، فاز بها بعض من أعظم المخرجين على مدار العقود الماضية.

وعلى الرغم من أن جائزة الأوسكار لأفضل فيلم قد تكون معروفة أكثر في العديد من البلدان، فإن قائمة الفائزين بالسعفة الذهبية متنوعة أكثر. وقد فازت بالجائزة أفلام عديدة باللغة الإنجليزية لكنها اعترفت بأفلام دولية بلغات أخرى أكثر بكثير من جائزة الأوسكار.

ويذكر انه هناك أفلام لا تنسى حصلت على جائزة السعفة الذهبية منها:

1 - سائق التاكسي-Taxi Driver

يعدّ فيلم "سائق التاكسي" من التحف الفنية في حياة مارتن سكورسيزي، حصل الفيلم على جائزة السعفة الذهبية عام 1976، ويروي قصة "ترافيس بيكل"، وهو شاب منعزل ومضطرب (يجسده روبرت دي نيرو) يعمل سائق سيارة أجرة في مدينة نيويورك، يعاني من الأرق فيطارد الشوارع ليلًا.

ينفصل الشاب ترافيس رويدا رويدا عن الواقع بينما يحلم بتنظيف

سينما

المدينة من الشخصيات التي تؤثر عليها سلبا. وعندما يلتقي العاملة الجميلة بيتسي (تلعب دورها سيبيل شيبرد)، يصبح مهووسًا بفكرة إنقاذ العالم، ويخطط أولًا لاغتيال مرشح رئاسي، ثم يوجه انتباهه نحو إنقاذ البغي إيريس (تجسدها جودي فوستر) البالغة من العمر 12 عاما.

2 - عازف البيانو-The Pianist

"عازف البيانو" من أكثر الأفلام شهرة، وقد حصل على جائزة السعفة الذهبية عام 2002. يروي الفيلم قصة مؤثرة تدور أحداثها خلال الاحتلال النازي لبولندا في الحرب العالمية الثانية.

يتتبع الفيلم عازف بيانو بولنديا من أصل يهودي يدعى فلاديسلاف زبيلمان (يمثل دوره أدريان برودي)، وهو يكيف تجاربه الواقعية في القتال من أجل البقاء على قيد الحياة في الحرب بتجنب إرساله إلى معسكر اعتقال.

الفيلم من إخراج رومان بولانسكي الذي استند إلى تجربته الخاصة في كونه طفلًا من أصول يهودية وبولندية في الأراضي التي احتلها النازيون في الحرب العالمية الثانية.

3 - القيامة الآن-Apocalypse Now

بعد نجاح أفلام "العراب"، وضع فرانسيس فورد كوبولا نصب عينيه صنع فيلم ملحمي عن حرب فيتنام، مقتبس من رواية جوزيف كونراد.

حصل الفيلم على جائزة السعفة الذهبية عام 1979، ويروي قصة الكابتن ويلارد (يجسده مارتن شين)

المخرج اليوناني ثيو انجوبولوس

في رحلة محفوفة بالمخاطر المتزايدة إلى أعلى النهر للعثور على الكولونيل كورتز (يمثل دوره مارلون براندو) الذي أصيب بالجنون لقتله.

4 - باريس، تكساس-Paris, Texas

"باريس، تكساس" فيلم مميز للمخرج الألماني ويم فيندرس، حصل على جائزة السعفة الذهبية عام 1984.

تدور أحداثه حول متشرد يدعى ترافيس (يجسده هاري دين ستانتون) يجول في الصحراء في حالة شرود؛ غير متأكد مما حدث.

يبحث ترافيس عن شقيقه (مثل دوره دين ستوكويل) وابنه (أدى دوره هانتر كارسون)، وبعد أن يجد الصبي ينطلق الاثنان في مهمة عبر الجنوب الغربي الأميركي للعثور على زوجة ترافيس المفقودة (تجسدها ناستاسجا كينسكي).

5 - الطفيلي-Parasite

أصبحت السينما الكورية

المخرج الأمريكي فرانسيس فورد كوبولا

مصدرا للإبداع على مدى السنوات الماضية، ومن أفضل إنتاجاتها فيلم "الطفيلي"، أخرجه لبونغ جون-هو الذي يصنف على أنه يجسد مدرسة الكوميديا السوداء.

حصل الفيلم على جائزة السعفة الذهبية عام 2019، ويروي قصة عائلة من الطبقة الفقيرة يتسلل أفرادها تدريجيا للعيش مع أسرة أخرى ثرية، وذلك بالتخطيط ليعمل كل فرد منهم لدى الأسرة الثرية في وظيفة ما، ومن ثم يقيمون في منزلها الفاخر.

6 - خيال رخيص-Pulp Fiction

تدور أحداث فيلم "خيال رخيص" حول اثنين من صغار المجرمين، هما جول وينفيلد (يجسده صامويل إل جاكسون) وفينسينت فيجا (يمثل دوره جون ترافولتا) يؤديان ما يطلبه منهما زعيمهما، فيستعيدان حقيبة تخصه من أحد تجار المخدرات.

كما يشرفان على تنفيذ اتفاق لخسارة أحد الملاكمين مباراة ملاكمة، ويكلف أحدهما باصطحاب

المخرج المصري يوسف شاهين

زوجة الزعيم (مثلت دورها أوما ثورمان) إلى الخارج للترفيه عنها في غيابه.

ورغم أن الملاكم بوتش (يجسده الممثل بروس ويليس) تلقى رشوة من زعيم العصابة "مارسيلوس ولاس" (قام بدوره الممثل فينغ راميس) ليخسر المباراة، فإنه غير رأيه وتغلب على خصمه، ثم قرر الفرار.

كذلك يعرض الفيلم قصة قاتلين مأجورين يسعيان لإخفاء آثار جثة شخص قُتل بالخطأ.

ونختم بأن وبموازاة المسابقة الرسمية، تمنح جوائز مختلفة في المهرجان، لكن التشويق الكبير سيظل قائماً حتى آخر نفس من عمر هذه النسخة في المهرجان حول المنافسة الرسمية، التي سيتوج مخرج واحد فيها بالسعفة الذهبية. ترى لمن تعود هذه المنحوتة الفاتنة هذه الدورة؟ الموعد مساء السبت 25 ماي لمعرفة اسم من ستبتسم له كان هذا العام.

صورة تتحدّث

قهوة بن عزالدين

بجانب باب منارة قبل تهديمه كانت تلقب : البانكة العريانة و كان تقام فيها المنتديات الفكرية قبل جماعة تحت السور " الشيخ العربي الكبادئ" والاجتماعات السريه السياسية لحزب الدستور الجديد . حكاية البانكة العريانة هي مزحة يقصها علي الدوعاجي. كان المقهى يعرف باسم قهوة الدربوز فاقترح العربي الكبادي في إحدى جلساته الأدبية مازحا أن يطلق على المقهى اسم المصرف الأدبي. فأجاب أحد الحاضرين أن اسم البانكة العريانة يعبّر أحسن عن حال مريدي المقهى المفلسين...

«ميغالوبوليس» للمخرج فرانسيس فورد كوبولا

ملحمة سحرية وصرخة لسقوط الديمقراطية الأمريكية

حظى فيلم ميغا لوبوليس» للمخرج فرانسيس فورد كوبولا الذي نال الكثير من المناقشات قبل عرضه ضمن المسابقة الرئيسية لمهرجان كان السينمائي الـ 77، بتصفيق حار لمدة 10 دقائق داخل صالة سينما جراند لوميير، ورغم ذلك، يمكن القول بأن الفيلم مليء بالخيارات الغريبة والمحيرة، وجاءت المراجعات الأولى له وهي تثير انقسامًا شديدًا بين النقاد.

يتتبع هذا المشروع العاطفي طويل الأمد للمخرج الأسطوري فرانسيس فورد كوبولا مهندسًا معماريًا مثاليًا يتمتع بالقدرة على إيقاف الزمن، بعد وقوع كارثة مدمرة تدمر مدينة متدهورة، يحاول إعادة بنائها كمدينة فاضلة، على الرغم من معارضته من قبل عمدة المدينة الفاسد الذي لا يزال قائمًا.

يقود آدم درايفر فريق عمل «ميغالوبوليس» إلى جانب جيانكارلو إسبوزيتو، وناتالي إيمانويل، وأوبري بلازا، وشيا لابوف، وجون فويت، وجيسون شوارتزمان، وتاليا شاير، وجريس فاندروال، ولورنس فيشبورن، وكاثرين هانتر، وداستن هوفمان.

يصف بيلج إيبيري من Vulture الفيلم بأنه «أكثر شيء جنونًا رأيته على الإطلاق»، ويقول عنه جيسون جوربر من AV Club بأنه «ملحمة سحرية ومتعرجة ومثيرة للجنون». ويعتقد البعض، مثل ديفيد إرليخ من IndieWire، أنه «يلهم أملًا جديدًا لمستقبل الأفلام»، في حين أن المراجعات الأخرى جاءت سلبية تمامًا، بما في ذلك واحدة من مات نجليا من Next Best Picture، الذي كتب:

صرخة مؤلمة لسقوط الديمقراطية الأمريكية، تنهار أوبرالية المدن الكبرى بالمثل تحت ثقلها.

أول فيلم للكاتب والمخرج فرانسيس فورد كوبولا منذ 13 عامًا هو صورة مبهرة لمدينة شبيهة بنيويورك حيث تهز رؤيتان متنافستان لمستقبل المدينة أسس المجتمع - كما أنها بمثابة خلفية لرومانسية متقاطعة بين النجوم.

يجلب آدم درايفر طاقة غامرة إلى دور المهندس المعماري العبقري المعذب الذي يسعى إلى صياغة مدينة فاضلة حديثة في مدينة مهددة بالمشهد الطائش والجشع المتفشي، لكن ميغالوبوليس تتعثر بسبب التآمر التعسفي والإفراط في التخدير. يمكن للمرء أن يشعر بغضب كوبولا وحزنه على انحدار أمريكا الحبيبة.

يعود المخرج الحائز على جائزة السعفة الذهبية مرتين إلى مهرجان كان، مع هذا العمل الفني الذي دام عقودًا من الزمن. هناك الكثير من الأشياء التي تعتمد على مدينة ميغالوبوليس - ليس فقط مبلغ 120 مليون دولار الذي استثمره كوبولا في هذا العمل الممول ذاتيًا، ولكن ظهوره في وقت تبدو خلاله استوديوهات هوليوود حساسة تجاه السينما المجازفة، ومن ثم فإن هذا التأرجح الفني الكبير يبدو وكأنه ارتداد مرحب به إلى عصر سابق عندما قدم المنشقون مثل كوبولا أعمالاً جريئة، ومع ذلك فإن الآفاق التجارية للفيلم لا تبدو واعدة.

تقع أحداث الفيلم في مدينة روما الجديدة في المستقبل القريب، ويلعب دور البطولة درايفر في دور سيزار، الذي يقترح إعادة بناء هذه المدينة وتحويلها إلى مجتمع اليوتوبيا.

الخصم الرئيسي لسيزار هو العمدة فرانكلين شيشرون (جيانكارلو إسبوزيتو) الذي يريد بناء كازينو. قام فرانك أيضًا بمقاضاة سيزار ذات مرة بتهمة وفاة زوجته، لكن تمت تبرئته من جريمة القتل. يمكن أن يمثل كل من سيزار وفرانك بديلاً لكوبولا نفسه، إذ يتصارعان بين العظمة والتطبيق العملي، والابتكار والعمر. يصبح الأمر واضحًا جدًا عندما يُذكر في وقت ما أن فرانك يمكنه أيضًا استخدام «فرانسيس».

عبقرية سيزار ومثاليته ومشاعره الحزينة تثير فضول ابنة العمدة جوليا (ناتالي إيمانويل) على الرغم من عداوة والدها. قصة حبهما، التي تفتقر إلى أي كيمياء ملحوظة، هي أحد خيوط الفيلم. وفي الوقت نفسه، هناك أيضًا أوبري بلازا في دور واو بلاتينيوم، وهي مراسلة تلفزيونية ماكرة وعشيقة سيزار السابقة. (جميع الأسماء رائعة جدًا، لا يمكن إنكار ذلك.) تزوجت من المصرفي المسن هاملتون كراسوس الثالث (فويت) في سعيها للحصول على المال. كلوديو حفيد كراسوس (شيا لابوف، الذي كان وجوده مؤسفًا ومشتتًا للانتباه) هو أحمق يريد القضاء على ابن عمه سيزار بسبب غيرته على جوليا. (من الواضح أيضًا أن كلوديو لديه علاقة سفاح القربى مع أخواته، التي تلعب إحداهن دور كلوي فينمان.)، ويخطط لقيادة تمرد من الطبقة الدنيا للسيطرة على روما الجديدة.

قام كوبولا بتطوير هذه المادة منذ أواخر السبعينيات، مستوحى من الإطاحة الفاشلة بالجمهورية الرومانية في عام 63 قبل الميلاد. لا يترك التعليق الصوتي المزدهر للورانس فيشبورن أي مجال للشك في أن كوبولا ينظر إلى الولايات المتحدة باعتبارها إمبراطورية رومانية حديثة تنتظر أن يتم تسويتها بسبب مذهب المتعة وانعدام الروح فيها.

ابتكر المصور السينمائي ميهاي ماليمار جونيور ومصممي الإنتاج برادلي روبين وبيث ميكل مدينة نيويورك المبهرجة الباهتة التي تجمع بين اللهجات الرومانية مع مستقبل الخيال العلمي قليلاً.

لسوء الحظ، في محاولة لتهويل هذا المجتمع غير الأخلاقي، أخطأ كوبولا في تقدير لهجته بشكل كبير، مما أدى إلى سلسلة من العروض الكارتونية. يبرئ درايفر نفسه في الغالب باعتباره حالمًا يحمل أسرارًا مظلمة ويجد نفسه مفتونًا بجوليا، على الرغم من مدى كراهيته لوالدها. لكن تم تشجيع عدد كبير جدًا من النجوم المشاركين على تضخيم شخصياتهم ذات النغمة الواحدة، الأمر الذي يجعل الأداء أعلى، وليس أحياناً أكثر جاذبية.

في الواقع، يملأ كوبولا روما الجديدة بالرموز، وليس بالأشخاص، مما يجبر الممثلين على تجسيد مفاهيم مبسطة عن الحرية، والمادية، والفوضى، والمثالية، والفن، وسيستحضر محبو المخرج الطموح في مدينة ميغالوبوليس الجنة المدمرة في روما الجديدة، ذكريات (نهاية العالم الآن).

عن سينماتوغراف

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

تتويج جديد للسينما التونسية في مهرجان عنابة للفيلم المتوسطي في الجزائر

تحصل فيلم " عقرب مجنونة" لأكرم منصر على تنويه خاص من لجنة تحكيم مهرجان عنابة للفيلم المتوسطي في مسابقة الافلام الطويلة الوثائقية.

"عقرب مجنونة" هو سيرة سينمائية لإبداعات نساء مدينة وذرف من ولاية قابس (جنوب تونس)، اللاتي ورثن صناعة المرقوم وتفنّنن فيه، تتبعتهنّ كاميرا أكرم منصر لتُقدّم إلى جمهور السينما وثيقة بصرية عن نضالات النساء وقدرتهنّ على خلق الحياة من العدم.

وانطلاقا من مدينة وذرف الواقعة شمال ولاية قابس، حيث واحة بحرية تصارع البقاء رغم التلوث، ينقل الفيلم الوثائقي الطويل واقع نساء يناضلن من وراء خيوط المنسج يوميا من طلوع الشمس إلى غروبها، ليؤسّسن مملكة ليس للرجل مكان فيها.

الوثائقي يحمل الجمهور في رحلة بين ثنايا "المرقوم الوذرفي"، وألوانه الزاهية أحيانا والقاتمة أحيانا أخرى و"رقماته" المُتشابكة التي تُصارع من أجل البقاء.

ينطلق الفيلم بتصوير امرأتين بصدد دقّ أعمدة حديدية، لتُمرّر بعد ذلك خيوط "الجداد" بينها، مع التغنّي بالرسول محمد بترديد "يا محمد يا علي" و"الصلاة على النبي"، كأنّهما يطلبان النصر من الله وهما يخوضان حربا لتأسيس مملكة، يناشدان الله فيها الستر وصلاح الحال.

ويُحاول المخرج من خلال هذا العمل نقل الحياة اليومية لصانعات المرقوم وصراعهنّ اليومي رغبة في التوفيق بين متطلبات الأعمال المنزلية من جهة ومساعدة أزواجهنّ في تأمين المصاريف العائلية من جهة أخرى، ليبرز دور المرأة في بناء الاقتصاد العائلي وتحقيق استقلاليتها المالية.

ويذكر ان أكرم منصر هو مؤلف مخرج تونسي خرّيج المعهد العالي لفنون الملتيميديا سنة 2007 تمكّن بعد تخرّجه بسنوات قليلة من إخراج فيلمه الرّوائي - الوثائقي الأوّل بعنوان "بريكة عزيانة" الذي شارك في 4 مهرجانات سينمائيّة كبرى أهمّها مهرجان الإسماعيليّة للأفلام التسجيليّة والقصيرة سنة 2012، وأطلق فيلما وثائقيا بعنوان "الطيور المهاجرة"

ادارة المهرجان الدولي لفيلم الهواة بقليبية تعلم عن موعد انطلاق الدورة 37

تعلم الجامعة التّونسيّة للسّينيمائيّين الهواة لانها تنظّم الدّورة السّابعة والثّلاثين للمهرجان الدّولي لفلم الهواة بقليبية بدعم من وزارة الشؤون الثقافية والمركز الوطني للسينما والصورة وبالتعاون مع بلدية مدينة قليبية، وذلك من 17 إلى 24 أوت 2024 بقليبية.

حفل الافتتاح بمسرح الهواء الطلق الزّين الصّافي بقليبية يوم 17 أوت القادم إبتداء من السّاعة 9:30 مساءً.

ستستقبل مدينة قليبية خلال هذه الفترة من الصّيف أكثر من 1500 محب للسينما وأكثر من 300 مخرج شاب من هواة السّينما وطلبة المعاهد المختصّة في المجال السّينمائي والمستقلّين من تونس ومن العالم وذلك لعرض آخر إنتاجاتهم السّينمائية وتبادل الخبرات والتّنافس على جوائز المهرجان.

وبهذه المناسبة، تضع الهيئة المديرة للمهرجان البرمجة التّالية لرواد المهرجان:

• عروض أفلام:

- مسابقة وطنيّة ودوليّة (لهواة السّينما والمدارس والمستقلين)
- عروض خاصّة ضمن البرنامج الرّسمي للمهرجان.
- أفلام للأطفال.

• ورشات تكوينيّة في المجال السّينمائي بتأطير المختصين في المجال من تونس ومن العالم.

• ورشات للأطفال.

• لقاءات ودروس في السّينما بحضور جامعيّين وأهل الاختصاص من تونس والعالم.

• حلقات نقاش للأفلام.

• مسابقة للصورة الفوتوغرافية والسيناريو.

أهداف المهرجان:

التّعريف بسينما الهواة وتمكين الشّباب من خوض تجربة عرض الفيلم ومناقشته والتّبادل الثّقافي مع مختلف الجنسيات المشاركة في الدّورة.

قانون المهرجان:

- المسابقة الدّولية: مسابقة مفتوحة لأفلام الهواة والأفلام المستقلّة وأفلام المدارس بمختلف أنواعها من تونس والعالم.
- المسابقة الوطنية: مسابقة مفتوحة لأفلام الهواة والمستقلين وطلبة المدارس من تونس.
- مسابقة للسّيناريو والصّورة الفتوغرافية.
- تكريمات.
- عروض خاصة.
- ندوات ولقاءات.
- مناقشة أفلام المسابقة.
- ورشات تكوينية.

جوائز المهرجان:

المسابقة الدّولية:

- الجائزة الكبرى: الصّقر الذّهبي.
- الجائزة الخاصة بلجنة التحكيم.
- أحسن فلم روائي.
- أحسن فلم وثائقي.
- أحسن فلم تحريك أو تجريبي.
- تنويهات خاصّة.

المسابقة الوطنيّة:

- الجائزة الكبرى. (2000د)
- الجائزة الخاصة بلجنة التحكيم. (1500د)
- أحسن فلم هواة \ مستقل. (1200د)
- أحسن فلم مدارس. (1200د)
- تنويهات خاصّة.

مسابقة السّيناريو:

- ثلاث جوائز. (500د)
- تنويهات خاصّة.

مسابقة التّصوير الفوتوغرافي:

- أحسن صورة. (300د)
- أحسن معرض. (نوادي الجامعة التّونسيّة للسّينمائيين الهواة) (500د)

انقسامات كبيرة في صفوف الهياكل المعنية بالقطاع السينمائي

أصدرت الجمعيات السينمائية التالية: الغرفة النقابية الوطنية لمستغلي وموزعي قطاع السينما والنقابة المستقلة للمخرجين المنتجين والجمعية التونسية للسينمائيين المستقلين والجامعة التونسية للسينمائيين الهواة والجامعة التونسية لنوادي السينما بيانا أعلنت فيه انها غير معنية بمقترح مشروع القانون المتعلق بالصناعة السينمائية التونسية والمعروض على انظار مجلس الشعب.

تأتي الجمعيات التي أصدرت بيانها كالتالي: الغرفة النقابية الوطنية لمستغلي وموزعي قطاع السينما والنقابة المستقلة للمخرجين المنتجين والجمعية التونسية للسينمائيين المستقلين والجامعة التونسية للسينمائيين الهواة والجامعة التونسية لنوادي السينما.

كما أوضحت هذه الهياكل أنها لم تفوض الي اي تشكيلة او هيكل تمثيل القطاع والتحدث نيابة عنها. ودعت في ذات السياق، السيد رئيس مجلس النواب إلى تشريكها في كل المبادرات التشريعية التي تهم قطاع السينما والسمعي البصري.

يأتي هذا الإعلان في سياق تغيرات واسعة في الصناعة السينمائية العالمية، حيث تشهد السينما التونسية محاولات للتأقلم مع التحولات التكنولوجية وتغيرات أساليب الإنتاج والتوزيع. ومع ذلك، يبدو أن الجدل حول القوانين والسياسات التي تحكم الصناعة ما زال مستمرا، وهو ما يبرز أهمية إشراك جميع الأطراف المعنية في عملية صناعة القرار.

يبقى السؤال مفتوحا حول مصير السينما التونسية في ظل عدم التفاهم الحالي، ولكن من الواضح أن التحديات تتطلب جهودا مشتركة وحوارا مستمرا بين جميع الفاعلين لضمان استمرارية نمو هذا القطاع الحيوي في تونس.

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

فيلم الرعب» Baghead» في قاعاتنا السينمائية

يعد فيلم "Baghead" تحفة سينمائية فريدة من نوعها، حيث يمزج بين الرعب والكوميديا بطريقة مثيرة ومبتكرة. يروي الفيلم قصة أربعة أصدقاء ملهمين فنياً، يقررون الهروب إلى إحدى الاكواخ النائية في الغابة لكتابة سيناريو جديد. تسودهم حالة من عدم اليقين والتشويق حينما يبدأون في تحقيق أعمال إبداعية جديدة.

تأخذ الأحداث منعطفاً غير متوقع عندما يظهر شخص يرتدي حقيبة على رأسه، ويبدأ في مطاردة الأصدقاء بطريقة غامضة ومخيفة. يتحول الكوخ الهادئ إلى مسرح لمواجهات مرعبة ومضحكة في الوقت ذاته. تنقلب حياة الشخصيات رأساً على عقب، وتنكشف العديد من الأسرار والعلاقات المعقدة بينهم.

يتميز فيلم "Baghead" بتقديم تجربة سينمائية فريدة، حيث يجمع بين الإثارة والفكاهة بشكل متقن، ويقدم نظرة عميقة على طبيعة الإبداع الفني وتأثيره على العلاقات الإنسانية. الفيلم يجعل المشاهد يتأمل في تناقضات الإبداع والرغبة في التميز مقابل خوف الفشل، وكيف يمكن للخيال أن يأخذنا في رحلة مثيرة تتنوع بين الكوميديا الفكاهية والرعب النفسي.

نجمة هوليوود" ميليسا بيريرا " المتعاطفة مع القضية الفلسطينية على شاشاتنا بفيلم الرعب " أبيغال"

فيلم "أبيغيل Abigail" هو فيلم رعب دموي مليء بالإثارة والغموض والتشويق، للمخرجَيْن "مات بيتينيللي أولبن" و"تايلر غيليت"، وكاتِبَيْ النص السينمائي "غاي بوسيك" و"ستيفن شيلدز"، الذين كانوا وراء فيلم "Ready Or Not" الذي يشبه هذا الفيلم إلى حد كبير في أجواء الرعب العامة وطريقة سرد الأحداث ورسم الشخصيات والإثارة والمَشاهد الدموية.

يقول الناقد محمد القاسمي :لقد استمتعت بمشاهدة هذا الفيلم، وإنْ كنت أفضّل الفيلم السابق أكثر بقصته المحبوكة والأداء الرائع من "سامارا ويفينغ" التي أدّت شخصية البطلة العروس. الفيلمان بشكل عام كلاهما من أفضل إنتاجات أفلام الرعب الدموية في الفترة الأخيرة، ولا يعتمدان على قالب الرعب التقليدي بالمَشاهد المفاجِئة واللقطات الغبية في الظلام والأصوات العالية، بل يعتمدان على خلق بيئة مرعبة للشخصيات أو وضع لا يُحسَد عليه، بحيث يتخيّل المُشاهِد ماذا يمكنه أن يفعل للخروج من المأزق والنجاة بحياته.

تبدأ أحداث هذا الفيلم مع أشخاص عشوائيين يقومون باختطاف راقصة باليه صغيرة تدعى "أبيغيل"، وتبلغ من العمر 12 عامًا، وهي ابنة رجل ثري ويملك نفوذًا قويًا، للمطالبة بفدية قدرها 50 مليون دولار منه لإطلاق سراحها.

الخاطفون يأخذون "أبيغيل" إلى قصر منعزل، حتى تحدث أمورٌ لم تكن في الحسبان، ويتناقص عددهم بالتدريج، فينتابهم الخوف والهلع، ويكتشفون أنهم محبوسون في ذلك القصر، والفتاة "أبيغيل" التي اختطفوها ليست فتاة عاديّة على الإطلاق.

مدة الفيلم ساعة و49 دقيقة، وهي مثالية لحبكته وأحداثه، والمستوى الفني للفيلم متميز من ناحية التصوير والمونتاج، والموسيقى التصويرية كانت منسجمة كثيرًا مع أجواء الفيلم، وعزّزت عناصر الرعب والإثارة والغموض، مع الاستعانة بالمقطع الشهير من الباليه الروسي "بحيرة البجع" للموسيقار العظيم "تشايكوفسكي".

أبدع الممثلون في أداء شخصياتهم، وأبرزهم: "ميليسا باريرا" و"دان ستيفنز" مع "جيانكارلو إسبوزيتو"، والواعدة "أليشا وير" بشخصية "أبيغيل"، والممثل "أنغوس كلاود" الذي توفي بعد انتهاء تصوير الفيلم، وتم إهداء الفيلم إليه في تتر النهاية.

الجدير بالذكر أن "ميليسا باريرا" هي من الممثلات القلّة في هوليوود المتضامنات مع غزة، ومنذ بداية أحداث 6 أكتوبر خصّصت حساباتها في مواقع التواصل الاجتماعي بمنشورات تدين الاحتلال الصهيوني وجرائمه البشعة، وقد تعرّضت للكثير من الضغوطات من قبَل شركات الإنتاج لدرجة أنها طُرِدت من فيلمها القادم "Scream 7"، ولكنها لم تكترث لكل ذلك، وظلّت صامدة في موقفها لصالح أهلنا في غزة، وممثلة شجاعة مثلها تستحق التقدير والاحترام.

أحمد ابن الراحل فاروق الفيشاوي على شاشاتنا السينمائية

ينافس فيلم "بنقدر ظروفك" بقوة في دور العرض السينمائي في مصر وفي بقية دور السينما العربية، كونه عملا فنيا يعتمد على كوميديا الموقف ويحتوي مضمونه على قصص درامية متنوعة في إطار لايت كوميدي قادر على جذب الجمهور لمشاهدته والاستمتاع بقضاء وقت ممتع في دور العرض السينمائي، بالإضافة إلى كونه يتناسب مع جميع الفئات العمرية المختلفة سواء من الأطفال أو الكبار.

ويقول الناقد هاني صابر تدور قصة الفيلم حول تساؤل مضمونه: هل يصمد الحب في قلبي حسن وملك اللذان يعيشان في حارة فقيرة يتغذى أهلها على رجول وهياكل الفراخ، ويشترون المواد التموينية بالثمن والربع كيلو، وحين يقررون الخروج في مشوار يدفعون 2 جنيه مقابل رشة البرفان؟ وتشتري بناتها كريمات التجميل بمعلقة الايسكريم؟! فهل يصمد الحب في هذه الأجواء أم تطيح به مصاعب الحياة وتقلباتها ومؤامرات البشر؟.

وأكد سمير النيل مؤلف فيلم "بنقدر ظروفك"، أن فيلم "بنقدر ظروفك" يعكس هموم الطبقة الفقيرة داخل المجتمع، وأيضاً الطبقة المتوسطة التي كانت "مستورة" وتواجه حالياً صعوبة في توفير المتطلبات الأساسية بسبب غلاء الأسعار والطمع والجشع، والظروف الاقتصادية التي تعصف بالعالم كله جراء تداعيات كورونا وما تبعه من أزمات عالمية وإقليمية مثل الحرب الروسية الأوكرانية.وقال سمير، إنه أراد أن يقول للتجار وأصحاب المصانع والمستوردين أن هناك أرزقية يقبضون أجورهم باليومية، ويجب مراعاة دخلهم المحدود، بافتتاح خطوط إنتاج تراعي ظروفهم ودخلهم المحدود.وأضاف، أن بداية الفيلم تتضمن رسالة تقول "تنظر إليهم فتراهم فقراء، وحين تجلس بينهم وتتحدث إليهم تحس بالثراء، كأنهم نغمة من دقات قلب الكون نفسه، يهزمون الموت لأنهم لا يسرفون في الحياة".

ويقول أيمن مكرم مخرج فيلم "بنقدر ظروفك":ان "فكرة الفيلم عجبتني لما اتبعتلي السيناريو، وكوميديا العمل اجتماعية محببة بالنسبالي، وينتمي لنوعية لايت كوميدي وبطولة جماعية وقدرنا نشكل مجموعة كويسة كفريق عمل وساعد على ده أن أدوار الفيلم كلها قوية ومفيش شخصية طاغية على الأخرى، وكلها أدوار لها مضمونها والمادة اللي بتضحك بيها والفيلم يساعدك تجيب ممثلين كتير وفكرة الفيلم طريفة هتشد الناس ليها".

ويذكر ان فيلم "بنقدر ظروفك"يخوض بطولته النجوم أحمد الفيشاوي ومي سليم ونسرين طافش ومحمود حافظ ومحمد محمود وعارفة عبدالرسول وإبرام سمير وطاهر أبو ليلة، ويوسف وائل نور ويوسف الأسدي، ومن إنتاج شركة كولومبيا للإنتاج الفني، ومن تأليف سمير النيل وإخراج أيمن مكرم.

رحلة البحث عن الذات «داخل المكان» في تجربة الفنانة أمل ميساوي

عفاف القابسي، باحثة في نظريات الإبداع

إن العمل الفني يستمد قوانينه من قوانين الفنان وآلية عمله وهو انعكاس لهذه المنظومة النابضة بالانفعال والتفاعل الوجداني مع الصورة المتشكلة مع الواقع الحسّي، وهنا استطاعت الفنانة التشكيلية أمل ميساوي أن تدخل غمار تجربة فنية متفردة من خلال قدرتها على المرونة والطلاقة في الارتجال والحنكة في توجيه دفة مشهدياتها الذاكرتية النابعة من قوة هائلة تربطها بالمكان، ليقع ترجمتها في شكل مضامين وصور وتعبيرات تظم البعد الوجداني، كذلك الجوانب والقضايا الشخصية والإنسانية التي تبنتها المبدعة أمل ميساوي في جل لوحاتها الفنية التي جاءت مناديه إلى الانعتاق عن كل تلك القواعد الموغلة في اتباع مسار هندسي وقواعد فنية ثابتة، لتتوجه نحو تحرير هذه الثوابت وترسم مداراتها الذاتية المتشكلة في تمظهرات إبداعية لتذهب إلى اللامرئى واللامكشوف في الصورة وتحاول جاهدة التنقيب عن الحقائق الخفية واستدعائها في صورة نهائية تثير المتلقي فتتفاعل حواسه، لقد وجدت الميساوي مادتها الحقيقية في الانطلاق نحو اختراق عمق المكان لتجوب في جوانب العملية الإبداعية الأصيلة التي ترتقى إلى استدعاء المخيلة بكل ما فيها من صور متشكلة مستقاة من الهوية والتراث المحلي، المتأصل في كيانها الوجداني من خلال ارتباطها بأصولها ومسقط رأسها مدينة الشابة، لتأخذنا معها في رحلة هي الحقيقة ارتحال من خلال أمتعتها الفكرية والحسية، التي تمكنت من خلالها من ملامسة الواقع المرئي بما يزخر فيه من مخزون ثقافي وأنثروبولوجي عالي ممتلئ بالخرافات والأساطير المتوغلة في الذاكرة الجماعية إلى أن تطفو على فضاء المحمل من خلال جملة الاسقاطات الفكرية التي عبرت عنها الفنانة من خلال مفردات ورموز دالة عن عالم انفتح على عوالم سرمدية حلمية، إنها واقع الفن السريالي حيث احتضنت المبدعة من خلال توسلها الأداة والتقنية في العبور صوب إعلاء الفكرة التي سكنت في جوانيتها واندلعت في جانب لاشعوري، جعلت جل أعمالها الفنية تخرج من إطار مغلق إلى فضاءات لامتناهية حافلة بحضور المادة اللونية والحركة الأدائية المرتجلة والخفيفة تارة والمندفعة تارة أخرى بإنسيابية غير مألوفة عبرت عما يلوج في باطنها الذهني والنفسي المتعلق بملامسة عمق المكان بنبش فيه في عملية حفر حثيثة هي عن اركيولوجيا كشفت من خلاله الفنانة أمل ميساوي عن انكشاف أجواء حميمية وتواشج عميق داخل روح المكان، الذي أسكنت فيه ذاتها التواقة للنجاة من أسر المألوف إنها منادات حقيقية من خلال معلم برج خديجة، التي ربطت به علاقة تواصل وامتداد الى أن تصبح هي عبارة عن حكواتي يسرد حكاية مكان وذاكرة بأن يصبح الماضي حاضرا في وجدان الملتقى.

انها حقيقة تداعيات تشكيلية انعكست في مرايا عبرت عن فيض المعنى الذي انهمر كوابل من الأبعاد الجمالية تنتهى إلى معانقة الجمهور الذي وجد نفسه مع صورة المكان الذي ربطته بالأصل والانتماء والذاكرة.

وهنا تفطنت الفنانة أمل ميساوي بأن تدعو المشاهد لتثبيت النص من خلال استنطاق المسكوت عنه، والعبور إلى ممرات فن التأويل وهذا ما نشاهده من خلال البناء اللوني والتركيبي الموزع بطريقة شبه فوضوية، هي مدعات لفكر نقدي، يبحث عن الحقائق المبعثرة لتنظيمها وحبكها في نص مكتمل تولد الدقة والنظام الفكري المنهج الذي ولد نصوص غزيرة تزعزع

ثبات الفكر نحو شحنه بطاقة ذهنية تستدعى المتلقي للمشاركة في تبادل التأثير الانفعالي والوجداني وتوليد المعاني التي تكون قد خرجت من سباتها نحو الثورة الذهنية وتوليد شرارة الحراك التأويلي بإثراء النص ومده بالروح ليحضر فعل السكن ليجمع بين المكان والفضاء. في هذا السياق يقول هايدجر « يتضمن فعل السكن تميز الفضاء عن المكان من حيث أن الأول لا ينفصل عن فعل الإبداع الذي ينتجه، وأن الثاني هو مجال مادي للأشياء وبأن الأمكنة تستمد ماديتها من المحلات من المكان»

هنا حولت الفنانة وجهت المكان ودلالته المادية إلى فضاء ابداعي خلخلت فيه العالم الخارجي بأن أزالت من نظمه نحو الولوج إلى الجوهر. هنا تمدنا الميساوي بتقديم اغراءات حسية وبصرية، تورط فيها المشاهد إلى قراءتها بطرق مختلفة تبنى خطابات فلسفية نقدية تثري الساحة الثقافية الفكرية، فالفنانة انطلقت من واقع لبناء واقع جديد في إعادة تشكيل صور جديدة انبثقت من عالمها الحسي، يقول كاندنسكي» التمثل الحيزي أو المكاني يعتبر من أهم خاصيات فن الرسم إذ أن هذا الأخير يقلص الأبعاد الثلاثة للفضاء إلى بعد واحد وهو السطح، هذا الانحصار في السطح يمثل انعكاسا حتميا للجوانية الروحانية فلا يترك للمادة

حيازة الامتداد الكلي ويقلص من أبعادها وهنا يبرز إبداع الروح في تفسير الأشكال الخارجية التي تعكسها داخل اللوحة الفنية، فيكون فن الإمتاع لا في الأشكال والصور في حد ذاتها بل في رسم الصورة من خلال تنظيم حيزي وكلي يعتمد السطح.»

إن ما قامت به الفنانة أمل ميساوي من إعلاء فكرة الامتداد الروحاني، اللامتناهي للمكان وللأشياء المادية في محاولة جادة لترويضها داخل أعمالها الفنية لتكون الصورة الخارجية هي مجرد تعله لأجل تشكل صورة جديدة من خلال إعادة تنظيمها في فضاء ثنائي الأبعاد انتهج روح وعاطفة ووجدان الفنانة لتصور من خلاله عالما صامتا ينطق بحقائق جديدة ومتجددة نابضة بعمق المكان.

إنه حقيقة الخلق ونحت لاواعي في الصورة في ارتباطها وانتشارها في الفضاء الإبداعي حيث تتشكل في صور نابعة بمعاني نفسية وفكرية راقية تزيد في مزيد تمركز الفنانة داخل الوجود لتعلى بأعمالها ملامح جديدة للتجربة الإنسانية التي تنطلق من ذات المبدع، يقول شاكر عبد الحميد» لا يتحدد الإبداع بمجرد مهارة. انه اتجاه يظهر العمق عبر الإحساس يتجه إلى عمق الأشياء عبر قوة نظر الفنان وإحساسه، فالفنان لا يكتفى بالمهارة. ان التمعن في الأشياء زمنا طويلا ينضج إحساسه ويهبه فهما أعمق.» وهذا فعلا ما قامت به الفنانة أمل ميساوي عندما استحضرت الأشياء عبر انتمائها إلى ذاكرة المكان لتكتشف ما غاب في الأشياء عبر الأشياء، وهنا تتعالى قواها الإبداعية عبر عمق النظر في الكنوز الخفية في ما يهبه العالم من صور قامت باستنهاضها في اعلاء الهرم الروحي الذي يدرك السماء، حقيقة لقد عانقت الفنانة عوالم تخيلية نبعث من عمق الواقع.

على هامش معرض « عوالم - فنون» بصالون الرواق :

لوحات من ارهاصات الروح وفنطازيا الأنامل الساحرة

جلال باباي - شاعر وناقد

هي عديدة الأعمال الفنية التي أثثت زوايا الرواق بمدينة سوسة جوهرة عبر المعرض الجماعي:» عوالم - فنون « ، الذي افتتح يوم 4 ماي وتواصل إلى غاية 20 ماي الحالي،وعبر تجوالنا من ركن إلى آخر شدّتنا إليها لوحات الرسامين فائقة الجمال مختلفة التقنيات والمحامل، فارتأينا اختيار البعض منها والإقتراب بعين المتأمل الناقد بالكتابة عنها وقراءتها في شكل برقيات.

الفنان: محمود عمامو:
استرجاع خبرة سنين من العطاء

في محاولة أولى لاقتناص فحوى ما تحمله لوحات الفنان الأكاديمي محمود عمامو في المعرض تتماهى إلى أبصارنا إيقاعات سمعية تتلخص في همسات الفرشاة التي تلاعب ببياض القماشة لتحوي بؤبؤها ثم تنفلت أنامل الفنان تارة أعلى اللوحة فتترائى في شكل ذبذبات من فرط صهيل قد دبّ قاب قوسين أو أدنى خلف ركض الفرسان ضدّ التيار فتستوي أعمال الفنان محمود عمامو أقرب إلى إنتفاضة وجدانية تقرع الصمت والسكون وتخلخل أركان الخنوع ، تشدّك الألوان النارية إليها شدًا قويًا حتى تتشبّع الروح بإرهاصات وأحاسيس التحدي والتمرّد على السائد..فكانّ ما تدوّنه أنامل الرسام دعوة إلى اقتحام عوالم مجهولة غير مرئية ليحوّلها باقتدار إلى حالات ملموسة من الإنبهار والدهشة معتمدا مادة الأكريليك التي تثير لمستها فتنة غير معهودة.

الفنانة والشاعرة الكندية : هيلان غيلمت Guillemet

من الوافدات العاشقات لعطر تونس الشجيّ الذي جلبها لتغمّس ماء

فرشاتها بالشاعرية وتنجلي أعمالها ذات رومانسية عالية حتى تستقيم الفكرة منقوشة على المحامل بشتى احجامها انعكاس لفن الروح كما افصحت به الفنانة « غيلمت « معتبرة ما ترسمه من حراك الإيقاع اليومي و الضوء الباهر الذي يتجلى طازجا فوق وجوه النسوة يبقى مدعاة لتناول قسماتهنّ بشكل مختلف عن التعامل الكلاسيكي للبورتريه فزادته الرسامة بشاعريتها وبصمتها المخصوصة بهارات تزيدك تعلقا بما حوت تلك اللوحات

الفنانة عربية عباسي
شفافية لمسة أنثوية وانسياب مميّز للألوان الباردة

كم يلزمني من الوقت لأحتكم إلى قاموس اللغة واكتب ما تيسّر من انطباعات متسارعة لتلك الأحلام المنتشرة على جنبات القماشة نحتتها عن وعي وإحساس رفيع المستوى الرسامة : عربية عباسي واستطاعت عبر لوحتها « انسياب» أن توزّع حجم الحلم المقيم

داخلنا بجرعات مدروسة على كامل واجهة محمل الأكريليك ليملأ انتظاراتنا بالتامل الجميل والضياع اللذيذ.

الفوتوغرافي علي حسياوي
قناص متمرّس للحظة الفريدة

حقيقة يمكن الإفصاح بأن الفنان : علي حسياوي ،قد أجهد نفسه في انتظار الحظة المناسبة حتى ينجح في اقتناص الثانية الاولى لميلاد الحركة الإبداعية للصورة الذي أراد افتكاكها منذ تجليها داخل صندوق الرؤية ثم يتفرّغ في الإشتغال على توزيع جرعة الضوء والظل على واجهة الورقة التي استنطقها المصور الفوتوغرافي لتتحول نبضات حيّة مكتنزة بالحراك فهرعت بحكم رغبة دفينة في حب الإطلاع إلى الصورة الفوتوغرافية بحجم فتنتها لتنطق باسرارها واشعاعات دوران ليلي مخاتل للعين فخلتها لوحة زيتية من وحي الفنان استقاها من نبضات أصابعه الدافئة.

الفنان التشكيلي الجزائري «لزهر حكار» :

تأصيل ذاكرة بين الجزائر وسيدي بوسعيد التونسية

أكابر شلبي - رسامة وباحثة

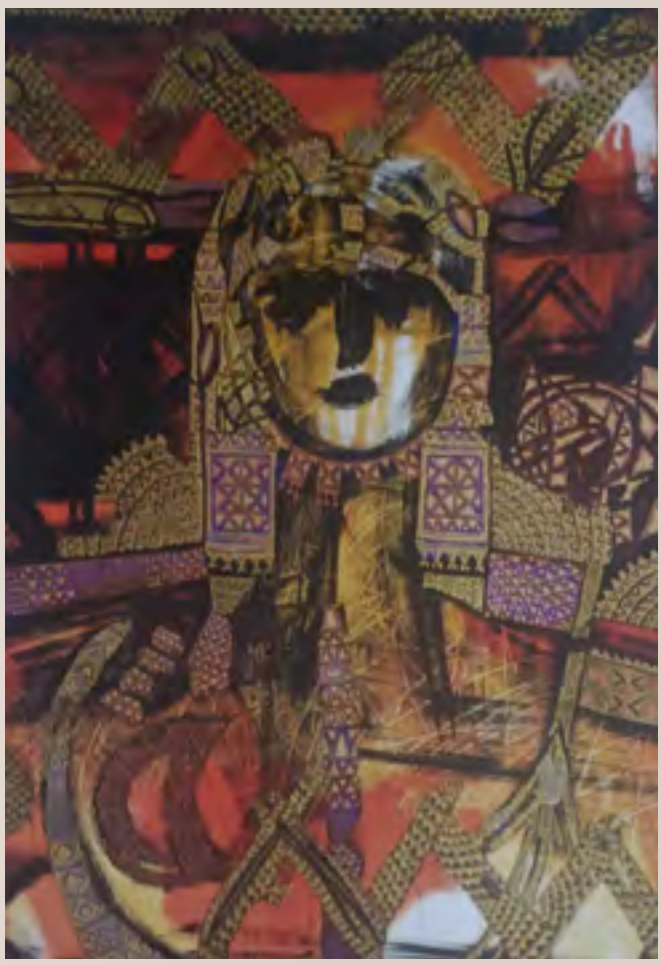

الكتابة اليوم عن لزهر حكار دعوة ليس فقط للنبش في ذاكرة الفن التشكيلي الجزائري المعاصر وإنما أيضا للنظر في هذه الذاكرة في خصوبتها وتنوعها بل تأمل في جرأتها وثرائها. وفننا اليوم الذي يشكل منطلقا لمقالنا يفتح بالضرورة أفق انتظار معينة، مرتبطة بتجربة تشكيلية مخضرمة يمكن اعتبارها حالة وازنة لها تفردها في المشهد التشكيلي المغاربي، فقد قدم طوال عقود ممارسات بصرية ساهمت في إغنائه وتطويره فكريا وتجريبيا مع حرصه الدءوب على البناء المسئول. وقد يكون أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ الفطن في هذا المقام، من هو لزهر حكار وماهية مساهمته الفكرية في تصحيح التشكيل خاصة وأن ما قدمه هو انفلات من المعهود من أجل تشييد بناء ممنهج؟...

الفقيد لزهر حكار هو فنان تشكيلي جزائري ولد سنة 1945 بمدينته الأم خنشلة في الشرق الشمالي الجزائري وتوفي سنة 2013 بمنزله المقام بالجزائر العاصمة قرب البريد ذاك العلامة الدالة على بقايا الاستعمار الفرنسي . لقد احتل التاريخ منزلة مهمة في حقل تجارب حكار ولا سيما وأنه المستودع الرئيسي لجميع تصوراته التشكيلية التي شهدت ولادتها أحقابا زمنية منذ نعومة أضافره، واقصد هنا طفولته المبطنة بخفايا الاستعمار الذي كان شاهدا على مخلفاته الاجتماعية واللاّإنسانية. لنقول أن التاريخ كان ومازال الملمح الرئيسي لما وقع وما سيقع ، وبهذه العلامة القائمة بين ما نسميه حاضرا وما يكتنفه الماضي من تحولات وصراعات حول ممارسات حكار التشكيلية وبمناسبة شهر التراث الثقافي وتحت شعار «التراث الثقافي وإدارة المخاطر في ظل الأزمات والكوارث الطبيعية» وبمبادرة من الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ووزارة الثقافة والفنون الجزائرية ينظم المتحف العمومي الوطني للفنون الجميلة معرض استذكاري للفنان الراحل «لزهر حكار» .

سأعود بداية على سيرته الذاتية حيث التحق سنة 1963 بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالعاصمة كما يمكن القول أنه أقام العديد من المعارض بالجزائر والخارج منذ سنة 1972 وقبل أن يتفرغ للرسم شغل منصب رئيس مصلحة الإبداع في مؤسسة عمومية للنسيج. ومن بين معارضه الشخصية أذكر أروقة إيناب الجزائر سنة 1972 ومتحف الفنون الشرقية بروسيا موسكو 1986. أروقة سقيفة الجزائر 1991 كذلك أروقة إسما الجزائر 1992 كما شارك أيضا بمعارض جماعية منها ملتقى الرسامين العرب تونس سنة 1974 ومعرض الهواء الطلق صوفيا بلغاريا 1978 والقائمة تطول ....بدءا لا أرى لزهر حكا ر وأنا أتابع سيرته الذاتية ومسيرته الإبداعية إلا فنان إنسان ينسج تشكيليا وقائع جاعلا من التاريخ حكايته الراهنة ويتحمص ذاكرته في الذات وفي الكيان وفي المجتمع وفي التاريخ. فلا شك أن متأمل أعماله التشكيلية والإبداعية في أن هذا الفنان يحمل خلفية معرفية متنوعة في إختصاصه أولا ، وأن ما يرسمه هو صدى لشتى تجاربه وقراءاته وعلاقاته الإنسانية المنفتحة.

فنون تشكيلية

ومن أهم الحقبات التي ارتأيت الحديث عنها هي تلك العشرية السوداء التي كانت شقاوة لخلفية إرهابية تمشي بلا بوصلة بل كانت مرساة قاحلة في التاريخ الجزائري . حيث صار كل يعيش حسب موقعه زمن الإرهاب والتهريب بل الإجرام والاغتيال. الأمر الذي أدى بالعديد والعديد من المفكرين والمبدعين والفنانين الجزائريين إلى مغادرة البلاد واختيار الهجرة ملجأ للحياة فكانت وجهة رسامنا لزهر حكار تونس وعلى حد قول ابنته نوال حكار انه سافر إلى تونس أواخر الثمانينات بداية التسعينات ليظل فيها عشرة سنوات كاملة. حيث استقر بمدينة سيدي بوسعيد بالعاصمة تونس ومن هنا تنطلق حياته الجديدة بموطن جديد بعلاقات إنسانية جديدة بحكايات تونسية مفعمة بالحب والسلام

وسيدي بوسعيد هي مدينتنا الزرقاء المفعمة ببياض قلوب سكانها بل تقول الفنانة التشكيلية التونسية مريم التريكي محدثتي عن هذه الفترة أن أول لقاء كان لهاء بأعمال حكار هي قاعة عرض الشريف بالعاصمة تونس حيث أنها تعلقت روحها بأسلوبه فخرا و إعجابا إلى أن تلاقت به شخصيا بأحد قاعات العرض بالعاصمة ليكون صديقا لها ولوالدها المرحوم منصف التريكي بل تقول أن أول من شجعها على الرسم إلى أن أصبحت رسامة تقتاد بتجاربه. لم تتوقف علاقات حكار حد شخوص بعينها وإنما نمت لتنفتح على عدة فنانين تشكيلين تونسين اذكر الفنان التتشكيلي الفقيد محمود السهيلي وعلامتنا الفقيد إبراهيم الضحاك والتمام شمل هذه الشخصيات آن ذاك كان محل عبد الرزاق بوخبزة لبيع الزرابي بسيدي بوسعيد بل إنه محل على ضيق مساحته كان شاسعا لاستقبال العديد من الفنانين وغير الفنانين ومن أهم علاقات عبد الرزاق بوخبزة الفنية كانت مع الفنان رشيد القريشي حتى انه ساعده على زيارة مدينة جربة وإنجاز عمل على الخوابي الطينية وهي لازالت إلى اليوم شاهدة على هذه الذاكرة. لا أخفيكم قارئا أني كنت متوجسة رهبة ووقار لتجربة فناننا لزهر حكار الذي وصل الواقع التونسي برسوماته وأيقوناته التشكيلية حين يمزجها بروح جزائرية صرفة ، فالمتأمل بأعمال حكار سيحاصره التاريخ بمفرداته ولا يجد منه مفرا إلا التأمل والبحث في سبل التشكيل التي يقتفيها فناننا تجريبيا، فلا هي رسومات لوقائع بالمعنى المحاكاتي ولا هي تخيل مجنّح. هي في صميم الواقع المعيش تحايثه وتندّ عنه لتقوله في شكل إبداعي. إنها تجعل منا نستأنس بقراءة صاحبها علنا نستشف تجاربه الحياتية. فهو المتقن للتخفي بل نساج في لا شعور المادة الذي يبديها طوعا منه تجاربه المتكررة التي ستتحول على لسان قارئ أعماله إلى تأريخ متكلم. فعند مشاهدتي لبعض لوحاته تيقنت أن حكار يروي بالرسم لنا حكايات وحوادث البلاد والعباد في تصورات رامزة. بل هو المتشبث بأصوله الأمازيغية الموشومة على تجاعيد نساء خنشلة وعلى وجوه رجالاتها. بل يبحث عن ملاذ وخلاص يسترجع من خلاله ذاكرته الأولى . عينه ثاقبة متوجسة لكل تفاصيل الحياة اعتقد انه المتأمل الشديد للأزقة والأبواب والشبابيك فهو لا ينطق عن الهوى وعين المبدع تستقي اليومي طوقا إلى التحرر من أسر سوداوية الماضي، ليلبس حاضره لبوس الفنان التشكيلي المغامر والباحث اللدود للمادة. وإنشاء أسلوبه المتفرد بعيدا عن رواسم المعتاد والمتعارف عليه. وبين هذا وذاك يطل علينا لزهر حكار بصفة التشكيلي المتمرد على ذاته، مغامرا

في حكاياته التشكيلية وفي بناء ملامح شخوصه بصور ظليّة ، حيث يتلاعب بنا كما يشاء بحيل تقنية يستعصى علينا تفكيك رموزها هو بها أدرى ونحن له مؤولون. يقيم لزهر حكار صرحه التشكيلي منفلتا من أسار القواعد . يستريح على عتبة المادة ويطلق عقله ويداه وحسه المرهف عنان التجريب. يحفر في خفايا المادة المنسية ويعيد مجدها وقد أتلفته بلادة بني عصره. فما كانت المادة والتجريب سلسة إلا عند عاشقها حكار ، هو يلاينها ويصبّ فيها جام لذته حتى تكون منه وإليه. يجترحها ويفتح مساماتها لينتج لوحات بوجد ووجدان وجودي ميتافيزيقي. بهذه الطريقة رسم حكار وتمرّس المادة. ليقول لنا أن تصوراته التشكيلية نابعة من إستكانه لورشته ساعات وأيام وليال طوال ليبين لنا أننا أمام باحث تشكيلي لا يخشى التجريب يجمع بين ما تحفظه الذاكرة وما يصنعه عقله حين يرسم. فهو يحمل مفارقة بين التخيلي والواقعي لتغدو رسوماته إعادة تركيب عناصر العالم وأشيائه

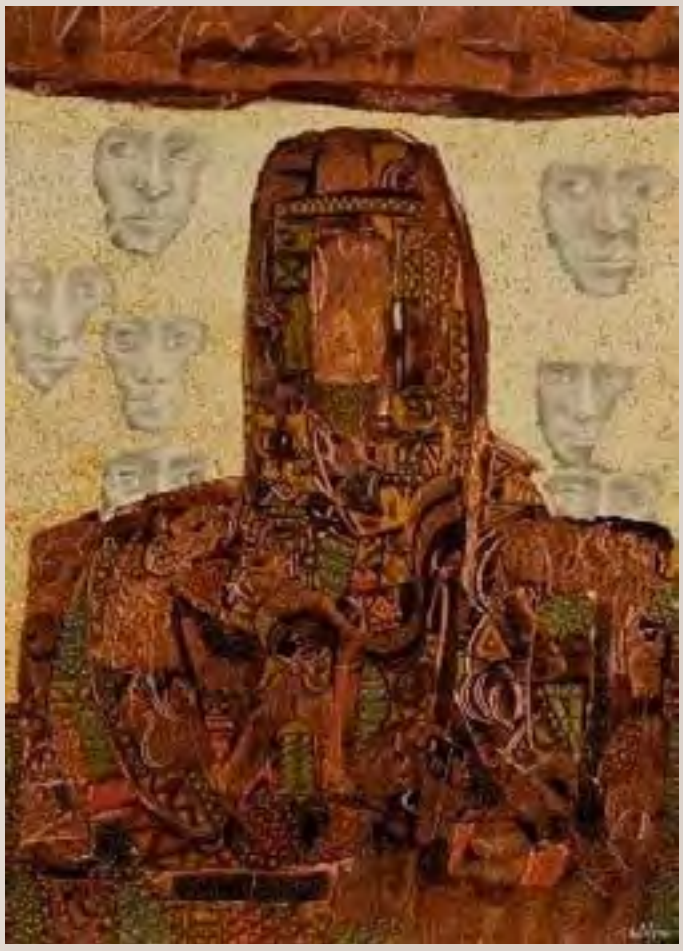

بممكنه ولا ممكنه. وبأكثر وضوح هو تجريب واع بشروط لعبة التشكيل.

إن ما يقدمه لزهر حكار تشكيليا من جهة تقنية هو انفلات من قواعد التشكيل الأكاديمي المتكررة ، بل تعبير منه على ولادة نسل تشكيلي ينحدر من ذاتيته الخاصة مكونا بذلك قدرة على تفكيك كل رموز عناصر المواد التي ينتهجها كي يبني عالمه التشكيلي الفوضوي اللاّمنتظم، حيث يبدو متصالحا مع ما يرسمه حتى انه يخلق صلات حوارية بينه وبين ما سيرسمه على سطح اللوحة فهو إنسان شغوف بالتجريب وعلى يقين انه يرسم عشرات اللوحات على سطح محمل واحد حتى انه يظل سنة في رسم لوحة واحدة..... وللبحث جليا في علاقة حكار بالموروث نجده يرسم المرأة الأم لا لإظهار مفاتنها وإنما يلبسها حوليا من الزخارف والرموز التي جاءت لتصلنا بالذاكرة بالتاريخ وبالثقافة وحتى بالمقدسات .فهو يعيد رسم المرأة بماهية الحاضنة الأولى لثقافتنا من وشم وحروف ورموز وزخارف ونقوش وحلي . لتتشكل في لوحات حكار محافظة على امازغيتها كوشم في الذاكرة وعلى الجسد. فهذه الرموز هي احد طقوس المرور عند عدة مجتمعات لتتحول مع لزهر حكار إلى مبحث تشكيلي بدافع البحث عن أسلوب يكون له بصمته الخاصة بل أصبح أسلوب يميزه وكأنه بذلك يقدم لنا مطلبا لإعادة تحرير موروثنا بل والعودة به إلى أصله الطبيعي الحر.

هكذا يمكن القول أن تجربة الفنان التشكيلي الجزائري لزهر حكار لا يستوفيها مقال وإنما هي ثراء ثقافي ورصيد يضاف إلى الذائقة التونسية والجزائرية والعالمية من حيث المزج بين المحلي التونسي والوافد الذي جاء به من موطنه الجزائر . ليبقى الحد واضح المعالم بين النمطين وخاصة في خصوصية حكار التشكيلية التي بدت نظاما يتطور مع استمرار الزمان والمكان بل هو المنسجم مع محيطه الإجتماعي والثقافي. ليقتفي خطاه بطريقة تميزه مانحا إياها أصالته الممزوجة بالانفتاح دون تخليه عن جذوره الأصلية. فهو المتيقن بمبدأ المثاقفة ويعتبر هذا تثاقف حضاري حتى يكون الفنان إنسانا عالمي لا حدود جغرافية له. وتبقى تجارب وأعمال حكار التشكيلية تراث مادي محسوس واجبنا المحافظة عليها والاهتمام بها كقيمة فنية تحمل جزءا من ذاكرتنا الجماعية. ولما لا الحلم بمتحف تونسي جزائري يحتوي تلك الحقبة المتفردة بل هي صورة لن تتكرر . وختاما اقول أن المعرض المقام بالمتحف العمومي الوطني للفن الحديث والمعاصر الجزائري هو يظم تقريبا ثلاث مئة عمل للفنان لزهر حكار وإن دل على شيء فإنه فنان عملي إنتاجه غزير لا يتوقف وليس له حدود كذلك مؤكد أن فناننا معطاء لا يبخل السائل بالإجابة ولا بالتحفيز والتشجيع. رحم الله لزهر حكار وأتمنى لهذا الجيل أن يتعرف على تجربته المتفردة وخصوصا وأن عالم الفن التشكيلي يأبى الإنعزال ويناشد الانفتاح وقبول الأخر بل العمل التشكيلي يستوجب أن يكون الفنان مثقفا منفتحا عن الأدب والسينما والمسرح ...كل هذه كانت من شيم حكار.

جهات

صفاقس

في ذكرى رحيل الموسيقار محمد عبد الوهاب(4ماي1991) ، الذي يعد أحد أفضل الموسيقيين في تاريخ الوطن العربي وله أعمال متفردة بذاتها، يقدم الفنان محمد كمون يوم الخميس 30 ماي الحالي في برج الفن أحلى ما غنى محمد عبد الوهاب في حفلاته وأفلامه والإذاعة والتلفزيون لان محمد عبد الوهاب كان مغنيا وملحنا وممثلا.

واختار محمد كمون ان يقدم لجمهوره البرنامج التالي:؟

من عشرينيات القرن العشرين: أحب أشوفك(كلمات حسن أنور) ،

من الثلاثينيات: سهرت منه الليالي(كلمات أحمد شوقي)، جفنه علم الغول(كلمات يشارة الخوري) ، يا وردة الحب الصافي، أحب عيشة الحرية(كلمات أحمد رامي)

ومن الأربعينيات: الجندول(كلمات علي محمود طه)، الحبيب المجهول(كلمات حسين السيد)...

حمام الأنف

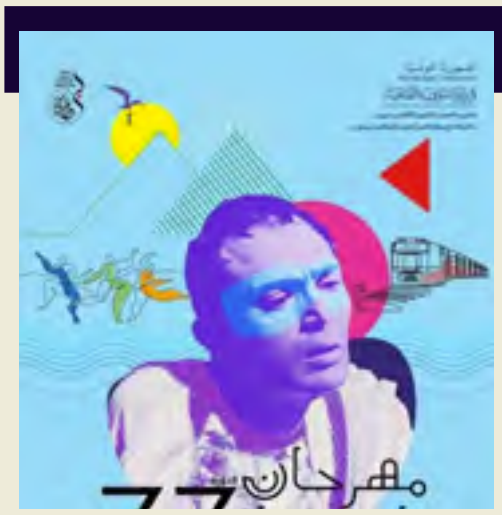

تحت اشراف وزارة الشؤون الثقافية تنظم المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية ببن عروس، الدورة 33 من مهرجان علي بن عياد للمسرح تحت شعار "المسرح المعاصر والأسطورة" وذلك من 18 إلى 25 ماي 2024.

وتتضمّن برمجة هذه الدورة أكثر من 20 عرضا مسرحيا إلى جانب عروض كوريغرافية وأخرى في فن السيرك ومسرح الشارع، بالاضافة إلى الندوات والمجالس الحوارية والقراءات المسرحية والورشات الفنية.

المنستير

تحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية، ينظم المركب الثقافي بالمنستير بالتعاون مع إدارة الموسيقى والرقص، الدورة الثالثة من المهرجان الدولي للألعاب السحرية، وذلك أيام 24، 25 و26 ماي 2024 بمشاركة فنانين من ستة دول وهي الجزائر والفيتنام وفرنسا وسويسرا والبرتغال وتونس.

المهرجان ينطلق يوم الجمعة 24 ماي في حدود الخامسة مساء في الميناء الترفيهي "مارينا المنستير" بعرض ترويجي ضمن "مهرجان عمر بوزقرو للشركاو" في دورته الأولى الذي تنظمه جمعية الرباط للموروث الغذائي.

أما الافتتاح الرسمي فسيكون يوم السبت 25 ماي بالمركب الثقافي في حدود الرابعة والنصف مساء بمشاركة كل القنانين.

وتتواصل العروض يوم الأحد 26 ماي 2024 في جولة بدور الثقافة في ولاية المنستير انطلاقا من الحادية عشر صباحا، حيث تشهد دار الثقافة بالمكنين مع الفنانين ياسين هدوش و"Wlliow Domanski" وعزيز بن حسين، فيما يكون الموعد في دار الثقافة ببني حسان مع الفنانين فؤاد الجليدي و"Kiko et Eva"، وفي دار الثقافة بنبلة يقدم الفنانون وجدي توتو وأمين زرقان وصفوان معروفي عرضهم، فيما تحتضن دار الثقافة ببوحجر عرض الفنين ممادو و"Kris Wilson Loulou".

وفي الالرابعة مساء يكون الموعد في دار الثقافة ببنان مع الفنانين ياسين هدوش وعزيز بن حسين و"Wlliow Domanski"، أما دار الثقافة بني حسان فتحتضن عرض القنانين فؤاد الجليدي و"Yogane Loulou".

نابل

تنظم دار الثقافة حسن الزقلي قربة بالشراكة مع دار الثقافة محمود المسعدي تازركة الملتقى العربي للنص المعاصر أيام 23 و24 و25 ماي الحالي حسب البرنامج التالي

••الخميس 23 ماي :دار الثقافة حسن الزقلي قربة

•س15:00دق :افتتاح الملتقى

تقديم المعارض :

عرض للكتب دار زينب للنشر

معرض للفنون التشكلية بعنوان" اجساد بلا افة " للفنانة الجزائرية عائشة سعيد حداد

معرض للفنون بعنوان "بريشتي ... أتجدد " انتاج نادي الفنون التشكيلية بالمركب الشبابي قربة اشراف المنشطة منى حمدان و امتنان ادريس

•س15:30دق : مشهدية مسرحية بعنوان "لدي فكرة ما" عن مجموعة كتابات للشاعر كمال بوعجيلة الشاعر محمود درويش الشاعر صغير أولاد أحمد و الشاعر محمد العربي اخراج الاستاذ منجي اللملومي

•س 16:00 دق: مداخلة نقدية بعنوان" النص الادبي المعاصر و اشكاليات التصنيف"

تقديم الدكتور شفيق الطارقي

16:30- دق : استراحة قهوة

س17:00دق :الإصدارات الأدبية ؛

تقديم مجموعة شعرية بعنوان "معطف لسيدة الرمل"للشاعرة ايمان الفالح

تقديم الشاعررضوان العجرودي

استراحة موسيقية : تأثيث الفنان أنيس بن كريم +هاجر البري بعنوان " في أمل "

س17:30دقّ: قراءات شعرية:

وفائي ليلا (سوري مقيم بالسويد)

معز ماجد (تونس)

سلوى لميس مسعي (الجزائر)

ابراهيم زولي (السعودية)

جمال الجلاصي (تونس)

نسرين المسعودي (تونس)

نيفين الهوني (ليبيا)

أحمد زعبار (تونس)

••الجمعة : 24 ماي دار الثقافة محمود المسعدي تازركة

•س14:00دق:معرض صور فوتوغرافية للأديب و المفكر محمود المسعدي بعنوان "سيرة و مسيرة"

•15:00 دق: مداخلة نقدية بعنوان "شعرية التفاصيل" للأستاذ مجدي بن عيسى

15:30دق : إستراحة موسيقية مع الفنانة ميساء الخميري

16.00 دق: تقديم رواية "قارئة نهج الدباغين " للكاتب سفيان بن رجب

تقديم الكاتب و الشاعر لطفي الشابي

مداخلة موسيقية ثانية

س16:30دق:استراحة قهوة

س16:45دق : قراءات شعرية:

أفراح الجبالي (تونس)

رضوان العجرودي (تونس)

زهرة القاضي (تونس)

مجدي بن عيسى (تونس)

مثنى إبراهيم (العراق)

لطفي الشابي (تونس)

أميرة كرم (تونس)

س 18:00 دق : عرض مسرحي في الخفاء انتاج مختبر المسرح دار الثقافة حسن الزقلي قربة اشراف الاستاذ منجي اللملومي

••السبت 25 ماي دار الثقافة حسن الزقلي قربة

•س 15:00 دق : مواصلة المعارض

معرض للكتب دار زينب للنشر

معرض للفنون التشكيلية بعنوان "أجساد بلا افة" للفنانة الجزائرية عائشة سعيد حداد

معرض للفنون بعنوان "بريشتي ... أتجدد " انتاج نادي الفنون التشكيلية بالمركب الشبابي قربة اشراف المنشطة منى حمدان و امتنان ادريس

ورشة في الفنون الجميلة (Portrait)للكاتب و الروائي محمد عيسى المؤدب تأثيث الفنان نعيم عامر

ورشة في الفنون الجميلة(Portrait) للفنان المسرحي المرحوم اسماعيل بوسلامة تأثيث الفنان مثنى ابراهيم

تكريم المسرحي إسماعيل بوسلامة (تقديم الاستاذ منجي اللملومي)

تكريم الروائي و الكاتب محمد عيسى المؤدب تقديم الكاتب محمد العربي

•س16:00 دق : قراءات شعرية

مثنى ابراهيم (العراق)

جميل عمامي (تونس)

ابراهيم زولي (السعودية)

وفائي ليلا (سوريا)

سلوى المسعي(الجزائر)

عائشة سعيد حداد(الجزائر)

أحمد زعبار (تونس)

فضاء الإبداع

قصة

awatefbeldi@gmail.com

أنا لا أفشل في الزواج ... أنا أنجح في الطلاق

جملة طالما تبجحت بلوكها في الحانات على مسامع الندامى، فيقهقهون، وأطلب نخبا جديدا ....

كانوا يتعجبون كيف استطعت التخلص من ثلاث زوجات دون أن أدفع مليما واحدا كنفقة أو تعويض لأي واحدة منهن ...

العديد من الاصدقاء والاصحاب هموا بالطلاق لكنهم لم يفلحوا، فقوانين الطلاق في تونس حازمة جدا، ونساؤها لسن غبيات، وحتى ان كن محدودات الثقافة أو التحصيل العلمي فإن المحامين يتكفلون بقلع أعين الازواج بالنفقة وحتى بالتنازل عن منازلهم .

وكنت أداعبهم بتلك الجملة المستفزة : « من يهدد بالطلاق لا يقدم عليه أبدا

ثمة من يهدد بالطلاق وثمة من يطلق، ولن تكونوا أبدا من الصنف الثاني أيها الجبناء « .

بعد طلاقي الثالث استعذبت معاودة حياة العزوبية، اعمل صباحا كمصمم اعلانات باحدى الاذاعات الخاصة، اما ساعات المساء والليل فأنفقها بين الحانات والكتب وأحيانا بصحبة فتيات لا يبحثن عن الزواج .

مطالعة الكتب جعلتني افتتن بالكتابة فانغمست فيها، كان خيالي خصبا لنسج الحكايات، خيال جامح لا تقض مضجعه مناكفات زوجة ولا طلباتها

وكتبت ... كتبت ... كتبت

توقفت عن الذهاب الى الحانات، وعودت نفسي على اطفاء عطشي في شقتي المتواضعة حتى لا أبتعد عن طاولة الكتابة .

ومضت الايام والسنوات « كالماء بين يدي «، لم أفلح في نيل حظوة أدبية ولا حصلت على جائزة أجنبية او محلية .

بدأ جسدي يخونني، وأصبحت زبونا وفيا لدى مصحات الأطباء .

لم يكن لي أصدقاء، وحتى اكون صادقا لم أستطع ان احافظ على افضلهم لم انتم ابدا لحزب أو جمعية ولم تكن مداخيلي جيدة حتى أوزع الجعة والنبيذ وأبتني علاقات حتى لو كانت انتهازية .

زوجتي الثالثة كانت حاملا عند طلاقنا، لم أطلق على ابني اسمه، لم أشهد ختانه، لم أسمع منه « بابا « بلكنته الطفولية، ولم تكن اللقاءات الاسبوعية به كافية لاحس بحبه لي، كان يختلق الاسباب لتفويت مواعيده معي .

اعتقدت في البداية أن والدته تحثه على فعل ذلك، لكني كنت مخطئا، لقد فشلت في جعل ابني يحبني، فشلت في الكتابة، فشلت في الحياة .

انا موسيقي لا يعزف الا على مقام الفشل .

وها أنا أسعل وحدي في الظلام الثلجي لبيتي، وأعلم اني سأموت وحيدا، قد يكتشف الناس موتي بعد أسبوعين أو ثلاثة .. واعلم أن لا أحد سيقول كلمة طيبة عني أو عما كتبت سيكتفون بالتعليق دون اطالة :

عاش فاشلا ومات فاشلا .

نبوءة

تموت قبل أن تدرك الأربعين ...

تموت بين ماء ونار ....

قالت جملتيها في ارتباك واضح، وأسرعت تلملم منديلها الذي نثرت فوقه بعض الرمل والقواقع والأحجار الصغيرة، وكأنها تستعد للمغادرة .

لقد ألححت عليها أن تقول لي بصراحة ما الذي أثار ارتباكها وجعل خديها يتوردان وهي تتأمل كف يدي اليسرى ... حاولت المسكينة التملص مغمغمة :

– لا .. لا .. لا شيء يبدو أني لن أستطيع قراءة كفك اليوم .

ألحت عليها خطيبتي وكانت هي من رغبت في أن تقرأ

تنويعات على مقام الفشل

لسعد بن حسين

لنا العرافة الغجرية كفينا ونحن نغادر مقهى حديقة البلفيدير، بل وهددتها أنها لن تعطيها مليما واحدا ان عزفت عن تفسير ما رأته في كفي ...

عبرت المسكينة عن عدم رغبتها في المال ولا في مواصلة عملها ... لكنها استجابت أمام الحاحنا الشديد، لتقول وهي تنظر بعينيها الى الأرض :

– تموت قبل أن تدرك الأربعين ... تموت بين ماء ونار ...

قهقهت ضاحكا، وسحبت ورقة نقدية منحتها لها ..

لم تفرح بها رغم أن قيمتها تتجاوز المعلوم الذي يقدم لها عادة بأضعاف... لازلت أذكر نظرتها الحزينة وهي تشيعني أنا وخطيبتي خارج حديقة البلفيدير..

مضى على هذه الحادثة أكثر من عشر سنوات، نسيت خلالها تلك العرافة الغجرية، مثلما نسيت خطيبتي التي لم تتواصل علاقتي بها وتزوجت بحبيب آخر ..

الآن وأمام تصاعد الدخان وشعوري بالاختناق وإجهادي من كثرة الجري في ردهات الحمام تذكرت تلك النبوءة ...

ياه ... كم نكون غافلين زمن الرفاه واكتمال الصحة ...

ها أنا وحيد في حمام القرانة التركي القديم ...أختنق وأتعرق بشدة ...

لا أدري ما الذي دفعني الى تفضيل الاغتسال في الحمام رغم أننا في أشد أيام الصيف حرارة، وأغلب الناس يبحثون عن التبرد في مياه البحر المنعشة ...

لقد قضيت الأيام الماضية وأنا أصلح قنوات التصريف الصحي في منزل العائلة ... ولأن الدش اليومي الذي آخذه بعد ساعات تعامل مع الروائح النتنة ما كان يكفي لإزالة ما علق بي ...

لذلك قررت بعد الانتهاء من مهمتي المنزلية أن أذهب الى الحمام التركي، فبخاره قادر على جعل بدني يتعرق ويفرز أوساخه ويتخلص من روائحه العطنة وما علق به من متممات عطرية لمجاري منزلنا .

والحمامات تقفر في الصيف ويضطر بعضها للإغلاق أو إجراء عمليات صيانة، عدا بعض حمامات المدينة العتيقة والأحياء الشعبية التي يقتصر روادها على بعض العرائس من الذكور والإناث، يأتون مصحوبين بجوقات من أصدقائهم في مراسم طقوسية دارجة قبل كل حفل زواج عندنا في تونس ...

ومن سوء حظي، ان الحمام الذي قصدت، كان خاليا يومها، وأني قصدته ظهرا والحرارة في أعلى درجاتها ...

ويبدو أن العامل الوحيد بالحمام خرج لقضاء شأن استعجالي، فأغلق الباب خلفي، وأبطأ في العودة ...

كما يبدو أن العامل المزود لفرن الحمام بالحطب انشغل هو الآخر بمسألة ما ولم ينتبه ال صراخي ...

كنت في غرفة البخار الساخنة من الحمام، أستمتع بتعرق جسدي، كنت كالمخدر قليلا ... وفطنت الى أن الأضواء قد خفتت فجأة في المكان ...

التفتت حولي أتثبت في المكان ... لاحظت كثافة الدخان الذي شكل سحابة بيضاء في سماء الغرفة ... انتابتني نوبة سعال ... بدأت أشعر بالاختناق ..خرجت الى بهو الحمام ... كان مثل غرفة البخار تماما، تمتد سحب الدخان في كامل أرجائه ...

قصدت الباب المؤدي للخروج ... كان مغلقا من الجهة الأخرى ... طرقته عدة طرقات تزايد عنفها مع تزايد شعوري بالاختناق، لكن ما من مجيب..

قررت العودة الى غرفة البخار ... يجب أن أصيح منها بأعلى صوتي حتى يفطن لي الفرناقجي عامل فرن الحمام ...

صحت لدقائق طويلة حتى اختنقت ... بدأت رأسي تؤلمني، وصارت الأضواء تتلاعب أمام عيني ...خرجت الى بهو الحمام ...

لم أعد أقوى على الوقوف ... جلست وأسندت رأسي الى الحائط ... ومرت أمامي كل تفاصيل حياتي الماضية دفعة واحدة، كشريط سينمائي بالأبيض والأسود ... تفاصيل بعضها سعيد وبعضها كئيب ... وتسللت من هذه التفاصيل كما بمفعول سحري حادثة حديقة البلفيدير ونبوءة الغجرية : تموت قبل أن تظرك الأربعين ... تموت بين ماء ونار ..

ابتسمت ... لا أدري كيف أسعفني الابتسام في هذه الظروف ... ربما تذكرت أنني بعد شهر سأدرك السابعة والثلاثين من عمري ... وها أنا في حمام ... أي بين ماء ونار ولا أثر لإنسي أو جني قد يهرع لإنقاذي ويفتح الباب ليدخل الهواء النقي ويطهر الحمام ...

ازدادت كثافة الدخان ... أحس بالاغماء يداهمني... الأضواء تخفت تدريجيا والظلام يستقر ... تتباطؤ نبضات قلبي وأحس بخدر محبب يغريني بالاستسلام ....

سعادة

لا أتحرج من وجود ضيوف في منزلي ... خاصة أولئك القادمين من قابس مدينتي الجنوبية، فهم إما من أقاربي أو أقارب زوجتي... فقد ألفوا منذ سنوات طويلة أن ينصحوا كل ناجح جديد في الباكالوريا كان توجيهه إلى إحدى كليات العاصمة بالمكوث في منزلي ... اذهب عند وحيد ...إنه يقيم في شقة واسعة وهو طيب ويحب « رائحة البلاد « ...

نصيحة عمموها على كل مريض يقصد تونس العاصمة للعلاج وكل شاب يخوض دورة تدريبية بها، بل وحتى من يأتي للراحة والاستجمام والتبضع لا تحرجني هذه الزيارات، رغم أنها مكلفة ورغم أنها تستنزف أحيانا الكثير من وقتي ...كما لا أهتم لضيف نسي أن يجلب معه « منشفة « أو مداسا بلاستيكيا لدخول الحمام، فزوجتي ومع تكاثر الزائرين وفرت مستلزمات خاصة بالضيوف، مثلما قمت أنا بتوفير شاحنين إضافيين للهواتف الجوالة لمن نسي من الضيوف شاحن هاتفه...

الجلوس مع الضيوف والاضطرار الى مشاهدة ما يحبذونه من القنوات والبرامج التلفزية لا يقلقني أيضا .... كما لا يقلقني الاستماع الى محادثاتهم البسيطة أو التافهة عن مواضيع لا تعنيني أصلا ...

كما لا أتحرج من قضاء دقائق طويلة وأنا أرسم لهم خرائط تفصيلية لمواقع لا يعرفونها ومدهم بأرقام الحافلات أو قطارات المترو التي توصل اليها ....

مسألة واحدة تحرجني، بل وتكاد تدفعني الى الجنون، وهي انتظار دوري لدخول دورة المياه، أو الاضطرار للخروج منها بسرعة لأن ثمة من ينتظر الدخول بعدي ...

أنا رجل يحب أن يرتاح في « بيت الراحة «، أحب أن أنجز المسألة في هدوء وتأن ... وكثيرا ما أستغل فرصة جلوسي هناك للتفكير ومراجعة عدة أمور ... وأحيانا كثيرة أدخل معي كتابا، أستغرق في التهام صفحاته، بل إني قبل ولادة ابني كنت أعمد الى ترك باب دورة المياه مفتوحا للاستمتاع بموسيقى تنبعث من جهاز تسجيل سبق أن هيأت موضعه قرب المدخل ...

كثرة الضيوف جعلتني أضيف دورة مياه ثانية بين المطبخ والشرفة، لكن معاناتي تواصلت، ففي فترات الذروة – خاصة في الصباح – يستنزفني انتظار دوري، ويوترني تحمل الغازات في جوفي، دون القدرة على تصريفها ...

لذلك قررت بناء دورة مياه ثالثة ...

– هذا جنون ... علقت زوجتي

– أبدا ... هذا ما سيريحني ... ما سيجعلني سعيدا ...

– دورة مياه في غرفة النوم !!!

– ستكون مغلقة وستكون بها مروحة لشفط الروائح..

– في غرفة النوم ؟!!

– المكان الوحيد الذي لن يشاركني – عداك ربما – فيه أحد ..

– افعل ما بدا لك ...

قالت جملتها الأخيرة بتسليم مشوب بالاستهزاء ...

وفعلت ما بدا لي ...

أنا الآن سعيد ...

أنتريتي نبّار

هربت ذات يوم مفزوعا من زردة !!

نعيش هذه الأيام على وقع الإحتفال بزردة سيدي علي الحطاب التي تلتئم سنويا في مثل هذه الفترة من شهر ماي،

وبهذه المناسبة ساخصص تنبيرة الأنتريتي لما حدث لي في آخر زردة حضرتها وأنا في عنفوان الشباب في مدينتي صفاقس وكيف هربت مفزوعا «ساقيا أعلى من راسي» خوفا من عقاب جدودي الاولياء في جبانة عرشي العوايد .

وفي البداية استسمحكم للتعريف بمفهوم الزردة في الذاكرة الجمعية...

بالنظر في عبارة زرده كمصطلح شائع في المنطوق اليومي لسكان الجمهورية التونسية نجد أنه يتوزع بين مجالين استعماليين أما الأول فهو اجتماعي بما أن الزرده تعني وليمة الطعام المجاني أما الثاني فهو عقائدي روحي بما أنها تعني مجموع الطقوس أفعالا وأحوالا وأقوالا يأتيها المريدون ويمارسونها عند ضريح ولي هو في المخيال الجمعي لديهم الجد الأول للعشيرة و"ربها "على الأرض.

وعندما تتبعنا هذه المفردة في قواميس اللغة لنفهم موقعها في اللسان العربي ونعرف بنيتها المفاهيمية وجدنا وشائج وصلات وثيقة بين مدلولها في الاستعمال اللغوي ومدلولها في الممارسة الواقعية.

فهي عبارة عن وليمة كبيرة تقام تقربا من الولي الصالح الذي يخص تلك المنطقة، فتنشط عند ضريحه الأسواق وتذبح له الذبائح، وتقام الاحتفاليات المتركزة على عروض الخيل وإنشاد الأهازيج والشطحات الصوفية المعروفة بـ"النوبة". وعادة ما تكون الزردة في موسم معلوم بعد الجني والحصاد وقبل بدء الحرث والزرع.

وتستنفر العائلات القاطنة في المناطق المحيطة بمقام الوليّ المعنيّ منذ الإعلان عن موعد الاحتفال، ويقومون بدعوة أقاربهم وأهلهم من الضيعات (القرى الصغيرة) المجاورة، وحتى من داخل المدن، لمشاركتهم فرح المهرجان، لأنّ دعوة «الزردة» لا تُرد، حسب اعتقادهم.

وعادة ما يحرص روّاد «الزردة» على إحياء الموروث الغذائي التقليدي التونسي، مثل تقديم كسكسي الزردة (أكلة شعبية تونسية)، وذبح الخراف، وغير ذلك للحاضرين، وهو من باب الحرص على جعل التظاهرات الثقافية التي يحتضنها الفضاء استعادة للمناخ العام الثقافي والموسيقي والائتلاف الاجتماعي في تونس.

ويكون ذلك من خلال العروض التي يتم تقديمها في احتفاء كبير بما سجلته الذاكرة التونسية التقليدية المنفتحة على ثقافات أخرى.

بعد هذه البسطة النظرية» الثقافوتية» أعود الى «تفريكة» اليوم وخصصتها لعبدكم المتواضع (وقت ما نلقاش على شكون نفركهم ندور على روحي)...

هاك العام قامت البلديّة في صفاقس بحملة هدم واستغلال الأماكن التي كانت فيها أضرحة بعض الصّالحين وتحويلها الى مجامع سكنية وتجارية وسمي هذا المشروع بصفاقس الجديدة...وقتها «جبّانة العوايد» العرش الذي انتمي إليه والتي كانت موجودة حذو المستشفى الجهوي بصفاقس لم يشملها قرار الهدم، وفسر كبار العرش ان هذا القرار علامة بأن جدنا يوسف عصي عليهم ووجب اقامة زردة كبيرة يدعى لها كافة عائلات العوايد بما فيهم عائلتي والعائلات المتصاهرة والمجاورة لهم...

والعوايد نسبة لجدّنا عائد ولي صالح قدم مع الفتوحات العربيّة مع قبائل الهمامة...وكان يكنّى ببن نيران...ويروى انّه كان تاجر نوق ولمّا كان في الصّحراء صحبة نوقه قادما بها للقبيلة وبينما هم نيام سرقت النّوق...ولما استفاقوا من النوم عرفوا ان النوق سرقت فهرعوا لجدهم عائد يعلمونه بالحادثة فوجدوه هادئا وقال لهم النوق ستعود بإذن اللّاه...ويقال انّ السرّاق وهم يقودون النوق شاهدوا النّار تشتعل وتحيط بهم من كلّ جهة وعلى ذروة كل ناقة هناك دخان يتصاعد...فايقنوا بأنّهم في خطر فأعادو النّوق لأصحابها طالبين الصّفح...واحتفل عرش العوايد بذلك بإقامة زردة كبيرة اصبحت عادة يتم الإحتفال بها تبركا بكرامات الجد الاكبر .

وعند استثناء « مقبرة العوايد» من الهدم قامت العائلات» العايديّة» بما فيها عايلتي بإحتفال كبير وزردة وذبائح وغصت المقبرة بالمريدين والباحثين عن» بركة» الاولياء الصالحين...عامتها امرني والدي بمصاحبة الوالدة لحضور هذا الإحتفال وكنت في تلك الفترة في «عز « قراءاتي للفكر اليساري في مجموعة دراسات تابعة للعامل التّونسي كان يؤطرها الصّادق النّعيري رحمه الله والمشهور بتروتسكي...

وانا» ندور في المقبرة» شاهدت بعض الصبايا والنساء «يربطو في عقدة « من قماش في أغصان شجرة ... فسالت عمتي عن ذلك فقالت :»العاقر تحب تولد،والعانس تحب تعرّس والمريضة تحب تشفى إلخ»..

اقتربت منهم و»شديت الشّجرة وخضّيتها» وقلت لهن:» ما تزّيوش من الشّعوذة»...ولم اتمم جملتي «وتهبط عليّ حجرة على جبيني والدّم تدفق بغزارة من راسي»... التحقت بي الوالدة ونساء الحومة ونساء الحومة و»جبدو شويّة بنّ (قهوة) ورصّوه في الجرح باش يكفّ الدّم(قبل كنّا نداوي هكّة...كان الواحد يشقّولو على راسو توّة يلقاوْ أكسبراس معشّشة فيه)»...

وقالت لي أمي:»جاب ربّي جيت عايدي ولدهم وجاتك خفيفة إجري إرجع للدّار ...هاذا ولا أكثر...».

خرجت من المقبرة مسرعا و»نضربها كلمتر وأنا نجري على فرد جنب ونتلفت لتالي خايف لا يخلطوا عليّ ويكملوا على مرمتي»...

«إمشي يا زمان وإيجا يا زمان» المقبرة متاعنا تتصرّف فيها البلديّة وتم هدمها وكل عائلة حوّلت رفاة موتاها لمقبرة البدراني في طريق قابس..و تم بناء في مكان مقبرة العرش بازار كبير لملابس جاهزة...

ودخلت ذات يوم عندما كنت مندوبا للثقافة في صفاقس بعد الثورة لهذا الفضاء التجاري لشراء ربطة عنق (كرافات) فقالت لي المكلّفة بالبيع:» سومها 250 دينارا « فضحكت وانزويت في ركن وبدات في قراءة الفاتحة..فتوجهت نحوي البائعة وقالت لي:» انت حرّ ما تشريش لكن موش معقول تدعي علينا بالشّر»... فضحكت

واجبتها :» راك فاهمة بالغالط راني نقرا في الفاتحة على قبر جدّي محمّد الفلّاح كان قبرو هوني في هذا المكان بالذات...»

اللّه يرحم جدودي العوايد الكلّ وينعّمهم وينفعنا ببركتهم...

طرائف الزعيم (ج 385)

بورقيبة فرض احترام تونس دوليا

حول هذا الموضوع كتب الصحفي بوبكر الصغير كان بورقيبة صاحب رؤية يتمتع بالبصيرة عندما يتعلق الأمر بتوقع تطور المواقف، على وجه الخصوص، على المستوى الدولي .

تكفي حقيقتان لتأكيد هذه الرؤية بشكل مثالي وهذه القدرة على التمييز في الأوقات المربكة، رفضه دعم الألمان على حساب الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وخطاب أريحا الذي ألقاه في 3 مارس 1965، ودعا فيه الى أن يقبل الفلسطينيون قرار التقسيم لعام 1947، وأن يواصلوا القتال ضد العدو الإسرائيلي، بانتهاج سياسة «خذ وطالب» العزيزة عليه .

ذكاء بورقيبة جعله دائما يخرج من كلّ أزمة تعرفها البلاد ضحية بريئة من أي مسؤولية فيها، ليلقيها على غيره ممن رافقوه وعاضدوه في حكم تونس .

كان بورقيبة في نفس الوقت صاحب مشروع ورؤية، مقاتلا صلبا ذا الأنا المتضخمة، بل ظهر كوحش سياسي بين عمالقة القرن العشرين، الزعيم ورجل الدولة بامتياز بإرث لا يمكن إنكاره أو التشكيك فيه...

كان طموح بورقيبة أن يجعل من تونس سويسرا العالم العربي، احترمه قادة العالم، نال إعجاب مانديلا، حظي بأكبر تكريم أمريكي من قبل الرئيس كينيدي، خشيه العرب، جعل التونسي معزّزا مكرما حيثما اتجه وسافر ..

فنّ وفنّانون

النجمة التونسية فاطمة نصر بعد بطولة الفيلم المغربي «جلال الدين» تستعد لبطولة عمل عربي جديد

يعتبر فيلم "جلال الدين" للمخرج المغربي حسن بنجلون آخر مشاركة سينمائية لفاطمة ناصر وهي منشغلة حاليا بفيلمها الثاني انتاجا وبطولة كما تستعد للعودة للدراما من خلال عمل عربي تعلن عن تفاصيله قريبا.

ويذكر ان فاطمة ناصر متحصلة على شهادتها من المعهد الأعلى للتجارة في تونس، وعملت كمستشارة في بنك.

قدمت أدواراً مميزة في العديد من الأفلام المصرية منها «أسد وأربع قطط» (2007) و»احكي يا شهرازاد»مع المخرج يسري نصرالله (2009) وفيلم «صابون نظيف»(2010) إخراج مليك عمارة والذي شارك في العديد من المهرجانات (مهرجان كان السينمائي الدولي، مهرجان أيام قرطاج السينمائي، ومهرجان وهران السينمائي) وفيلم «سكر مر» للمخرج هاني خليفة وفيلم «حرة» (2015) مع المخرج معز كمون والذي شارك في مهرجان الإسكندرية السينمائي الدولي.

تميزت بأدوارها التليفزيونية فقدمت العديد من المسلسلات الدرامية منها المسلسل التونسي «مكتوب»(2008)، و»الحب والسلام» (2009) وهو إنتاج سوري عراقي مشترك، و»الهروب من الغرب (2009)، و»عابد كرمان» (2011)، و»الصفعة»(2012)، و»المنتقم» (2012)، و»مولانا العاشق» و»بعد البداية» (2015).

منى نورالدين رئيسة الدورة الثالثة لمهرجان السينما العربية

تنتظم فعاليات مهرجان جربة تونس للسينما العربية من 20 الى 25 جوان القادم .وتتراس هذه الدورة الثالثة الفنانة منى نورالدين ويتولى منصب مدير المهرجان المخرج والممثل معز القديري.